
١
الحكاية الشعبية العراقية
محمد جاسم الحميدي
تصوير أبو محمد تنسيق جمال حتمل
أبو عبدو البغل
https://facebook.com/groups/abuab/

الحكاية الشعبية الفراتية

محمد جاسم الحميدي

تنفيذ: دار الغد

الإهداء

كل أخت من أخواتي كانت أمًا ثانية لي، بعد أن غادرتنا أمي قبل الآوان

لقد بحن لي بأسرار الحكاية، وأرضعنني عذوبتها،وفتحن قلبي لسحرها، وغذّين مخيلتي بعالمها الرحب

فإلى أخواتي: هدولة وضحية، وغازية وفاطم أهدي هذه الحكايات فهي من بعض بوحهن...

استهلال

أحببت الحكاية منذ كنت طفلاً صغيراً في عائلة ريفية جميع أفرادها يسكنون غرفة واحدة،وبعد أن تخبو جمرات النار في (الصاج)، أو في مدفأة الحطب، وتوفيراً للوقود نلجأ إلى فراشنا باكراً ننتظم فيه الأب أولاً فالأم فأصغر الأولاد، فالذي يليه حتى الأكبر، و لم يكن النوم يجد سبيله إلينا، إذ ما زال الوقت باكراً، فكنا نصخب ونتضارب، ويرتفع صراخنا، وحتى يهدئنا أبي كان يقول لنا: سأحكي لكم حكاية.

كانت بهجتنا تصل إلى أقصى حدودها حين نسمع: كان يا ما كان في قديم الزمان نحكي ألاّ نّام؟

فنجيب بصوت واحد: نحكي.

عندها يبدأ ليل الحكايات الطويل، إذ ما أن ينتهي أبي من سرد حكايته حتى تباشر أمي (رحمها الله)، أو إحدى أخواتي الكبيرات سرد حكاية أخرى.

كانت الخرافة طقساً أسرياً حميماً ومغلقاً، إذ لم أسمع أحداً «يخورف» حين يزورنا الأقارب والمعارف، أو «الخطّار» الذين يأتوننا من الريف، كل الجلسات لا تخلو من الحكي، وله ألوانه المتعددة، وكان أبي في هذه الجلسات العامة يميل إلى حكايات الوعظ بما فطر عليه من تديّن، لم أسمعه خارج الأسرة «يخورف»، و لم أسمع أحداً من الكبار يفعل ذلك في اجتماع غير أسري.

وكانت إحدى أخواتي تتحفنا دائماً بخرافات جديدة، وبأسلوب ممتع ومدهش، فأصبحنا نطالبها أن تحكي لنا في كل ليلة، وكنت اعتبر الحكاية التي لم أسمعها من قبل مختلقة، وأحتج عليها بأن هذه الحكاية مختلقة، ولكنني، في النهاية، كنت أستمع إليها مندهشاً مشدوهاً، قائلاً لنفسي: إنها حكاية رائعة وقريبة مما أعرف من حكايات، فهي ممتعة حتى ولو كانت مختلقة.

ولا أدري حتى الآن ما إذا كانت أختي تبدع الحكايات حقاً أو أنها كانت تسمعها من فتيات الأسر الأخرى، فالفتيات كن الأقدر على رواية الخرافات، وهذا ما تأكدت منه فيما بعد.

كانت تلك طريقنا إلى المعرفة، وهي تسليتنا في وقت لم نعرف فيه الراديو والمسجلة والتلفزيون، بل ولم ننعم فيه بنور الكهرباء بعد، إذ كانت الرقة آنذاك بلدة ريفية صغيرة تتكحّل بغبار الصحراء، وتستحم بماء الفرات.

وفيما بعد، عندما كبرت وبدأت أهتم بالتراث الشعبي للمنطقة، فإن أول ما بحثت عنه تلك الحكايات التي كنت أسمعها صغيراً، فكان من الطبيعي أن أبحث عنها عند أخواتي، ولكن هالني أنهن نسين تلك الخرافات، ولم يعدن يذكرنها،أو يذكرن أطرافاً منها فقط، إذ فات وقت طويل عليها، بل كن يندهشن أن أتذكر، وأنا الأصغر سناً منهن، مالم يعدن يذكرنه، لأنهن لم يعدن يروينه، وما لا يُروى ويتكرر يموت، فمن يروي الخرافات في عصر الراديو والمسجلة والتلفزيون؟!

أما أبي الذي لم يعترف بعصر التلفزيون، و لم يُدخله إلى بيته،وتـزوج مـرة أخرى، وأنجب، وواصل سيرته الأولى مع أبنائـه الجـدد فقـد كـان الأقـدر علـى التذكر، بل إنه لم ينس شيئاً من الخرافات!

وعلى كل حال، لم أيأس، وظللت أنشـط ذاكـرة أخواتـي، وأبحـث عـن الحكايات عند كل من أسمع أنـه يجيـد روايتهـا، وقـد جمعـت عـدداً كبيراًمنهـا، وزعته على ثلاثة أجزاء.

وهذا هو الجزء الأول مـن الحكايـات، أنظـر إليـه، فـأجد أن العديـد مـن الموضوعات أو الإشارات أو الاكتشافات التي كنت أريـد قولهـا، أو الـدلالات التي أردت شرحها وتسجيلها لم أستوفها، فوعـدت نفسـي أن أكمـل ذلـك في الأجزاء التالية، واستفيد من الهوامش في إضافة بعض الأفكار التي فاتني توكيدها أو اثباتها.

* * * *

الطموح الذي يحملـه العنـوان كبير (الحكايـة الشـعبية الفراتيـة)، فـوادي الفرات يُقصد به هنا حوض الفرات العربي، ويشمل الحوضين الأوسط والأدنى من النهر،كما يشمل المناطق التي تحـف بـه في الجزيـرة والشـامية، ولا يمكـن أن يقوم بجمع الحكايات في هذا المجال الرحب جامع منفرد، بل يحتاج إلى مسـاهمة واسعة من دول ومؤسسات، وما جمعته في الحقيقة، يقتصر على منطقـة محـدودة من حوض الفرات الأوسط، مدينة الرقة وما حولهـا، وبمعنـى مـا محافظـة الرقـة، ويبقى الطموح قائماً ومشروعاً.

والرقة المدينة دخلتها بعض المؤثرات الطارئة، وقد أشرنا في الهوامش إلى تلك المؤثرات، علماً أن الكلمات التي ترد أحياناً بلهجة مغايرة للهجة الفراتية لا تعني بالضرورة أن الحكاية وافدة، وإنما قد تعني أن الراوية نقلتها عن راوية وافدة على المنطقة، وحتى حين يتعدد الرواة، وتظل الكلمات الوافدة تتردد، فإن ذلك لا يجيز لنا الاعتقاد بأن الحكاية وافدة، إذ ربما كانت المفردة طارئة فقط، وهناك في كل موقع جملة اعتبارات، وقد عالجناها كل في موقعها في الهوامش التي تلي كل حكاية، وتتعلق بها.

واللهجة السائدة في حوض الفرات الأوسط هي لهجة الريفيين، رعاة الشياه، الذين يطلق عليهم اسم (الشوايا)، ربما لأنهم يشوون اللحم شياً، كما فسر لي ذلك أحدهم، وهذه اللهجة فيها «لكنات» متميزة قليلاً كلما ابتعدنا شمال الفرات، وجنوب دير الزور،وتختلف لهجة دير الزور عن اللهجة الريفية المذكورة بعض الاختلاف، أما في جنوب الفرات، وفي بعض مناطق الشمال أو الشرق فتوجد جزر للهجة البدوية.

و لم يشتمل هذا الجزء من كتابنا على حكايات بدوية، ولكن الأجزاء الأخرى ستتضمن حكايات بدوية.

والجدير بالذكر أن حكايات البدو هي في جلها حكايات شعبية، أما الخرافة فهي قليلة الشيوع في الوسط البدوي، أو هذا ما نعتقده حتى الآن، فما زالت معلوماتنا في هذا المجال غير مكتملة، وتحتاج إلى المزيد من البحث والتقصي والمشافهة..

وقد درست لهجة الفرات السائدة ببعض التوسع في مخطوط آخر، هو (مدخل إلى التراث الشعبي الفراتي) فلم أجد ضرورة لأكرر ذلك هنا.

* * * *

وقد توقفت طويلاً عند الكيفية التي أقدم بها هذه الحكايات، واللغة التي أكتبها بها، أأنقلها بالكلام العامي، أم أكتبها بالفصحى؟

لو كتبتها باللهجة الفراتية سأحافظ عليها، وعلى تفصيلاتها وروحها،ولكنني سأفقد القارىء العربي الذي لن يتمكن من تخطي حاجز اللهجة بيسر، وذلك أن اللهجة الفراتية متوارية إلى حد ما إذ لم تشيّعها السينما أو التلفزيون أو تصقلها كما حدث في اللهجة المصرية، مع إدراكي أن هذه اللهجة تتقارب مع لهجات عديدة في العراق والجزيرة العربية.

ولو كتبتها بالفصحى فقد اعتدي على أساليبها وطرائقها في القص، وأفقدها روحها ونكهتها، وإن كنت سأكسب لها بهذه جمهوراً واسعاً.

وقد حاولت أن أجمع بين «الطريقتين» لأكسب محاسن هذه، ومحاسن تلك، ولأتجنب محاذير هذه ومحاذير تلك، فحافظت على الفصحى، دون أن أتنكر للهجة المحلية، وذلك بتثبيت الكلمات التي جذورها فصيحة، والكلمات غير «الوحشية» أو «الغريبة» على السمع، أو المغرقة في محليتها، وأثبت الكلمات بأصواتها الفصيحة مشيراً إلى كيفية لفظ هذا الصوت أو ذاك في

اللهجة الفراتية كلّما وجدت ذلك ضرورياً، فإن كانت المفردات غير ذلك أثبت كلمات فصيحة مكانها وأشرت إلى أصل الكلمة في اللهجة الفراتية في الهامش.

كذلك حافظت على طرائق القص الشعبية وروحها، بل حاولت المحافظة حتى على الأسلوب كتقديم الاسم على الفعل، والتكرار للدلالة على الاستمرار بدلاً من الوصف، والاختصار غير المخل، وذكرت المقاطع التي تلجأ إلى الجناس كما هي في اللهجة المحلية، لأن أي تغيير سيؤدي إلى الخلل.

ولا أدعي أنني حققت ما أرغب فيه، ولكنني بذلت الجهد، ولي شرف المحاولة.

دمشق ـ ١٩٨٥

* * * * *

مقدمات نظرية

١ ـ الحكاية الشعبية ومناهج دراستها:

لا تشكل الحكايات الشعبية جزءاً أساسياً ورئيساً من الأدب الشعبي فحسب، بل هي أسلوب الانسان الأول في المعرفة والعلم والثقافة والتوجيه.

إن الحكاية كشكل وكأسلوب استخدمت منذ البداية، عند الانسان البدائي الذي لم يكن يصوغ معارفه عن العالم، ويفسر ظواهره بطرق علمية، وبصياغات نظرية، وبأسلوب تعميمي وتجريدي لتفسير الكون، ولفهم مظاهره، ولم تكن الحكاية وحدها هي التي تقوم بهذه الوظيفة، بل إن أساليب القص، أو الحكي المختلفة كلها لعبت هذا الدور، فكانت هي الأسلوب الذي اعتمده الانسان البدائي ليفسر به العالم، لأن هذا الأسلوب يحدد العالم من حوله تحديداً واقعياً، ويسمي ظواهره وعناصره من طبيعة وحيوانات وطير وبشر.

لقد كان الانسان في بداياته حيث يواجه بقوى أكبر منه، قوى الكون والطبيعة، من اعصار ورعد وبرق ومطر، وليل مدلهم، وجفاف قاس ومدمر، كان يضفي على هذه العناصر المرعبة حياة فيشخّصها، ويخلق لها آلهة شريرة، ويضفي على عناصر الخير من خصب ومياه حياة ويخلق لها آلهة خيرة، ويقص الحكايات عن هذه وتلك، ويسترضيها جميعاً، ويخضع لها ليتجنب أذيتها، ويكسب فوائدها.

كما كانت تواجهه ظواهر كان يحار في تفسيرها، ولكن ذهنه ما كان ليرتاح إلا حين يجد تعليلاً يرضيه ويطمئن إليه، فلماذا تمتاز السلحفاة بظهر صلب، ولماذا تخلع الأفاعي جلودها؟ ولماذا للغنم ألْية وليس للماعز مثلها؟ ولماذا مؤخرة القرد حمراء؟ ثم كيف أصبح القرد قرداً؟ وكيف أصبحت البومة بومة وماذا كانا قبل ذلك؟

إنه يجيب عن «كيف» هذه التي شغلته ليشبع فضوله، فكيف كان يجيب عن «كيفه» هذه..؟

كانت إجاباته دائماً تأخذ شكل الحكاية التي تفسر هذه الظواهر وتجعلها مقبولة ومفهومة عنده.

وأساليب القص أو الحكي متعددة فهناك أسطورة الآلهة، وحكايات البطولة، والحكايات الشعبية، والحكايات الخرافية، والحكايات الهزلية، والنكت والألغاز، وقصص الوعظ.. والكثير من هذه الأساليب تختلط ببعضها بعضاً بحيث يصعب التمييز بينها.

ونحن إذ نتحدث عن الحكاية الشعبية كأسلوب لمعرفة العالم، وكطريقة بدئية وبدائية لتفسير الكون، وحشد المعارف والتسلية لا نقصد أن الحكاية الشعبية هي الأولى بين أساليب القص، وليست هي التي تقوم بالوظائف المذكورة، بل إنها من باب ذكر الجزء وإرادة الكل، فأساليب القص على تنوعها هي أسلوب المعرفة الأول. «فالتاريخ والعلم والفن كلها مظاهر ثقافية حضارية... مارسها الانسان بعد أن تثقف وتحضر، واكتملت له أدوات التعبير.

أما هذا التراث القصصي فقد بدأ مع الانسانية منذ بدأت حياتها على الأرض، ويوم كانت تعيش طفلة ساذجة مع الطبيعة»[1].

لقد كان القص في البدء.

لذلك فإن تراثنا من القصص والحكايات والخرافات هو تراث يضرب بجذوره بعيداً، ويعود إلى عهود سحيقة في القدم، وقد ثبت على مر الزمن، ووصل إلينا، لقد أثبتت الكلمة أنها لا تقل رسوخاً وثباتاً وحيوية وديمومة واستمراراً عن الأوابد التاريخية التي خلفها الانسان، فكما بقيت الاهرامات والقصور والحصون والتماثيل.. كذلك ظلت الكلمة ـ الحكاية، ووصلت شفاهاً أو مكتوبة من عصور سحيقة في القدم[2].

يقول فريدريش فون دير لاين (إن الحكاية الخرافية ترجع بنا إلى عصور تسبق كل تاريخ مدون، كما أنها ترجع بنا إلى بداية الفن الشعري، وإلى عالم آخر من الفكر والاعتقاد والحق والدين، وطبيعي أنه لا يحق لنا أن نعمم هذه الدعوة على الحكايات الخرافية جميعها، بل إنها لا تنطبق على الكثير منها)[3].

وتشابه الحكايات الخرافية وانتشارها، وتماثلها هو الذي قاد الباحثين للحديث عن أصول ومصادر ونشأة الحكاية، إذ أذهلهم هذا التشابه المدهش بين حكايات الشعوب، هذا التطابق والتماثل في صراع الخير والشر، ومواجهة الحيوانات المرعبة، والمنع والحضر الذي يعقبه الاختراق، والشروط التي يتم تجاوزها.

إن ذلك كله قاد البعض للبحث عن المصادر الأولى للحكاية، وبحث بعضهم الآخرعن الأصل، النموذج الأصلي للحكايات التي وصلت إليهم، كما بحثوا في ذلك الزمن نفسه عن اللغة الأم، أو اللغات الأمهات.. فالأخوان جريم[٤]، أرجعا بعض التشابه في الحكايات إلى التشابه في طبيعة الشعوب المختلفة، فقد رأيا أن الحكايات أحياناً بالرغم من انفصالها، واستقلالها التام عن بعضها بعضاً تتشابه، وما ذلك إلا لأن حياة الشعوب في طفولتها واحدة، فالجذور الانسانية، الطبيعة الانسانية واحدة أو متشابهة عند هذه الشعوب..

وبالرغم من هذه الرؤية التي تفسر التشابه تفسيراً يبتعد بها عن الزعم أن للحكايات مصدراً أساسياً واحداً، فإنهم اعتبروا أن أصول الحكايات تعود إلى العصر الهندو جرماني.

ويرى تيودور بنفي الذي نشر ترجمة كتاب هندي يتضمن حكايات خرافية، وحكايات عن الحيوان عام ١٨٥٩ أن الموطن الأصلي للحكايات الخرافية هو بلاد الهند.

أما الباحثون الانكليز وفي مقدمتهم أ.ب تيلور، فإنهم أعادوا التشابه لا إلى صلة تاريخية مباشرة بين الشعوب، بل إلى وحدة التصور بينها: (ليس من الممكن بأي حال من الأحوال أن تكون هذه الشعوب قد أثر بعضها في بعض تأثيراً متبادلاً، ومع ذلك آراءهم تتفق تماماً، أو تتشابه فيما يختص بطبيعة المرض والصحة والنوم والحياة الخالدة بعد الموت..)[٥].

وسار في هذا الاتجاه الفرنسي (بيدييه)، والألماني (هانزناومن)، وقد رأى هذا الأخير أنه (يمكن أن تنشأ صور متشابهة في المجالين المادي والروحي على السواء)[٦] عند الشعوب المنتمية إلى أجناس مختلفة.

أما بيدييه فحاول أن يصل إلى الشكل الأصلي للحكاية، وذلك بجمع الروايات المختلفة لكل حكاية، والمقارنة بينها، واستخلاص الملامح المشتركة.

وعلى كل حال فإن المؤكد هو (أنه ليس هناك شعب من الشعوب أهمل الحكاية اهمالاً تاماً)[٧]، ولكن بعض الشعوب اهتمت بها اهتماماًخاصاً، وامتازت بها كالهنود والعرب والكلت، ولكننا (لا نستطيع أن نعد هذه الشعوب مصدراً للحكايات الخرافية بأسرها)[٨].

كذلك فإن وحدة الحكايات الخرافية ليست مطلقة، إذ أن التنوع قائم فعلاً إذ (مهما ظلت الحكاية الخرافية واحدة في عمومها فإن كل شعب يحكيها بطريقة مختلفة)[٩].

ولكن المنطلق نفسه، التشابه بين الحكايات قاد البحث في اتجاهات أخرى حين تصدى فلاديمير بروب للحكايات، وقد بحث بروب مائة حكاية من حكايات الجن الروسية في كتاب نشر عام ١٩٢٨ بعنوان (مورفولوجيا الحكاية الشعبية)[١٠].

وكان بروب مهتماً ليس بالبحث عن أصل الحكاية، بل حاول ابتداء أن يجيب عن السؤال البديهي: ما الحكاية الشعبية؟ لقد بحث عن طبيعتها، وليس عن أصلها.

وقاده هذا للفصل بين أشكال تركيب الحكاية والعناصر التي تشكل مادتها الأولية، وهي الأحداث والموضوعات والشخصيات والأفكار. وفي دراسته للشخصيات أدرك أن الشخصيات متغيرة، فالأسماء والأوصاف والألقاب التي تتمتع بها الشخصيات تتغير، ولكن الوظيفة التي تقوم بها الشخصية ثابته، فربما كان البطل ابن ملك أو ابن حطاب، أو كان فتاة، ومع هذا فإن الشخصية تقوم بوظيفة ثابتة، ومن هنا بحث عن هذه الوظائف، فأدرك أنه يمكن اجمالها في إحدى وثلاثين وظيفة.

والوظيفة هي الحدث الذي تؤديه الشخصية لتؤدي دوراً في تطوير الحكاية.

وحصر الفاعلين الذين يؤدون الأدوار في سبعة أنماط أو شخصيات: البطل - البطل المزيف - المعتدي - المساعد..

إن بروب توصل إلى أن الحكايات بالرغم من تنوعها تصدر عن نموذج واحد.

هذا المنهج بقي محصوراً في الثقافة الروسية إلى أن ظهرت الترجمة الانكليزية لكتابه في الولايات المتحدة عام ١٩٥٨، واستفاد من ذلك العالم الفرنسي الانثروبولوجي (كلود ليفي شتراوس)، إذ طور البحث معالجاً الأساطير بمنهج يستقي أصوله من منهج بروب.

٢ ـ أنواع الحكاية:

تنوعت أساليب القص وأشكاله فهناك أسطورة الآلهة وحكاية البطولة، والحكاية الخرافية، والحكاية الشعبية، والحكايات الهزلية... وقد تداخلت هذه الأساليب واختلطت حتى أن التفريق بينها أصبح بالغ الصعوبة، خاصة إذا عرفنا أن هذه الأساليب جميعها تتكون من الموضوعات نفسها، وتتناول الموضوعات ذاتها، إذ ليس للخرافات موضوعات خاصة، ولا للحكايات الشعبية موضوعات خاصة، إن الموضوعات هي نفسها في كل الأساليب..فهل نستطيع بعد ذلك أن نميز بين هذه الأجناس المختلفة؟

سنعتمد في هذا على كتاب فريدريش دير لاين (الحكاية الخرافية)، وسنلخص هنا بتصرف وإيجاز شديد ما قاله، وهو بدوره يختزل أقوال الباحثين المختلفةفي هذا الموضوع ليصل إلى نتائج مقنعة، فكتابه هو حصيلة لكل الدراسات في ميدان الحكاية الخرافية[١١].

الخرافة والحكاية الشعبية:

- الحكاية الشعبية بنية بسيطة والحكاية الخرافية بنية مركبة ذات شكل معين.
- الحكاية الخرافية عموماً لا تؤخذ مأخذ الحقيقة في حين أن الحكاية الشعبية تؤخذ هذا المأخذ.

- بؤرة الحكاية الخرافية البطل الذي يعيش التجربة، وبؤرة الحكاية الشعبية التجربة التي يعيشها البطل.
- الحكاية الخرافية بكل ما فيها من عناصر تعد أدباً، أما الحكاية الشعبية فهي تمتزج بالواقع الحقيقي في أعمق أعماقه، وليس لها طابع أدبي صرف.
- الحكاية الشعبية تصور الانسان الوحيد الذي يتصل يالعالم الآخر، وكثيراً ما يخضع له، أما الانسان في الحكاية الخرافية فيتصل بمحض اختياره بقوى العالم الآخر.
- الحكاية الخرافية ذات طريقة تجريدية في العرض، أما الحكاية الشعبية فهي تصور العوالم الأخرى بدقة وتفصيل، فهي مثلاً حين تعرض للأقزام فإنها تذكر بتفصيل ملابسهم ومظهرهم وأجناسهم بل تحاول أن تعرض خصائصهم في حين لا تعرف الحكاية الخرافيَة مثل هذا.
- الحكاية الخرافية تتحرك بين ما هو جاد وما هو هزلي، أما الحكاية الشعبية فهي جادة في طابعها.

الحكاية الخرافية وحكايات البطولة:

- تمتاز حكايات البطولة بأنها ذات بعد تراجيدي، فالبطل يقضي نحبه في النهاية، أما بطل الحكاية الخرافية فتنتهي حياته دائماً نهاية جميلة.

- حكاية البطولة تنتمي إلى سلوك روحي آخر غير الذي تنتمي إليه الحكاية الخرافية، فالبطل فيها يعد صورة مثالية لما هو انساني، إنه نموذج يسعى إليه الانسان، وليس كذلك البطل الخرافي.
- بطل الحكاية الخرافية يتحرر من العلاقات التاريخية، أما حكاية البطولة فتضم شخوصاً تاريخية تقترب حياتهم من صورة البطولة النموذجية.

الحكايات الخرافية والأساطير:

ليس هناك فرق جوهري بينهما سواء في الشكل أو المضمون، فأسطورة الآلهة والخرافة كلاهما تشيران إلى ما قبل التاريخ، ويرى بعضهم أن الحكاية الخرافية هي الأقدم، وأن شخوصها مع القدم، انتقلوا إلى أنصاف آلهة، أو آلهة فأصبحت أسطورة، ولكن هناك من يرى الصورة معكوسة، فأسطورة الآلهة هي الأصل، ثم خلعت الأسطورة عنها مضمونها الديني وصارت حكاية خرافية، ولكن فون دير لاين يقف موقفاً وسطاً بين هذه الأقوال، فيرى أن (أسطورة الآلهة والحكاية الخرافية عاشتا جنباً إلى جنب)[١٢]، و لم تسبق أي منهما الأخرى.

وهو يرى أن التمييز الأساسي بين الحكاية الخرافية والأسطورة يكمن في أن أسطورة الآلهة ما تزال تلعب دوراً في العقيدة،وليست كذلك الخرافة، ويتحفظ على هذا لأنه لا يصدق دائماً، وخاصة عند الشعوب البدائية (الهنود الحمر) مثلاً، فهذان النمطان متداخلان عندهما.

٣ ـ الحكاية الشعبية العربية:

والآن ماذا عن الدراسات العربية في هذا الميدان؟

الدراسات في التراث الشعبي في الوطن العربي ليست بعيدة الجذور، وهي بالرغم من حداثتها عموماً، وعدم توسعها أفقياً وعمودياً، إلا أنها أخذت تترسخ في السنوات القليلة الأخيرة، ويزداد الاهتمام بها، وخاصة بعد أن فترت همة المعارضين الذين يعتبرون أن التراث الشعبي يؤدي إلى التفتيت والتجزئة لتنوعه، واختلافه بين منطقة وأخرى، كما يخافون من منافسة اللهجات المحلية للغة العربية الفصيحة، وقد ثبت بطلان هذه الادعاءات، فهي تخوفات لا أساس لها من الصحة، فالوحدة في التنوع، وهذا التنوع هو تنوع نسبي لا يلغي الوحدة بل يؤكدها، كذلك لا خطر من اللهجات المحلية على العربية الفصحى لأن هذه تترسخ يوماً إثر يوم، فهي لغة المستقبل ولا يمكن أن تعود عقارب الساعة إلى الوراء، أضف إلى هذا أن اللهجات جميعها تستمد أصولها ومقوماتها من العربية الفصحى الأم.

وعلى كل حال فإن الدراسات في الحكاية الشعبية ما زالت محدودة، وسنذكر أهم الأعمال التي عرفناها في هذا الميدان، وخاصة تلك التي تقصر اهتمامها على الحكايات الشفهية وليست المكتوبة.

لعل من أهم الكتب في هذا المجال كتاب (الحكاية الشعبية العربية) لشوقي عبد الحكيم، وهي دراسة واسعة حاول فيها المؤلف أن يؤكد مسألة على جانب كبير من الأهمية، وهي وحدة التراث الشعبي العربي عامة، والحكاية

الشعبية خاصة، وذلك لأن هذه تنتمي إلى جذور أسطورية وعقيدية واحدة، ولأن تاريخها وحياتها واحدة أيضاً.

وتناولت الدكتورة نبيلة إبراهيم في كتابها (البطولة في القصص الشعبي) صورة البطل ووظيفته، والدلالات الحضارية والاجتماعية والنفسية، وذلك من خلال: الأسطورة، وحكاية البطولة، والقصص الخرافي أو الحواديت، وحكاية الحياة المعاشة.

وهي وإن لم تهتم بالتمييز بين هذه الأجناس بدقة، إلا أنها ميزت بينها في الدراسة، وأفردت لكل جنس منها فصلاًناقشته فيه، وهي تسلسلها كما لو كانت كل منها حلقة جديدة تتبع وتلي الحلقة السابقة لها، ولم تفرد حكاية البطولة بعنوان خاص، بل اعتبرتها استمراراً للأسطورة، ومرحلة تالية لها ذلك أنها نشأت حين (أصبح الانسان مسؤولاًعن صنع تاريخه)[١٣]، حين قتل آلهته..

كما رأت أن حكايات الحياة المعاشة (وهي تريد بها الحكايات الشعبية) انتشرت على نحو خاص حين بدأت الحكايات الخرافية تنحسر...

أما الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف في كتابه (الحدوتة والحكاية في التراث القصصي الشعبي) فقد دعا إلى دراسة أجناس القصص الشعبي والتمييز بينها، فقد اختلطت هذه الأجناس، ويقول (واعتقد أن الآوان قد آن لأن تخرج الدراسات الشعبية عندنا من نطاق التعميم إلى نطاق التحديد، فإن القائمين بهذه الدراسات ما زالوا يخلطون بين أنماط المأثورات الشعبية من الحدوتة والحكاية، والأسطورة والخرافة، والقصص، والأمثال الشعبية، ويضعون هذا كله

في وضع واحد من الفهم والحكم والتقدير، والخلط في القيم، والأوضاع الأدبية والفنية شر ما منيت به حياتنا في هذه الأيام)[١٤]،

وهو يعتبر الحدوتة اللون الأول من ألوان السرد القصص الذي عرفته الانسانية، ويرى أن الحكاية الشعبية جاءت بعدها، وتالية لها، فقد نشأت الحكاية الشعبية (مع الانسان الناضج في الحياة المدنية ذات الجماهير الفقيرة، وذات المتاعب والمصالح المشتركة والمتشابكة)[١٥].

والحكاية الشعبية هي صورة اجتماعية أشد شمولاً، وأكثر كمالاً من الحدوتة، والحدوتة كما وصفها هي «الحكاية الخرافية» وقد رأينا الدكتورة نبيلة إبراهيم لا تميز بينها فتكتب عن الخرافة أو الحكايات الخرافية أو الحواديت، فهما شيء واحد.

ويقول علي الخليلي في كتابه (البطل الفلسطيني في الحكاية الشعبية): (تتمحور الحكاية الشعبية حول الانسان الشعبي، وتستخدم في محاورها ما يفيدها من عناصر أسطورية وخرافية، ثم تتطور هذه الحكاية فتنبذ كل ما له صلة بالأساطير والخرافات لتتجذر حول هموم الانسان المباشرة)[١٦]. والكاتب يميز بين الحكايات الأسطورية، والحكايات الخرافية، والحكايات الشعبية ويرى الأخيرة هي الأحدث نسبياً.

ويذكر الحكايات التعليلية ضمن الأسطورة، لأنها تشرح بمنطق العقل البدائي بعض ظواهر الكون أو الطبيعة أو العادات الاجتماعية.

أما الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابـه (القصص الشعبي في السـودان) فإنـه يقـدم دراسـة متميزة، غـير مسبوقة في العربيـة، فيتنـاول (فنيـة الحكايـة ووظيفتها) مستفيداً من كـل المنـاهج الـتي درسـت الحكايـة، ومصطنعـاً لنفسـه منهجـاً تحليليـاً تكامليـاً ليـدرس المستوى الشـكلي للحكايـة، ثـم المحتـوى، ثـم مستوى المعمار الكلي لها، وأخيراً مستوى الوظيفة.

أما عادل أبو شنب في كتابه (كان يا ماكان) فإنه يتحدث عن الحكايات الشعبية بشـكل عـام دون تفصيـل أو تمييز بـين أنـواع الحكايـات، بـل ينشـغل بالحديث عن أثر الحكايات الشفهية في تكوين شـخصية الفـرد العربـي، مركـزاً على الصفات السلبية، أما الايجابية فإنها موجودة، ولكنهـا أشبه بالومضـات، وهو لا يستحسن فكرة جمع الحكايات المروية، لأنها في هذه الحالة ستسـجن في حروف مكتوبة أو في شريط تسجيل، وهذا السجن يفقدها مميزاتها الهامة[١٧]:

مرونتها، وقدرتها الدائمة على الحركة والتطور، وطواعيتها في فم الروايـة لإعادة خلقها من جديد، فالتسجيل إنهاء لحالة الخلق المتجددة، وجمود في صيغة فنية محددة.

في كتابه القيم الحكاية الساحرة يتحدث الدكتور عبد الرزاق جعفر: عـن الأساطير، والملاحم، وحكاية الحيوان ويفرعها إلى: الخرافة، وملحمة الوحـوش، ثـم حكايـة الجـن، والسـير الشـعبية، والحكايـة المرحـة، والحكايـة الاجتماعيـة، وحكاية الألغاز.. أي أنه يداخـل بـين التصنيـف الموضوعـي والتصنيـف الفـني، ويقول (قد يكون من الخطأ ترتيب الحكايات والقصص في أبواب ضيقة محددة،

يوضع على كل واحد منها بطاقة تشير إلى نوع الحكايات التي يضمهـا، ولكـن هذا الترتيب قد يساعدنا على رؤية بعض المعضلات رؤية واضحة، كما أنه يساعدنا على معرفة حاجات القراء أيضاً..)(١٨).

والكتاب دراسة في أدب الأطفال لذلك فإنه يهتم بالقضايا التربوية والنفسية والاجتماعية والفنية، ولا يهتم بالتصنيف إلا بمقدار ما يؤدي من وظيفة في هذا المجال.

نلاحظ مما تقدم أن الدراسات العربية في هذا الميدان أصبحت تهتم بالتمييز بين الأجناس القصصية في التراث الشعبي العربي، وتدعو إلى دراسته (محمد فهمي)، أو تتناوله بشكل ضمني في الدراسة، أو تشير إلى فروق بين هذه الأجناس حين تبين طبيعة هذا الجنس أو ذاك.. وهي في هذا كله لا تشير إلى الدراسات الغربية التي استفادت منها، والتي درست هذا الموضوع، ويعود ذلك برأينا إلى جملة أسباب منها: أن هذا التمييز بين هذه الأجناس لم يكن الهدف الأساسي للدراسات، بل هي تذكره ضمناًأو عرضاً، وإذا جعلت هذا هدفها اقتصرت على جنس واحد أو جنسين كما في دراسة الأستاذ محمد فهمي إذ تناول الحدوتة (الحكاية الخرافية)، والحكاية الشعبية، ولكنه حين ذكر النماذج في نهاية الكتاب لم يميز بينها.

أضف إلى هذا أن التنوع في تراثنا القصصي هائل إلى الحد الذي لا تستوعبه التعريفات السائدة ولا تنطبق عليه الدراسات الأجنبية، فمثلاً في

التمييز بين الحكاية الخرافيــة والحكايــة الشـعبية يقـول فـون ديرلايـن: (الحكايـة الخرافية تتحرك بين ما هو جاد وما هو هزلي، أما الحكاية الشعبية فهي جـادة في طابعها)[١٩].

ولكن هذا التميز لا ينطبق بالفعل على ما نطلق عنه (الحكايات الشعبية)، فالحكاية الشعبية هي أيضاً تتحرك بين ما هو جاد، وما هو هـازل، والسـبب في هذا الإختلاف يعـود إلى مـا يقصـده كـل منـا بالحكايـة الشـعبية، فنحـن نريـد الحكايات الشعبية الشفهية المتداولة، وكذلك هـذا مـا يقصـده آخـر الدارسـون العرب، في حين أن دير لاين لا بد أنه يقصد حكايات من نوع آخر، علمـاً أن ما قاله ينطبق على ما نطلق نحن عليه (السير الشعبية)، فهي جادة الطابع، وبهذا التحديد يزول الخلاف.

والجدير بالذكر أن الدارسين العرب يجعلون الحكاية الشعبية أحدث عهداً مـن الخرافـة والأسـطورة... فـالدكتورة نبيلـة ابراهيـم تشـير إلى أن الحكايــات الشعبية انتشرت، على نحـو خـاص، حـين بـدأت الحكايـات الخرافيـة تنحسـر، وعلي الخليلي يشير صراحة إلى أن الحكاية الشعبية حديثة نسـبياً بـين الأسـاطير والخرافات، ويذكـر الاسـتاذ محمـد فهمـي أن الحكايـات الشـعبية نشـأت (مـع الإنسان الناضج في الحياة المدنية ذات الجماهير الفقيرة، وذات المتاعب والمصـالح المشتركة والمتشابكة)، وهذا نفسه يكاد يقوله علي الخليلي، وبالرغم من ان هذا الفهم صحيح إلا أنه ناقص، لأننا نلاحظ أن الحكاية الشعبية ازدهرت أيضـاً في

بيئات غير متحضرة، بل بدوية الطابع كما في الكثير من حكاياتنا الشعبية الفراتية.

من هذا نرى أن التعميم غالباً ما يكون مخلاً.

وبالنتيجة فإن البحث في أجناس الحكايات وأنواعها ومميزاتها يجب أن ينطلق من النماذج والنصوص العربية، وليس من الدراسات النظرية الأجنبية، دون أن نهمل هذه الدراسات، بل نستفيد منها إلى أقصى حد.

وهذا ما سنحاوله في دراستنا المتواضعة لأساليب وأشكال القصص والحكايات الفراتية.

* * * * *

الحكاية الشعبية الفراتية

لقد أردنا أن تكون هذه المقدمات النظرية شاملة وموجزة في آن واحد حتى لا نكر ركلاماً كثيراً، أونغرق في مماحكات نظرية، ونجهد أنفسنا فيما لا اجتهاد كبير فيه، حتى إذا وصلنا إلى غايتنا، وهي الحكاية الفراتية، وصلنا مجهدين ومتعجلين، مع أن هذا هو الميدان الذي يحتاج إلى جهودنا، وتدقيقنا، وتفصيلنا.

وشاملة لنتبين آفاق البحث العلمي، وتعدد مناحيه وإتجاهاته، ومناهجه، وليكون حديثنا عن الحكاية الشعبية الفراتية متسماً بالوضوح والدقة، ولنتمكن من ذكر نقاط الإختلاف بين تلك المقدمات النظرية، وبعض مانراه، أو لنضيف فروقاً بين الأجناس القصصية في تراثنا الشعبي التي لم ينتبه إليها أحد من قبل، ثم لنبين مدى التنوع في أساليب القص وغزارة النتاج الفراتي في هذا الميدان.

إبتداء لا بد من الإشارة إلى أن الحكاية الفراتية ليست إلا جزء من الحكاية الشعبية العربية حيث تنبع هذه الحكايات من الأسس نفسهاو وتنطلق من الجذور ذاتها، وتخضع للشروط نفسها التي خضعت لها الحكاية الشعبية العربية.

وسكان الفرات هم قبائل عربية بدوية أو نصف متحضرة، أو مازالت على حافة البداوة، حيث يقيمون منازلهم ليهجروها في مواسم أخرى وهذه القبائل نزحت في أوقات متباعدة أو متقاربة من الجزيرة العربية، إذ ظلت

الجزيرة العربية، منذ الهجرات السامية الأولى الخزان البشري الذي يفيض على الأطراف إلى بادية الشام ثم الفرات، أو سلكت طريق العراق، ثم استقرت في وادي الفرات في الجزيرة والشامية...

واختلاف الحياة، ونمط المعيشة بين البدو والريفيين، نصف المتحضرين، ساهمت في تنوع أساليب القص، وموضوعات الحكي والسوالف، وإذا كانت أساليب القص المنتشرة عند هؤلاء وأولئك لا تختلف إختلافات جوهرية إلا أن لكل منهما أساليبه المتميزة التي تسعى لتوكيد ذاتها.

فالبدو مثلاً، يميلون إلى الحكي عن شخصيات حقيقية كانت فيما مضى، وهذه الشخصيات إما رؤساء قبائل أو شعراء أو عشاق، أو يجمعون هذه الصفات في شخصية واحدة.

وحكايات الأبطال هي حكايات عن الأسلاف، إذ أن هؤلاء شخصيات حقيقية كان لها أثرها الكبير في حياة القبيلة، في صراعها مع الطبيعة والجفاف، أو المرض ،أو في صراعها مع القبائل الأخرى.

أما حكايات العشاق و الشعراء فهي أيضاً غالباً ما تدور حول شخصيات واقعية وتتحدث حكاياتهم عن عشق متميز ونادر، أو ثأر، أو بطولة نادرة، أو كرم لا مثيل له، أو وفاء، أو شهامة، أو نذالة، أو فراسة... وقد تتحدث عن عزيز قوم ذل، غدر به الزمان، وانحطت به الحال، وعمل عبداً يدق القهوة عند الشيوخ، أو ضيفاً... ويظل هذا تدل عليه أفعاله وتصرفاته، وتنبيء عن أصوله الكريمة، إلى أن يحدث ما يجعله يكشف عن شخصيته الحقيقية.

وحكاياتهم هـذه، وإن كـانت تبـدأ في قبيلـة تمجيـداً لأبنائهـا وأسـلافها، وتعظيماً لشأن أبطالها وعشاقها وشعرائها إلا أنها لا تلبث أن تشيع بين القبـائل جميعاً، يتناقلونها، ويتحدثون بها تزجية للفراغ، وتذاكراً في البطولات، وطريقة واسلوباً لنقـل القيـم والمعـارف، فـالحكي هـو أهـم أسـلوب تربـوي ينقـل قيـم الجماعة، ويصوغها ويحافظ عليها وقد قيل عن البدو إن (مدارسـهم مجالسـهم)، أو بالعكس.

وحكايات الأسلاف خاصة تشيع في كل قبيلة على حـدة، إذ لكـل قبيلـة أسلافها وعظماؤها الذين تعتز بهـم، وتفتخـر بهـم، وتبـاهي بهـم بـين القبـائل الأخرى، وحكايات الأسلاف هي مادة أساسية للفخـر فكـل يذكـر حكايـات أجداده ويبهرها لتسطع ولتخمل حكايات أجداد الآخرين.

أما حكايـات الشـعراء والعشـاق والنـاس العـاديين فتشـيع وتنتشـر بينهـم جميعاً.

وهذه الحكايات لا تخلو في حقيقتها من القصيد المحبب إلى قلب البـدوي، ففي المواقف الحرجة تبرز القصيدة كأسلوب أعلى مـن أسـاليب التعبـير، يجـبّ النثر ويرتقي إلى سدة الاقناع بما يحدث، أو يصـدق الحديـث النـثري ويؤكـده، وحين تستمع إلى هذه الحكايات يخّيل إليك أنه مامن بدوي أو بدوية إلاّ ويقول القصيد ويفهمه، فالعاشق الذي يرى فتـاة للمـرة الأولى تبهـره بحسـنها وجمالهـا يقول بيتاً أو أبياتاً من الشعر فترد عليه الفتاة ببيت آخر يكون جواباً لمـا ورد في

أبياته. وقد يقع الرجل في ضيق فيقول بيت شعر فيفهمه من حوله، فالشعر ابن التجربة ينبع منها، ويتفاعل معها، ولا يقال هكذا جزافاً، بل لا بد من ارتباطه بحدث ما.

كذلك فإن الحوار، في حكايات العشق خاصة، ليس حواراً مباشرا، إنه لمحات، أو إشارات أو كنايات ، أو توريات تحتاج إلى سرعة بديهة لإدراكها، أو خبرة طويلة لمعرفة فحوى تلك الإشارات أو الكنايات أو الإجابات المبهمة...

وتمتاز تلك الحكايات بفطنة أبطالها، وقدرتهم على إدراك اللمحة العابرة، والإشارة السريعة، كما يمتازون بسرعة البديهة والشهامة والنخوة، والفراسة، بل إن حكايات الفراسة، غير المعلّلة أحياناً، تشكل تراثاً كبيراً بين حكايات البدو، ففي هذا المجتمع الذي لا شيء يسجل فيه، ولا دوائر للنفوس ، والفرد لا يفصح عن نفسسه، ولا ينسب نفسه إلى قبيلته إن كان في أرض غريبة خوفاً من الثأر، فإن ذلك يجعل الفراسة هامة حيث ينسبون الناس إلى قبائلهم، أو حتى إلى آبائهم دون أن يتكلم هؤلاء، أو يفصحون عن أسمائهم...

وفي هذا المجتمع حيث العرف والعادة، لا القوانين المكتوبة هي التي تفصل في المنازعات والخلافات، يظهر العارفة، وقد يكون رجلاً أو امرأة واضح الرؤية دقيق الحكم.

إن الكثير من الحكايات تتحدث عن هؤلاء، وتؤكد صواب نظرتهم، ولعلها بذلك إنما تهدف إلى وظيفة محددة، وهي عدم الشك، في أحكامهم.

وللغزو أثر كبير في نشأة ونقل حكايات البطولة حيث يمجدون أبطالهم، ويعبؤون النشء بأفكار البطولة في مجتمع يؤرّخ له بأيامه وغزواته، كما كانت الحال من قبل عند أسلافهم الجاهليين،

أما حكايات العشاق والشعراء التي تتحدث عن العشق فإنها غالباً ما تكون تعويضاً عن الحرمان الواقعي، فضلاً عن أنها تتغنىّ بالرحيل والهجرة والأحبة الذبن بانوا، استجابة لواقع الحال القائم على حياة التنقل والرحيل عندهم.

ويشارك الريفيون البدو في هذا فينقلون الحكايات البدوية، ويعجبون بها، ويستلذون بها، ويحفظون قصائدها، ويروونها مقلدين اللهجة البدوية في الحوارات، وفي القصيد على نحو خاص .

لكنهم بالمقابل ينشؤون حكاياتهم الخاصة التي من هذا القبيل، فيتحدثون عن شخصيات بطولية في حياة العشيرة هم غالباً أسلافها وشيوخها الأولون الذين امتازو بالفراسة أو الفروسية والشجاعة النادرة، والكرم الحاتمي.

وكثيراً ما يتحدث الشخص صاحب البطولةعن بطولته، ثم ينقلها أبناؤه، أو أفراد قبيلته، وفي هذه المرحلة، حين يعاصر الراوي صاحب البطولة فإنه يسند القول إلى صاحبه، فيقول: (قال: قلت: لأصحابي)، أو قال: التفتُ إلى جماعتي....وحملت بارودتي...

ثم بعد ذلك تنتشر الحكاية، ويغيب راويها «الصحابي» الذي سمعها مباشرة من فم صاحبها، وبالتالي يغيب الاسناد، وفي حالات كثيرة تظل هذه

الحكايات تروى على لسان صاحبها، فلا تذكر سلسلة الإسناد، ولكن الراوي يسند القول مباشرة إلى البطل نفسه، إذا كان هو من روى الحكاية عن نفسه.

وقد تتحول هذه الحكايات إلى حكايات عامة تنقل إلى القبائل الأخرى، وذلك حسب قوة القبيلة وإنتشارها، وتأثيرها في محيطها من القبائل المجاورة.

وطرائق النقل متعددة فإذا حدثت مناسبة عامة، أو شجار بين قبيلتين وجاء الشيوخ والعارفون ليكونوا حكماً بينهما، واستضافتهم احدى القبيلتين، فإن الشيوخ يطلبون من الرواة المتميزين فيها أن يتحدثوا عن حكايات أجدادهم وأسلافهم فيذكرون الحكايات بحسب ما امتاز به جدهم فقد يكون عارفة، وقد يكون مشهوراً بالبطولة، وقد يكون مشهوراً بالكرم فيتحدثون بحكايات تناسب المقام.

وقد يقص الضيوف أنفسهم بعضاً من حكايات أسلاف القبيلة المضيفة إظهاراً لإحترامهم لها، وتودداً، وقد شهدنا حكومة من هذا القبيل، في قرية «قصيرة محمد الجربوع» في محافظة الرقة...

وعلى كل حال فهذه احدى الطرق في انتقال الحكايات، وانتشارها.

وفي صراع القبائل المميت تنظر كل قبيلة إلى الأمر من وجهة نظرها، فعن غزوات واحدة ومتبادلة بين طرفين، ينشىء كل طرف حكاياته التي تمجد أبطاله، ويعتمد حكاياته،، ولا ينقل حكايات الطرف الآخر، أما إن كان الصراع موجهاً إلى عدو مشترك لتجمع قبلي، أو كان ضد عنصر أجنبي فإنهم يحافظون على هذه الحكايات، ويتناقلونها، مثل الحكايات البطولية الفرديةأو

الجماعية ضد الأتراك أو الفرنسيين، أو ضد عدو مشترك من تجمع القبائل، وهذا كثير جداً خبرته العشائر الفراتية في صراعها مع تجمعـات عشـائرية مناوئـة لها: مثل البدو، وجيس ...، إنها أيام كأيام الجاهلية، يوم لك ويوم عليك، الصـراع سجال، والنصر سجال، وكل يصوغ حكاياته التي تمجده، لكـن هـذا الصـراع انقرض منذ وقت غير قليل.

وتنشأ الحكايات أيضاً وتنتشر من خلال الصراع الإعلامـي بـين القبـائل، فالقبيلة نفسها تمجد أبطالها، فتحكي عن أسلافها الأبعدين والأقربـين حكايـات عن كرمهم وفروسيتهم، وذكائهم، وشهامتهم، وبالمقابل تخلق حكايات مزريـة تحط من شأن أسلاف قبيلة معادية فتصفهم بـالبخل أو بـالجبن أو بـالكذب، أو عدم الرصانة، أو قلة الديـن...، وتكـون حكايـاتهم عـن خصومهـم أقـرب إلى النكت والظرائف والنوادر...

وكـل قبيلـة تخلـق أسـاطيرها الـتي تـدور حـول الأسـلاف، وتكـون «الأسطورة» عادة متناسبة مع ما يشيع عن هـذه القبيلـة، فالقبيلـة الـتي تعـرف بالكرم وتشتهر عادة به، تخلق اسطورة تتناسب مع ذلك، والتي تعُرف بالبطولـة والفروسـية تخلـق أسـطورتها البطوليـة، والـتي تشـتهر بـالتدين تخلـق أسـطورة «كراماتية». من كرامات الأولياء. من ذلك أن «الحليبين» قبيلة اشتهرت بأنها من أولاد الشيخ عيسى، وبأن نسبهم يرجع إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أي أنهم (حسينية)، وهم يفسرون تسميتهم باسم الحليبـين بأسـطورة تعـود إلى أحد أجدادهم، إذ كان جدهم في بيته عندما قدم عليـه عـدد كبـير مـن الجنـود

الأتراك، فقدم لهم كل ما يملـك في بيتـه، ولكـن هـؤلاء رأوا أن يسـخروا منـه، فقالوا له: نريد حليباً.

قال: ليس لدي إلا هذا التيس..!

قالوا: احلبه!

وراحوا يقهقهون ساخرين، فنخا الشيخ أجداده، وشمر عن سواعده، وقـد تملكه الغضب، ومد يديه إلى التيـس مسـمياً باسـم الله الرحمـن الرحيـم، فـراح التيس يحلـب وارتفعـت الرغـوة أشباراً فـوق الحليـب، وشـرب الجنـد الـتركي وغيرهم حليب التيس ..!

أما حكايات العشق ـ عند الريفيين ـ فهي أحياناً حكايات واقعية، وأحياناً خيالية، وحتى تلك التي لها أصول واقعية فإن الخيـال، وميلهـم إلى الدهشـة والإبهار تجعلها بعيدة عـن الواقـع ومغرقـة في الخيـال، وفي كـل الأحـوال فهـي حكايات تنتهي غالباً بالفشـل الذريـع والخيبـة والجنـون والمـوت، وتتشـابه مـع حكايات العذريين.

هـذه الخياليـة في حكايـات العشـق عنـد الريفيـين، تقابلهـا الواقعيـة في حكايات العشق البدويـة، وإذا كـانت هـذه الأخـيرة لا تنتهـي غالبـاً نهايـات فاجعة، فإنها تمتاز، في كثير من الأحيان بسرعة البديهـة، وبحيوية مدهشة.

وتلـك الحكايـات البدويـة تحتفـل بـالقصيد أيمـا احتفـال، فتغـص بأبيـات الشعر، أما عند الريفيين فإنها تحتفل بالأغاني فتغص بها.

إن حكايات العشق لا تكون دون قصيد أو أغانٍ.

إن الكثير من حكايات البطولة أشبه بملاحم عن شخصياتها، ولكن هذه الملاحم تقتصر غالباً على حدث أو فعل معبر هو مقصد الراوية من روايتها، إنها أشبه بالأخبار التي تتناولها كتب التراث العربي في حديثها عن شخصية ما.

فتروي بطولتها أو طرفاً من أخبارها، ولا تروي حياتها كاملة، بل إنها لا تعْنى بإيراد حياتها، بل تعْنى فقط بالموقف المعبر، واللحظة المختارة التي تستحق أن تسجل. وحتى حين تتحدث باستفاضة فإنها تحشد جملة من المواقف أو الحوادث كل موقف أو حادث يقوم بنفسه والجامع بينها هو الشخصية، فحياة الشخصية ليست استمراراً، بل هي ما يبقى فقط من مواقف أو حوادث تستحق التسجيل، ويمكن أن تكون شيئاً مؤثراً ومأثوراً.

إن هذه الحكايات لا تقع ضمن حكايات البطولة ليس لأنها تفتقر إلى البعد التراجيدي، ذلك أن السير الشعبية، وهي حكايات بطولية تفتقد إلى البعدالتراجيدي، و لكنها حكايات شعبية، فهي واقعية المنحى، تهتم بالتجربة والبيئة وتهدف إلى غاية أو غايات معينة، وأبطالها واقعيون لا يقاتلون حيوانات خيالية خرافية، بل يواجهون شخصيات حقيقية من لحم ودم يبرزون لهم فيقاتلونهم قتال رجل لرجل، أو يواجهون حيوانات كاسرة (الأسد ـ الذئب) فيتغلبون عليها بشجاعتهم وقوتهم.

إن البعد التراجيدي في الحكاية غالباً ما يظهر في حكاية العشق الريفية، فالموت أو الجنونأو الضياع هو المصير النهائي للبطل أو البطلة.

والحكايات الشعبية متنوعة جداً، فالحكايات الساخرة منها أشبه بالطرائف، ويمكن أن نسميها (النوادر)، وذلك بالمعني اللغوي الأصلي لهذه الكلمة،أي ذلك القليل الوقوع، وما يحدث نادراً وقليلاً، وكل ما هو خارج عن المألوف يحدث قليلاً ونادراً شأن هذه الحكايات.

إن النوادر حكايات شعبية بحد ذاتها، إنها حكايات ساخرة، لكنها غالباً قصيرة جداً تقتصر على حدث يبرز سلوكاً مستهجناً، أو طبعاً سيئاً... يثير الضحك، ويبرز ذلك من خلال المفارقة بين ما يجب أن يكون عليه السلوك أو الإستجابة، وبين ما يحدث فعلاً، وقد نما ـ أغلب هذا النوع من الحكايات في الصراع الذي كان مستعراً بين البدو والريفيين، وبين هؤلاء والمدنيين..!

كل ينشيء حكاياته ونوادره للسخرية من الآخرين، وقد تكون هذه الحكايات في غير ذلك أيضاً.

وهم يطلقون على هذه الحكايات كلها كلمة (الحكي)، أو (السوالف)، ونادراً الحكاية.

والحكي كلمة عامة، ومنها أخذت الحكاية، وهي ذات شكل معين من الحكي، وهم بالتالي يكادون يستخدمون كلمة (الحكي) بمعنى الجمع أي الحكايات، أي في جلسة واحدة لا يحكون حكاية واحدة، بل يتذاكرون الحكايات، ويذكر كل منهم بعض ما يعرف منها.

أما كلمة (السالفة) فهي أيضاً تدل على الموضوع، فالسالف هو المتقدم، والسلف والسليف والسلفة: الجماعة المتقدمون.

والأمم السالفة: هي الماضية، وتجمع: سوالف، هـذا مـا تجده في اللسـان، ولكن معناها تطور فيما بعد نتيجة الاستخدام الكثير، فبدلاً مـن أن تـدل على الأمم السابقة، أو الجماعة المتقدمة أصبحت تدل على الحكايـة الـتي تـروى عـن هؤلاء، ولهذا الإنتقال في المعنى نظائر كثيرة في العربية.

و لم يستخدم العرب فعـلاً لهـذه الكلمـة، ولكـن الفراتيـون اشـتقوا منهـا، وتصرفوا فيها تصرفاً واسعاً بحسب حاجتهم، فقـالوا: سـولف يسـولف سـالفة، وس لوفة، والجمع السوالف والسواليف ولعل جمعاً لسلوفة، ا، جمعاً للجمع.

وعلى كل حال فإن الانسان هنـا لايحكـي إلا عمـا سـلف، عمـا حـدث وانتهى وأصبح في ذمة الزمن.

وهم عادة يميزون بين السوالف والحكي مو جهة،وبين الخرافات من جهـة ثانية،فالخرافة غير السالفة،ويقولون أيضاً (الخرّوفة) ويجمعونها على (خواريـف) والفعل: خورف يخورف خرّوفة.

وتكاد تقتصـر الخرافـة علـى الأسـرة، فالأسـرة وحدهـا هـي الـتي تتنـاقل «الخروفة»، أو تتذاكرها الفتيات من الأسر المختلفة حين يجتمعن، أمـا المجـالس الأخرى فلا تذكرها، و لم أصـادف أبـداً جمعـاً مـن الرجـال، أو جلسـات عـدة عائلات مع بعضها بعضاً «يتخورفون» بـل هـم يحكـون فقـط، أو يتسـولفون، وهـذا يسـاعدنا كثـيراً في تصنيـف الحكايـات الشـعبية والحكايـات الخرافيـة، فنستطيع أن نفصل بينها بسهولة نسبية.

وهم حين يتحدثون فيحكون الحكايات الشعبية، كثيراً ما يقدمون لذلك بالحديث عن غرضهم من عرضها خاصة إذا كانت حكايات وعظية، أو يذكرون غرضهم في نهاية الحكاية مقارنين بين ما تقوله الحكاية وواقع الحال فلعرضها غرض انتقادي، فهم يقصون حكاية تتشابه مع واقعنا الحالي وتدل عليه وتنتقده..

وقد يغيب الغرض النقدي، فالمقصود برواية الحكاية هو مجرد التسلية، وحكايات التسلية وتزجية الفراغ دون هدف محدد كثيرة.

وعلى كل حال فإن إحدى أوجه الاختلاف بين الحكاية الشعبية والخرافة، أن الخرافة لا تستخدم الشعر أبداً كالحكاية الشعبية، ولكنها تستخدم عبارات مسجعة في المواقف الحرجة أو الدقيقة أو الهامة، وتؤكد المعاني من خلال تكرارها.

والخرافة، خلافاً للحكي والسوالف والنوادر، لا تُحكى في النهار مهما كان السبب لأن (اللي يخورف بالنهار يصير حمار).

بقي أن نتحدث هنا عن الأحاجي والألغاز والنكت، إذ نجد أحياناً أن الحكاية تتألف من أحجية أو لغز أو نكتة، والحقيقة أن هذه هي أحدى الطرائق لتوصيل الأحجية أو اللغز أو النكتة إلى المستمع، فهذه ليست من أشكال القص ولكنها قد تكون هي العنصر الرئيسي أو ا لسائد أو المسيطر في الحكاية، إنها من موضوعات الحكاية، فهذه العناصر تدخل في الحكاية، وتحمل لها طابع التشويق والتسلية والمتعة أو النقد.

كذلك نلاحظ أن بعض الحكايات تقوم على شرح مثل شعبي أو عدة أمثال شعبية، وعموماً فإن استخدام هذه العناصر (الأحجية ـــ الأمثال الشعبية...) لا يجعل الحكاية مقبولة، ومفعمة بالحكمة فقط، بل إن هذه العناصر نفسها تصبح مقبولة من المستمع، ويقبل عليها بشغف، ويستوعبها بسرعة لأنها وردت في إطار حكاية، فالذهن الشعبي لا يلجأ إلى الأسلوب التعليمي المباشر، بل يصل إلى هدف التربية عن طريق المتعة.

أما الحكاية التعليلية أو التفسيرية وهي كثيرة فيمكن إدراجها تجاوزاً في مفهوم الأسطورة، الأسطورة بالمعنى العام للكلمة، ذلك أن الأسطورة تدور حول الآلهة والأحداث الخارقة، وتشرح بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون والطبيعة والعادات الاجتماعية، وما زالت هذه الحكايات ذات طبيعة اعتقادية، وخاصة تلك المرتبطة بالدين الإسلامي.

من ذلك مايروونه من أن الرسول الكريم هرب من أعدائه مع جمع من أصحابه، بعد أن انهزموا في معركة كانت الكفة فيها راجحة لمصلحة الأعداء، واختبأ الرسول وصحبه في قطيع من الماعز، فهربت الماعز، وتفرقت شذر مذر، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم الله يفضح الماعز كما فضحتنا، وقال لأصحابه: الجؤوا إلى قطيع الغنم، فاندسوا بين الأغنام، فانضمت هذه إلى بعضها بعضاً لتخفيهم عن الأنظار، فقال الرسول: الله يستر الغنم كما سترنا.

ولهذا كانت الماعز مكشوفة الحياء، والغنم تسترها ألياتها.

ومن ذلك أيضاً: أن امرأة كانت تخبز على الصاج، وكان ابنها يعبث بالقرب منها، فوسخ نفسه،فتلفتت الأم لتبحث عن شيء تمسح به الولد فلم تجد، فأمسكت «النعمة ـ الخبز»، ومسحت مؤخرة الصبي، فدمر الله البلد وحولها إلى أطلال دارسة، وخرائب، وانقلب الولد إلى قرد محروق المؤخرة (لذلك فإن مؤخرة السعدان حمراء)، وتحولت المرأة إلى بومة تنعق في الخرائب.

هذه الروح التفسيرية لا تقتصر على «الأساطير» ولا تتوقف عند المظاهر الاعتقادية،بل تشمل كل شيء يصادفه الانسان الشعبي، فهم غالباًما يرتجلون حكاية أو يخلقونها لتفسير «الأسماء» أسماء البشر والقرى والأماكن والألقاب.. وغير ذلك.

* * * * *

بنية الحكاية الشعبية الفراتية[٢٠]

مما تتألف الحكاية؟ وكيف تكون؟ وما شكلها؟ وما دلالاتها؟

لا نزعم هنا أننا سنقدم دراسة مورفولوجية على غرار دارسة فلاديمير بروب آخذين بمنهجه، معيدين الحكاية كلها إلى شكل أو قالب واحد تنطلق منه بالرغم من تنوعها واختلافها الظاهر، ولكننا سنتناول الحكاية بطريقة تقليدية مستفيدين بشكل ضمني من منهج بروب، منطلقين أساساً من اعترافنا بالنتيجة التي توصل لها وهي أن الحكايات الخرافية بالرغم من تنوعها الظاهر ترجع كلها إلى نمط واحد تصدر عنه.

أ ـ البداية (الاستهلال):

تبدأ الحكايات الخرافية الفراتية على النحو التالي:

ـ كان يا ما كان نحكي ألاّ نّام؟

ـ نحكي

هذا هو الأكثر،ولكن قد يبدأ الراوي بالقول:

ـ أكسبكم الصلاة على رغيف وبصلة.

ـ اللهم صلي على سيدنا محمد.

أو:

ـ أو ما نبدي بالصلاة على سيدنا محمد.

- اللهم صلي على سيدنا محمد.

أو:

-كان، وأنتم سالمين.

- الله يسلمك.

الحكاية هي اتفـاق بـين طرفـين المُلقـي والمتلقـي، وهنـا لا يكـون المتلقـي واحداًإلا في حالات نادرة،صحيح أن الحكي لا يكون إلا باثنين، ولكن المتلقـي هنا متعدد، أطفال وفتيات ونساء..

وإن لم يبد الملقي اهتمامه ورغبته في الحكي فـإن الحكايـة لـن تـرى النـور كما يجب، بل لـن يبـدأ الملقـي في روايتهـا أصـلاً، فخلافاًللكتـاب، فـإن فنـون الأدب الشعبي التي تروى شفاهاً ومواجهة تشبه المسرح في هذا، إذ قد ينصـرف المتلقـي عـن الاهتمـام بالحكايـة إن لم تعجبـه، وسـينصرف عنهـا إن لم تشـده، وابتداء لابد أن يعلن وبصوت مسموع كل من الطرفين رغبته في الحكاية.

يبدأ الملقي بتنبيه المستمعين إلى أنه سيبدأ الحكاية فمـاذا يختـارون النـوم أم الحكاية؟ (كان يا ما كان في قديم الزمان نحكي ألآنام؟) إن الاتفاق حقاً، وقـع قبل هذا، ولكن هذا القول تأكيد له، وتنبيه للمستمع كي يصغـي، أمـا إن أراد النوم فلينصرف منذ الآن، ولا يقطع الحكاية، بعد ذلـك، أو يقاطعهـا لأن أشـد ما يزعج الراوي هو أن تقاطع حكايته، وهو يرويها، وإن رأى انصرافاً عنهـا،أو تدخـلاً فيهـا، أو سـخرية مـن أحـد المستمعين انصرف عـن إلقائهـا مغاضبـاً ومنزعجاً، فيزجر بقية المستمعين المستمع المشاغب، ويرجون الراوي الاسـتمرار

في روايته، وقد يستجيب أو لا يستجيب، وهم في زجرهم للمستمع المشاغب، أو في زجر الراوي له يسخرون قائلين: ابعص الراوي ولا تبعص السالفة. أي لا تتدخل فيها، لأن ذلك يتساوى مع هذا الفعل المنافي للحشمة.

والراوي أصلاً، يدرك سلفاً أنه إن لم يسيطر على المستمعين فإن حكايته فاشلة، يجب أن يتحقق الإيهام، ويجب أن يتحول المستمعون إلى آذانٍ صاغية، وعيون مفتوحة ومندهشة، ولا يتدخلون في الحكاية، ويقاطعون الراوي بأنه أخطأ هنا،وأن الرواية الصحيحة ليست على هذا النحو،مثلاً، بل هي على نحو آخر.

إن الراوي وكان يشير أحياناً إلى أن حكايته هي كذب في كذب، من أولها إلى آخرها، إلا أنه حين يباشر في روايتها يباشر بجدية، ويصبح الإيهام الذي نبه المستمعين إلى عدم الوقوع في شراكه هو الهدف الذي يؤكد ما إذا كانت الحكاية تسير في طريق الفشل أو النجاح.

وقولهم (نحكي ألاّ نّام) تفصح من جانب آخر عن اعتقاد شعبي يرى أن (الخرافة) لا تحكى إلا ليلاً، ويُحذر من روايتها نهاراً تحذيراً قاطعاً (اليخورف بالنهار يصير حمار)، ولا ندري السبب الحقيقي الكامن وراء ذلك، ولعله يعود لإدراكهم أن النهار هو للعمل والكسب والسعي وراء الرزق، أما الخرافات فهي تلهي الانسان وتصرفه عن عمله، لذلك حذروا من حكاية الخرافة نهاراً وأجازوها ليلاً، لأن الليل بهدوئه وسكونه وتوحده يفتح المجال واسعاً للخيال

المبدع، ويقتصر هذا التحذير على الخرافة، أما الحكايات الشعبية الأخرى فلا تبدأ بهذا الاستهلال، وتحكى في كل وقت.

وغالباً، إن لم نقل دائماً، فإن الإجابة تكون:نحكي..! فمن ينصرف عن الحكاية إلى النوم،النوم فعل البهائم، والحكي فعل الانسان، كما تعبر بعض الأغاني الشعبية عن ذلك (النوم للبهايم وأهل الهوى بالويل..).

وقد يكون تنبيه المستمعين بشكل آخر، فبعد أن يجري الاتفاق على الحكي،يبدأ الملقي منبهاً المستمعين قائلاً: أكسبكم الصلاة على رغيف وبصلة.

ويكون الجواب:اللهم صلي على سيدنا محمد.

أو:

ـ أول ما نبدي بالصلاة على سيدنا محمد.

ـ اللهم صلي على سيدنا محمد.

أو:

ـ كان، وأنتم سالمين.

ـ الله يسلمك.

وفي الأخيرة يكون قد بدأ الحكاية فعلاً،والجملة الاعتراضية، وأنتم سالمين، تكون رداًعلى (كان) تلك التي تشير إلى أن من ستحكى عنهم الحكاية أصبحوا في عداد الأموات، مضوا وانتهوا، والراوي يطلب البقاء والسلامة للحاضرين ليتجنبوا مصير السابقين السالفين.

كل ما ذكرناه يعتبر استهلالاً، وتنبيهاً، فالبداية لم تبدأ بعد، إن الاستهلال ليس جزءاً من الحكاية، ولا بداية لها، ولكنه يسبق البداية لينبه السامعين، ليثير فضولهم، وليهيئهم للإصغاء، وليذكرهم بشروط الإصغاء أيضاً.

أما البداية نفسها فغالباً ما تبدأعلى النحو التالي، في كل حكاية خرافية (كان يا ما كان،في قديم الزمان رجل ومرته..) أو (كان يا ما كان، كان رجل ومرته) أو (كان يا ما كان،كان في قديم الزمان رجل ومرته..). إن الزمن دائماً هو الزمن الماضي ، إضافة إلى ذلك يذكر هذا الزمن صراحة (قديم الزمان)، وقد تبدأ الحكاية(كان رجل وبنته...) أو (كان هناك امرأة لا تحبل ولا تجيب...) أو (هناك رجل ومرته..) أو (بيه ملك وعنده ثلاثة أولاد..)، إن «بيه» تعني وجد وذلك في الزمن الماضي، وقد تستخدم (بيه) أو (هناك) مركبة مع كان فيقال (كان بيه...)، أو (كان هناك...)، أما المكان فهو يقع أيضاً بعيداً عنا كالزمن، فهناك وجدوا لا هنا...

وتستمر المقدمة بعد ذلك، ولنأخذ مقدمة كاملة لإحدى الحكايات (كان هناك رجل ومرته عاشا بعيداً عن ابنتهما المتزوجة وفي يوم من الأيام، وقد أحسا بالوحشة قال الرجل لزوجه: لنذهب يامرة ونزور بنتنا الوحيدة اشترى الرجل محرمة وحذاء وعكة سمن وثوباً وسارا...)[٢١].

هذه هي المقدمة كاملة، وبعدها تبدأ مغامرات الزوجين (قيقة وما قيقة)، حين يتوجهان إلى ابنتهما، وما يلاقيانه في سفرتهما الملحمية، ومغامراتهما الدونكيشوتية.

والمقدمة تصف وضعهما وما قرراه ليبدأ جسم الحكاية مـن بعـد، وقولهـم (في يوم من الأيـام) هـو نقطـة البدايـة عـادة في الإنتقـال مـن المقدمـةإلى جسـم الحكاية، إذ منذ هذا اليوم ستبدأ سلسـلة الحـوادث تـترى وتتنـامى، أو تتكـدس وتتابع...

فهذا اليوم يختلف عن غيره لأن الحوادث تبدأ به، بغـض النظـر عـن زمنـه قبل الأحداث.. ولا يحدث هذا في المقدمة فقط، بل قد يقع أيضاً داخـل جسـم الحكاية، بل إنه يستخدم بشكل دائم عند حدوث نقطة تحول، إنـه يشـير دائمـاً إلى بداية التحول، فقد تمر الأيام تسير على حال واحدة من الرتابـة إلى أن يـأتي (يوم من الأيام) فتبدأ الأمور بالتحول، إن الزمن الماضي قبله متشابه، لا تفـترق فيه الأيام عـن بعضهـا بعضـاً، وبـه يبـدأ الزمـن الحقيقـي، زمـن الحـدث، زمـن التحول، فهو نقطة فاصلة، إن الزمن الحقيقي يبدأ بالحدث، بنقطـة فاصلـة تغـير الرتابة فيما قبلها، وعلامة هذا التغير قولهم (في يوم من الأيام)، فالزمن بالنسـبة لهؤلاء الذين يعيشون حياة متشابهة،وأياماً متشابهة، هو الحدث، الفعل، ما يقـع وسط الأيام المتشابهة ليفرق بينها، ليفرق بين عماء غير متحدد ولا شـكل لـه، وبين الجديد، الحي.

على كل حال فإن حكاية قيقة وصاحبها تبدأ عند سيرهم إلى ابنتهم، وإن كان قولهم (في يوم من الأيام) هو نقطة التحول أو بدايته، فهما زوجان يعيشان بعيداً عن ابنتهما المتزوجة، وهما يعيشان حياة متشابهة رتيبة حتى يقررا السـفر (في يوم من الأيام) فيبدأ التبـدل في حيـاتهم، بـل إنهمـا يتخلصـان مـن العمـاء

الزمني ليدخلا في الزمن الحقيقي، وهو وإن ظل مبهماً، إلا أنه لم يعد متشابهاً مع ما سبقه، ما سبقه هو الموت، لا حياة، ولا وجود ولا حكاية قبله، إنه كالموت في الحياة، الحياة الحقة والوجود الحقبقي يبدأ بالفعل، بالتحول، ما قبل الحدث كانت الحياة موتاً أو كالموت، ومع الحدث تبدأ الحياة، فالحدث ـ الحكاية إحياء.

وفي حكاية حنيصر (كان يا ما كان... خلف الله لهم من كرشة ساق العجوز ولداً صغيراً سموه خنيصر... كان الأب يخرج إلى الحقل... وخنيصر مع أمه في البيت.. وذات يوم...)[٢٢].

(وذات يوم بداية التحول، وبالرغم من أنهم مروا بتحول كبير فيما سبق وهو ولادة (خنيصر) من كرشة ساق العجوز، إلا أن حياتهم بعدها أصبحت رتيبة ـ إنها أيام تجري الأب يذهب إلى الحقل، والأم مع خنيصر في البيت، إلى أن قال خنيصر لأمه (ذات يوم) سآخذ غداء أبي إلى الحقل، عندها بدأت الحكاية بالتطور.

وفي حكاية الكلب الأسود[٢٣] أن امرأة لا تحبل ولا تجيب تنذر نذراً إن أطعمها الله بنتاً ستعطيها للكلب الأسود، فتحبل وتلد بنتاً، وكما تلاحظ فالمقدمة موجزة غالباً، وما يحدث فيها يحدث تواً، فهي تطلب من الله أن تحبل فتحبل وتلد، لا فرق بين الأمنية والحبل، ولا فرق بين الحبل والولادة كل ذلك يتم بمجرد النطق بالكلمة (كن فيكون).

وهذه سمـة أساسية في الخرافـة، إذ كثيراً مـا يحدث هـذا الإيجاز داخـل الحكاية نفسها، فلا فرق بين النطق بالكلمة وحدوث الفعل ففي حكاية (وديعة والحنفيش)[٢٤] تطلب وديعة من الله أن يحول الحنفيـش إلى (مـدق صوان على مفـرق الـدروب)، ويطلـب الحنفيـش أن تتحـول وديعة إلى (سـلوقية عرجـاء) فيتحولان توّاً.

وفي حكاية بقيرة اليتامي (... رجل ومرتـه وعندهـم ولـد وبنـت وبقـرة، وذات يوم توفيت المرة، فتزوج الرجل أخرى...)[٢٥] إن وفاة الأم ومجيء الخالـة زوجة الأب هو الذي يحدد نقطة التحول هنا، بين استقرار فيمـا مضـى وبـين اضطهاد مقيم، ولكن هذا التحول أيضاً بفعل استمراره يصبح حالة من الثبـات دائمة ومقيمة لا تختلف عما سبق.

الإسـتقرار في عهـد الأم، والاضطهـاد في عهـد زوجـة الأب، إن حالـة التحول تتهدد بفعل التكرار لتكون حالة ثبات دائمة، إلى أن يأتي يوم تشك فيه الخالـة في الأمـر فترسـل أبناءهـا ليتجسسـوا علـى أخوتهـم فيكتشـفون السـر.. يكتشفون لماذا يسمن أخواهما، ولماذا يزدادان هما نحافة... وهنـا يبـدأ التحـول من جديد، وعموماً فإن السرد في الحكاية هو مراوحة بين استقرار ثم كسر لهذا الاستقرار، بين حالة ثبات ثم نقطة تحول، ثم عودة إلى حالة الثبـات، ثـم نقطـة تحول وهكذا..

وقد تطول المقدمة أحياناً، وهذا في حالات نادرة، وعندهـا تكـاد المقدمـة أن تشكل حكاية بنفسها، بل لعل الأصل أنهما حكايتان ربطتا معاً مثل حكاية

(جمل غيدة)[٢٦] فالمقدمة طويلة حيث تذهب غيدة مع أترابها لجمع الحبتوث، فتصعد إلى الشجرة وتهزها لهن فيلتقطن الحبة الجيدة لقداحهن، والحبة الفاسدة لقدح غيدة، وحين تكتشف خداعهن تعود وحدها من جديد لتقطف الحبتوث... وحين تعود إلى القرية يتلقينها ويقلن لها أن أهلهن اشتروا في غيبتها أساور لهن، فتسأل أهلها، أمها وخالتها وحبابتها، ومن أجل الحصول على الأساور تخرج وراء البياع لتبدأ سلسلة الأحداث، والملاحظ هنا أن القسم الأول على طوله لا يكاد يشكل حكاية نستريح لها، فتأخرها له وظيفة، وهو تبرير عدم حصولها على الأساور...

وعلى كل حال فإن المقدمات الطويلة نادرة، ومن ذلك حكاية (فروة السبع)[٢٧] إذا تضم على الأغلب حكايتين فالعزيمة المتبادلة بين الحج لقلق والثعلب تشكل حكاية مكتملة تقريباً، وقد رويت منفصلة بالفعل، ولكن أحد أبطالها تغير إذ بدلاً من اللقلق نجد (الديك)، وذلك في حكاية (عزيمة الحصيني للديك)[٢٨].

واستمرار حكاية (فروة السبع) بعد سقوط الثعلب يتمثل في تبرير كيفية حصول الثعلب على الفروة.

وعموماً فإن حكايات الحيوان غالباً ما تبدأ مباشرة بالأحداث بعد الاستهلال، وإن كان لابد من المقدمة فإنها لا تتجاوز بضعة جمل، وهذا ما نتيقنه من خلال حكاية (عزيمة الحصيني للديك، وإمام الجامع والقنفذ والحصيني، والهدهد يتمرجل).

وهذه أيضاً هي حال حكايات التسلية: كما في حكاية ما تم البرغوث[٢٩] التي تبدأ بأن تطبخ مرة البرغوث شوربة فيقع فيها البرغوث فتأتي القملة، ثم الفريخة...

ولا تكون البداية طويلة في حكاية الحيوان إلا إذا كانت في الأصل حكاية ثانية ارتبطت بأخرى، كما أشرنا سابقاً في حكاية (فروة السبع)، فالعزيمة هي بداية الأولى التي تنتهي بسقوط الحصيني فوق فروة الراعي وسلامته. وبعد ذلك تبدأ حكاية الحصيني مع السبع، أما إذا اعتبرنا الأولى (مقدمة) فإنها مقدمة طويلة جداً لتعليل حصول الحصيني على الفروة.

أما المقدمات التفسيرية فإنها نادرة، وهي تبرز في حكايات الوعظ، وفي الحكايات الشعبية، إذ غالباً ما يقدم الراوي معللاً الأسباب التي من أجلها يروي الحكاية، أو قد يذكر ذلك في نهاية الحكاية رابطاً بين ما حدث قديماً وما يحدث الآن، كما قد يبرر بعض ما نراه غريباً في حكايته فيقول مثلاً (بالزمان الأولي كان الناس يفهمون لغة الطير والحيوان)، مبرراً بذلك حديث الناس مع الطيرو الحيوانات. وقد يقول (بالزمان الأوّلي كان الناس عدهم لله».

أي عندهم لله، فقد يقومون بأفعالهم دون أن يطلبوا أجراً عليها، ولا تدفعهم لذلك مصلحة كما هي الحال الآن، وفي هذا نقد للحاضر، أو قد يقول (أو لي كانت الناس تسفر على الجمال..) وقد يرد ذلك في ثنايا الحكاية، أي حسب المواقع التي تتطلب تعليقاً من الراوي، والتي يرى ضرورة لتفسيرها وشرحها، لأنه يحرص على صدق حكايته، وهذا لايقع إلا في الحكايات

الشعبية، وحكايات الوعظ منها بصورة خاصة، أما في الخرافة، فلا أحد يحرص على التبرير أو التفسير، عليك أن تأخذ ما يحدث بقضه وقضيضه سواء أكان مقنعاً أم لا..

ب ـ جسم الحكاية (العرض):

بعد المقدمة يبدأ جسم الحكاية، أو الأحداث، لأن جسم الحكاية هو سلسلة من الأحداث تنتهي بالخاتمة، فالخرافة أحداث متلاحقة متتابعة، أو متكررة تنتهي بالخاتمة، إذ لا يتلبث الراوي واصفاً أو مفسراً، وكثيراً ما يعبر عن ذلك بطرائق محددة، إضافة إلى طريقة أدائه، ونبرات صوته، وإشاراته، وانفعالات وجهه..

ففي (جمل غيدة) تبدأ الحكاية منذ اللحظة التي تذهب فيها وراء البياع لتحصل على الأساور فيخطفها ويحبسها، ثم يخلصها أخوها ويعود بها، ولكن الحنفيش يخطفها مرة أخرى فتدعو عليه فتتحول هي إلى سلوقية عرجاء، ثم يعيدها الحب إلى صورتها الأولى...

والحكاية طويلة وتكاد تتألف من سلسلة من الوحدات أو الحكايات كالآتي: البنات والحبتوث، غيدة يخطفها الحنفيش وخلاصها منه، الحنفيش يعود إليها مرة أخرى وخلاصها الثاني منه، غيدة وقد تحولت إلى سلوقية ثم عودتها إلى صورتها الأولى على يد من يحبها ويتزوجها.

ولا تشكل هذه السلسلة إلا حكايتين نشعر معهما أن الكلام انتهى ويمكن الوقوف عنده، الأولى: تبدأ من البداية حتى خلاصها من الحنفيش. أما رجوع الحنفيش في المرة الثانية فليس إلا مبرراً لتحولها إلى سلوقية عرجاء، وهذه هي الحكاية الثانية التي تبدأ من تحولها إلى سلوقية حتى عودتها إلى صورتها الآدمية. والحكاية ككل الحكايات الخرافية تعتمد على التكرار: فغيدة تسأل أمها عن الأساور، ثم خالتها ثم جدتها. والسؤال والإجابة عنه تكون بالصيغة نفسها، وبالطريقة ذاتها.

وهي تلحق البائع فتناديه ثلاث مرات بالنداء نفسه، وهو يجيبها ثلاث مرات بالكلمات نفسها وهذا ما يحدث أيضاً حين يكتشف الراعي أنها محبوسة فيخبر أخاها، ويناديها ثلاث مرات لترد عليه في النهاية.

وهذا التكرار، نموذج متكرر لكل الحكايات، وهو الذي يشكل عادة جسم الحكاية سواء أكانت مصاعب لابد للبطل من تجاوزها، أو حواراً، أو نداءاً أو سؤالاً يتكرر ثلاث مرات غالباً، وسبع مرات أحياناً كما في (شجيرة الليل)[٣٠]. حيث تجلس الفتاة المطرودة من بيت أختها تحت الشجرة فيمر عليها الحنافيش، ويسألونها عن سبب وجودها هناك فتجيبهم: أختي المسيخيمة المليخيمة طردتني في ظلام الليل، فيرد عليها الحنفيش: لا تخافين مني وخافي من أخوي السبع الأدرع ذاك).

وهذا يتكرر سبع مرات على عدد الحنافيش. ولكنها تنادي أباها ثلاث مرات وأمها ثلاث مرات حين يشرط عليها الحنفيش ذلك، فإن لم يردا عليها أكلها.

وفي (بقيرة اليتامى) يتكرر المشهد نفسه عدة مرات حين يذبحون البقرة.

وفي حكاية (ابن الحطاب)[٣١] تتكرر المطالب، وتتكرر الشروط، وكذلك في (وديعة والحنفيش) حيث يأتيها الحنفيش ليطلب اصبعها في كل يوم بالطريقة نفسها، وكذلك الأمر في حكاية (محمد والملك الأعمى)[٣٢] والشاطر حسن)[٣٣].. الخ.

أما حكاية (حمامة وفرت)[٣٤] فإنها تقوم على أساس واحد هو الندم والأسف لما فات، وتتألف من سلسلة حكايات كل واحدة تحيل إلى الأخرى، والأصح أن كل واحدة هي ثمن للأخرى، إذا لا يروى صاحب الحكاية حكايته إلا إذا رويت له حكاية أخرى تحيره وتشبه بطبيعتها حكايته هو بالذات، إن الحكاية هنا هي ذات قمية، إنها تجربة وخبرة، ولا أنقلها إلا إذا نقلت إليَّ بالمقابل تجربة وخبرة الآخرين من خلال حكاياتهم، إن مثل هذا التداخل في الحكايات هو أيضاً كقيمة الحكاية أسلوب من أساليب حكايات (ألف ليلة وليلة)، فالحكاية هناك لها قيمة ولها ثمن فقد نشأت في الأصل لغاية في نفس شهرزاد، كذلك فإن المطلوب بثأر يمكن افتداؤه بحكاية أو بعدة حكايات كما في حكاية الجني.

كذلك فإن الحكاية تحيل إلى أختها، أو تحبل بحكاية ثانية، وحكاية حمامة وفرت هي من حكايات ألف ليلة وليلة، ولكنها هنا غير مكتملة.

ج - النهاية:

النهاية دائماً سعيدة حيث ينال الشرير جزاء أفعاله، ويكافأ الخير، ويصل إلى النتيجة التي يود الوصول إليها، مهما كانت قوى الشرقوية وقادرة، حيث يتعرض الخير عادة للامتحان، وتحشد للوقوف ضده كل القوى الشريرة من بشر وجن، فيواجه قوى خارقة تفوقه قوة وقدرة، ولكنه يتغلب عليها في النهاية لا بقوته وفطنته فقط، بل وبإيمانه الذي لا يتزعزع بانتصاره، وبالنية الطيبة.

والنية الطيبة وحدها كافية للانتصار، وكثيراً ما تكون هي السلاح الوحيد الذي يملكه البطل أو البطلة، فالنيه الطيبة هي التي تخلص الأخت في حكاية (بقيرة اليتامى)، لقد تعرضت للظلم، هي وأخوها من زوجة أبيها، ثم تعرضت للظلم من زوجة أخيها، ولكن الحق ظهر في النهاية.

والفتاة الطيبة في حكاية (حسنة)[٣٥] لا تملك إلا نيتها الطيبة، وفعلها عادة يكون من نوع نيتها لذلك فإن «السعلاة» نفسها تشنشلها بالجواهر واللآليء، وتحول كلامها إلى ذهب، أما أختها الشريرة فإنها تتردّى إلى الدرك الأسفل.

أما بطل حكاية (القط الأسود)[٣٦] فإنه يصبح غنياً،ويتزوج ابنة الملك ويشترط عليها أن تهتم بأمه وإلا طلقها، وهذا ما لم يفعله أبناؤها الحقيقيون الذين طردوها بناء على رغبات زوجاتهم، فتلقّفها «البطل» الذي لا أم

له،وجعلها بمثابة أمه، وبرّ بها فكانت النتيجة أن كوفيء على أفعاله، أما أبناؤها الحقيقيون الخاضعون لرغبات زوجاتهم فإن أحوالهم تسوء، وينزلون إلى أسفل السلم الاجتماعي، فينتشلهم أخوهم الجديد.

وتتجاوز (سعدية) في حكاية (الكلب الأسود أو قمر مدور) كل الصعاب التي توضع في طريقها، وتحرق الجنيات وتهرب بحبيبها وتفوز به.

وابن الحطاب يصبح غنياً،وذا شهرة واسعة، بل يصبح ملكاً في النهاية،ويتزوج ست بدور.وقل مثل ذلك عن بقية أبطال الحكايات الأخرى.

تتحقق السعادة بشيئين في الحكايات: الغنى والزواج ومعها تأتي السلطة أحياناً، لا دائماً، ولكن الشاطر حسن يرفض السلطة، ويعطي التاج لأبيه، إذ يرى فيه عائقاً عن تحقيق حياة الرفاهية والسعادة والبسط، فرفضه للسلطة ليس زهداً فيها،ولكن لأنها عائق في طريق «تفرغه» للحياة السعيدة، وهذه الروح التي ترى السعادة في ملازمة الحبيب، والبعد عن أوجاع السلطة ومشاغلها،وهمومها، لا نجدها في العادة إلا في حكايات ألف ليلة وليلة، حيث يفضل هؤلاء الحب على الملك، ويتنازلون عنه لمصلحة الحب، علماً أن الشاطر حسن قد نال ذلك كله دون أي شطارة، فهو كسول لا يستطيع أن يقدم لنفسه الطعام، وعندما يطرده أبوه يذهب إلى سائس خيل ليعلمه مهنته،وهناك يلتقي بالبغلة الجنية التي تغدق عليه بغير حساب.

ولا أعتقد أن الأمر يقتصر على شيء من روح ألف ليلة وليلة تسرب إلى هذه الحكاية، بل إنها في أصلها، من حكايات ألف ليلة.

وحتى حين يتنازل الشاطر حسن عن السلطة لأبيه لا يرتاح إذ يحاول الأب أن يفوز بزوجة ابنه، فيكلفه بمهام صعبة إن لم ينجزها قتله، ولكن الفتى يتغلب في النهاية، وينجز تلك المهام، لا بشطارته، وإنما بجهود بغلته.. إن رفضه للسلطة كان سبباً لاستمرار الحكاية، أو لتوليد حكايات أخرى، وهو لن يرتاح ما دام هناك من يتسلط على رقبته، ويملك أن يزعجه، أو يهدد أمنه وحياته.. فتكون النتيجة قتل الأب والعودة إلى كرسي المملكة.

وفي حكاية (حمامة وفرت) نرى المصائر مختلفة، والنتائج مختلفة، فكل واحد من أبطال الحكايات المتضمنة في الحكاية الأم يُخفي مرارة ومأساة تثقل على قلبه،حيث ضيّع نفسه نتيجة رعونته، أو طيبته، أو حسن نيته والحكاية أقرب إلى الحكاية الشعبية منها إلى الخرافة، فهي حكاية وعظية أهدافها ومقاصدها واضحة وبينة في مصائر أبطالها، لذلك فإن نهايتها تختلف عن نهاية الحكايات الخرافية الأخرى. وقد سبق أن قلنا أن، هذه من حكايات ألف ليلة شأنها شأن حكاية الشاطر حسن.

والجدير بالذكر أن بطل الحكاية، وهو الراوي الذي يستمع إلى حكايات الآخرين بعد أن يسأل عنها، لم تفصح الحكاية عن مصيره،ولكننا نعتقد أنها تشير بشكل ضمني إلى ندمه كأصحابه لأنه فقد الليرة الذهبية التي كانت تعطى له في الجامع الأول، إذ طمع وذهب يبحث عن الزيادة، فضيع المضمون لبحثه عن المحتمل، إنه الجشع والبطر شأنه شأن أبطال الحكايات الأخرى.

أما الشرير، الطاغية، ذو النية السيئة فإنه نهايته معروفة ومحتومة، فالملك الطاغية الظالم الذي يرسل البطل عادة إلى المهالك ليتخلص منه،أو يطلب منه مطالب صعبة إن لم تكن مستحيلة، إن هذا الملك ينتهي غالباً مقتولاً ويتسلم البطل التاج، ليحكم بالعدل، وذلك ما نجده في (محمد والملك الأعمى[٣٧]، وابن الحطاب،والشاطر حسن)..

وذو النية السيئة ينتهي نهاية سيئة أيضاً، فزوجة الأب في (بقيرة اليتامى، وحسنة، والطير الأخضر)[٣٨] تنتهي نهاية بائسة إذ تقتل في الحكايتين الأخيرتين، وتُنسى في الحكاية الأولى، ينتهي دورها دون عقوبة قاسية، إن العقوبة تكون بشكل غير مباشر عندما تتحول عظام البقرة إلى ذهب تعين اليتامى، وتخرجهم من تحت سطوتها، لقد أرادت تدميرهم بقتلها لبقرتهم، ولكن ذلك ارتد عليهم خيراً.

وكثيراًما تكون الأخت هي الشريرة، وهي الحقود الحسود، كما في (دهيم الليل ونجمة سهيل)، وقد يكونون الأخوة كما في (محمد والملك الأعمى) ونادراً ما تكون الأم هي الخائنة.

والنهاية غالباً ما تكون قاسية، فالابن يقتل أباه (محمد والملك الأعمى)، أو يقتله غيره لحسابه (الشاطر حسن)، والأخوة يُقتلون، وكذلك الأخوات الشريرات الحقودات،وقد يتم الانتقام منها بقتل فلذة كبدها كما في (شجيرة الليل).

وقليلاً ما تسكت الحكاية عن بعض الشخصيات الشريرة،ولا تشير إلى مصيرها، أو تتناسها كما في (دهيم الليل ونجمة سهيل)[٣٩] فالأختان يتم نسيانهما تماماً، أما في (بقيرة اليتامى) فإن زوجة الأب بعد ذبح البقرة، لا تصاب بسوء مباشرة، ولكن أولاد زوجها يخرجون من تحت سيطرتها،وتتحسن أحوالهم، وهذا عكس ما كانت تأمل فيه.

ويثير الانتباه أن الأخت كثيراً ما تلعب دور الأم بالنسبة لأخيها،وتكون أماًثانية له، وذلك ما يحدث في (الطير الأخضر) حيث الأخت هي الوحيدة التي تحنو على الولد، وهي وإن لم تستطع أن تجنبه مصيره القاسي، إلا أنها تحزن عليه، وتحمل عظامه،وتدفنها في المرج الأخضر فينبعث من جديد في صورة طائر أخضر.

إنها أم ثانية، لقد أعادته إلى الحياة، وإن بصورة طائر، ألا يذكرنا هذا بالحكايات الأسطورية حيث الأخت ـ الزوجة في أسطورة أيزيس وأوزوريس تعمل على جمع أشلاء زوجها لينبعث من جديد.

كذلك فإن الحكاية تشير إلى اعتقاد مفاده أن «الأطفال» الذي يموتون أبرياء، إنهم طيور الجنة.

وقد تكون الصورة أقل وضوحاً، كما في (بقيرة اليتامى) حيث تدفن الفتاة عظام البقرة لتتحول هذه إلى ذهب فتعطيه لأخيها لتساعده على الزواج والحياة السعيدة.

إنها تقف إلى جانبه، تحنو عليه، وتخبىء كنزها الثمين إلى أن يشب، ويصبح رجلاً يمكنه أن يفكر بشكل سليم، ويمكنها أن تطمئن إلى حسن تصرفه، فتعطيه الكنز الذي يعينه على بداية جديدة.

إنه إحياء آخر، فهي تمنع ضياع أخيها، وتعمل على ألاّ يموت في الحياة، إنها أم ثانية بحق.

أما في قصص الوعظ، فإن النهاية معروفة سلفاً، ومحددة منذ البداية، وقد يفصح عنها العنوان (المليح بالبحر ما راح)[٤٠] والمكتوب ما منه مهروب، والمكتوب على الجبين لازم تشوفه العين.

إن النهاية تستجيب دائماً لأحلام وطموحات الناس الفقراء المستضعفين الذين لا يجدون ملاذاً من واقعهم القاسي الظالم إلاّ في الأحلام، إنه نوع من التعويض عن الحرمان، وتحقيق التوازن بين الذات والواقع القاسي..

تلك هي نهايات الحكايات، فماذا عن كلمات الخاتمة؟

الكلمات في الخاتمة متقاربة جداً، فإن كان الحديث عن واحدة،وقد انتهى،يقول الراوي (وهي راحت وآني جيت)، أي هي ذهبت لأنها أصلاً من الماضي المنتهي، أما أنا فما زلت حياً، مقيماً، أنا الواقع وهي الحلم، أنا الحقيقة، وهي الخيال.

وهو ينبه المستمعين إلى أن عالم الخيال الذي كانوا يسبحون فيه قد انتهى.

وقد يقول الراوي (هـي راحـت ليغـادي وأنـي جيـت ليجـاي)، أي هـي ذهبت إلى هنالك، إلى عالمها، عالم الموت، وأنـا عـدت إلى عـالمي عـالم النـاس والحياة.

وبالمعنى نفسه يقول الراوي (هم راحم وآني جيت) إن كان الحديث عن جماعة،وقد يضيف: (وآني جيتكم سالم).

ويقولون أيضـاً منهـين الحكايـة في عبـارات مسـجوعة: (لـو بيتنـا قريـب جبتلكم قدح زبيب)، أو (لـو بيتنـا هـين جبتلكـم طبـق عويـن) ولا غايـة لهـذه العبارات إلا في تنبيه السـامعين إلى أن الحكايـة انتهـت، ودعـوة للخـروج مـن جوها، ووهمها، إلى الواقع، وإن بصورة أمنية كاذبة.

وقد يقولون أيضاً: (وهذي الجيرة من العشيرة).

د ـ ملاحظات وإضافات:

ذلك هو تكوين الحكاية وبنيتها الـتي لا تخـرج عنهـا، مـع هـذا نـرى أننـا أهملنا بعض التفاصيل أو الجزئيات التي تساهم في تكويـن الحكايـة، وإظهارهـا بصورتها المثلى، وخاصة فيما يتعلق بالأسلوب، وبلغة السرد وطرائقه، سنلاحظ سلفاً أن الراوي في المواقف المتشابهة يعتمد على أساليب وأقـوال ثابتـة لا تتغـير إحدى وظائفها هي تثبيت الحكاية في ذهن المسـتمع، ووظيفتهـا الثانيـة والأهـم هي المحافظة على ثبات الحكاية وعدم تغيرها، أو الحد من التغـير والتبـدل الـذي يمكن أن يحدث في انتقالها مـن راويـة إلى آخـر، وبهـذا نـرى أن حريـة الـراوي

محدودة جداً، فهو لا يعيد إبداع الحكايـة، بـل إنمـا يتبـع طريقـة محـددة وثابتـة، وهذا عكس ما يراه الأستاذ عادل أبو شنب الذي لا يستحسن جمع الحكايات وتثبيتها في صورة معينة لأن في ذلك قتل لإبداعيتها المستمرة إذ حين تظل تتناقل شفاهياً فإن كل راوٍ يعدل ويضيف ويبدع، وعندما نسجل الحكاية سنكون قد حكمنا عليها بالثبات.

والحقيقة أن الراوية لا يبدع غالباً، ولا يشق طريقاًخاصة به في الحكاية،بل يتبع طريقاًممهداً،ومنهجاً قائماً في الوصف، والأفعال، والسلوك..وبالتالي في السرد عموماً.

فإذا أراد أن يعبر عن مرور الزمن مثلاً قال: راحت أيام وجت أيـام، (أي جاءت)، أو راحت شهور وجت شهور، أو راحت سنين وجت سنين، وذلـك بحسب مايتطلبه الحدث من زمن يقاس بالأيام أو بالشهور أو بالسنين.

وإن أراد أن يعطي للأحداث أهمية، ويشير إلى بداية تحول محتمل في مسار الأحداث قال: وفي يوم من الأيام، أو نهار من النهارات حدث كذا.. وإذا أراد أن يعبر عن أن البطل قطع أرضاً واسعة، قال في وصف مجمل: مشى الرجل قاع تشيله، وقاع ترميه إلى أن وصل إلى... أي أنه تجاوز جبالاً، ونـزل ودياناً.

وقد يضيف إلى ما تقدم (قاع تشيله..يهين أرنب.. يهين غزال..) مشيراًإلى أنه رأى حيوانات متعددة ومتنوعة بتنوع الأرض التي قطعها..

وهو حين يعبر عن السير الطويل يلجأ إلى تكرار الفعل: مشى مشى.. مشى.. دي.. دي... دي، أو ركض.. ركض..ركض..

والوصف في الحكاية الخرافية يتم بعبارات متعارف عليها،وإن كان الراوية أحياناً يتدخل في هذا بحسب قدرته،فإنه لا يخرج عن الشائع والمتداول في المأثورات الشعبية في مثل هذا المجال، فإن وصف فتاة، قال (بنت أربع طعش) أو (تقول للقمر قوم لأقعد مطرحك). أي كالقمر حين يكتمل، أو أجمل، أو يقول (مثل القمر ليلة أربع طعش)، أو رأى بنتاً (سبحان الخالقها ومصورها)، أو (بيضة مثل القمر)، أو (بيضة مثل الحليب)، أو (بيضة مثل الخاصة) أي بيضاء، والخاصة: قماش أبيض..فإن وصفها بالسواد (قال سودة مثل قطعة الجير)، أي سوداء كالزفت، أو سودة مثل الليل، أو سودة مثل الفحمة، فإن كن متعددات، فإن كل واحدة أحسن من أختها..

أما الرجل فإن أخته تعشقه، أو بعبارة أخرى: تعشقه بنت أمه لشدة جماله..

وبعضهم يردف كل كلمة أو جملة بما يناسبها من الدعاء أو التحية من الكليشيهات المعروفة، فإن ذكر رجلاً مقطوعاً، قال: كان مقطوعاً الله لا يقطع حدا، فإن كان رجلاًوحيداً، فا لله واحد.

وحين يذكر النوم، يقول: ناموا، يترجون الصباح، أو ناموا سبحان من لا ينام.

وحين يذكر الصباح، يقول: أصبحوا، تصبحون على خير، فإن ذكر المساء، قال: تمسوا، تمسون على خير.

وحين يشير إلى أن رجلاً ما سار متخفياً يقول: لبس الليل، أو يا من سترت لا تفضح، واستعمال الكناية كثير جداً في الحكايات.

وقد ينسى الراوي بعض الحوادث، ويقفز إلى غيرها، وحين يتذكرها، يقول معتذراً «فتك بالحكي»... ويعود على آثاره قصصاً ليذكر لك الحوادث التي نسيها أو التي فاته ذكرها في موقعها..

وإذا أراد الانتقال من شخصية ليقص عليك ما حدث لشخصية أخرى، قال:«نترك هذا، أو هذول لحالهم، ونرجع لفلان) أي نترك هؤلاء حيث هم،ونتابع ما حدث مع فلان...

وإن أراد الاختصار حتى لا يتسرب الملل إلى السامع، قال: مالك بطويلتها، أو مالك بطولتها، أو مالك بطول السيرة، أي ليس لك علاقة بالتفاصيل، ولا حاجة لإطالة الوصف والحكي، فلنصل إلى النتيجة رأساً.

والراوي لا يتعمق الحالة النفسية، ولا يصفها إلا في عبارات محفوظة أيضاً، وهو يذكر الحالة دون أن يتوقف عندها: فهي تبكي، أو وجهها أصفر، أو باين عليها الهم، أو بتعبير كنائي: أمسكه خياط الابرتين، للقلق المتردد الحائر، (ونامت وهي تضرج) للقلقة..

وهو لا يتوقف أيضاً عند الملامح أو الوجـوه،أو الثيـاب ولا يصفهـا إذ لا يهتـم بالتفـاصيل والدقـة، فـإن كـان الوصـف ضروريـاً، قـال مثـلاً: أن (ثيابـه مكشمة، وحالته حالة)، أي أنها ممزقة.

وبشكل عام فإن الحكاية تتناوس بين ضدين: التكـرار: وهـو ضـروري في الأحداث والمواقـف الحرجـة، يطيـل الحكايـة، ويمتـد بهـا، ويثبتهـا،والاختصـار الشديد: مالك بطولتها، أو ولد الحكاية يكبر بساع (أي بسرعة).

والحدث والتلفظ بالعبارة لا فرق بينهما، إذ بمجرد التلفظ بالعبارة يكـون الحدث قد تم.

* * * * *

وظائف الحكاية الشعبية العراقية

الحكاية ليست مجرد تسلية يُراد منها تزجية أوقات الفراغ، والترويح عن النفس، بالرغم من أن هذه أهداف ذات أهمية بحد ذاتها، ولكن «القص» كان في البدء محاولة لتسمية الأشياء، وتحديدها، والتعرف عليها وتعريفها، وكان طريقة للتحذير من المخاوف والتغلب عليها، وتدجينها وتجاوزها، والركون إلى تفسير للظواهر الكونية والعادات الاجتماعية والتقاليد، وطريقة للتربية وزرع القيم الأصيلة.

الحكايات لا تبدع في النهار، ولا تقص فيه،بل لها الليل الطويل،بما فيه من سكون وركود ووحدة،حيث ينفسح الكون أفقاًرحباً لا حدود له كالمخيلة المبدعة، وحين تغشاه الظلمة فلا يبصر يده، إنما يبصر، وبوضوح وإشراق إبداعي أو صوفي آماله وأحلامه وطموحه،ويهجس بالأمن سلاحاً ضد اللاستقرار والظلم، وبالحب سلاحاً ضد الحرمان وقساوة الحياة والطبيعة، وبالعدل سلاحاً أمام كون طاغ، أو ظواهر طاغية ظالمة لا يملك تفسيراً مقنعاً لها،عندها يثور الانسان بالحكاية، يثور على كل ما يذله ومالا يفهمه بالحكاية، محققاً من خلالها، منطقه الذي يرتضيه، وعدالته التي يؤمن بها،وإشباع روحه الجائعة إلى الحق والعدل والخير والأمن والقيم الانسانية النبيلة.

فللحكاية أهداف نبيلة تسعى إليها، وقيم تحاول تحقيقها، وآمال تحاول أن تقيلها من عثارها.

• وسنحاول هنا أن نجمل هذه الأهداف:

الحكاية تفسير للعالم والكون والظواهر العامة المختلفة:

وهذا الأسلوب أسلوب القص، هو الأسلوب البدائي، حيث لا يستطيع الانسان أن يصوغ معارفه وعلومه بصياغات نظرية وعلمية وقانونية إلا بعد أن يتجذر، ويتطور في حقل الثقافة والمعارف والفنون، أما القص،على اختلاف أشكاله، فإنه الطريقة الأقرب إلى القلب والعقل البدائيين، فالحكايات تشرح ولكنها تظل مشبعة بالحنان، أو بالخوف، بالحب أو بالكره، تخاطب قلب الانسان ومشاعره لتدفعه إلى الحقد على ما يستحق الحقد، وإلى عشق ما يستحق العشق...

وبالحكاية يدرك الكون من حوله، إذ تصبح للأشياء والمواقع والظواهر أسماء تعرف بها، وهي أسماء ترتبط بأحداث ومواقع ومشاعر فيقبل عليها ويحبها، أو يبتعد عنها ويقلوها، والأسطورة، أو قل الحكاية التفسيرية،على نحو خاص، تقوم بهذه المهمة، فتصبح علاقتنا مع هذه الأشياء أو المظاهر، لا علاقة معرفة وحسب، بل علاقة حب أو كره أيضاً، إن المعرفة هنا تظل مصبوغة بعواطفنا ومشاعرنا ولا تتحول إلى معرفة مجردة.

إن القصص التعليلية تشرح لنا كيف أصبح السعدان سعداناً وبمؤخرة حمراء، ولماذا تنعق البومة بالخرائب، ولماذا تملك الغنم أليات تسترها، ولا تملك الماعز ما يستر حياءها، ولماذا الموت أقوى الكائنات في الحياة، و«ما منه فوت»..؟

الحكاية تحافظ على المجتمع وتحميه:

وذلك بما تثبه فيه من قيم الخير والعدالة والحق، أبطالها يحملون لواء الخير،ويقودون الناس من خلفهم، ليدلوهم على الطريق، وهي بهذا أيضاً تنبذ الشر، وتذمه، وتؤكد على انتصار الخير في النهاية.

الحكاية تحافظ على حلم العدالة:

وغالباً ما يكون هذا حلماً مقموعاً ومضطهداً ومطارداً، لأن قوى البغي قاهرة وظالمة، والتفاوت الاجتماعي يجعل من كان في الأدنى ذليلاً مقهوراً ومستباحاً، والسلطة تستعبده وتستغله، ولكن الحكاية تترك الأمل أفقاً رحباً مفتوحاً على مصراعيه، فالانسان سينتصر في النهاية، يتعرض دائماً لقوى البغي والطغيان، يُذل ويُضطهد، يقمع ويستلب،ولكن لا يمكن تدميره، حسب تعبير همنجواي.

إن بطل الحكاية يفصح عن لاوعي الجماعة فيحل مشكلاتها، ويتجاوز أزمتها، وينتصر لها، ويحقق أحلامها، ويقيها من الوقوع في وهدة العجز، وهاوية الإحباط، أو الشعور باستحالة الأمل أو الطموح.

والحكاية تشكل تعويضاً عن شيء مفقود أو مسلوب: فهي بتحقيقها لقيم الحق والعدل والمساواة، والحب والخير إنما تحقق تعويضاً عن القهر الاجتماعي

وقهر الطبيعة الذي يتعرض لهما الانسان، إنها تعيد للإنسان توازنـه، وتقـدم لـه عزاء، وتشعره بامتلاك المفقود، إن الحرمان الحقيقي الذي يتعرض له الانسان في واقعه يعوض في الحكاية، فالفقير لن يظل فقيراً، بل يمكن أن يتحـول إلى إنسـان غني، والمهم هو أن يسلك سـلوكاً صادقـاً ونبيـلاً، والضعيـف لا يظـل ضعيفـاً، والمحكوم قد يصبح حاكماً.

الحكاية تدعو إلى التعاون والحكمة والذكاء:

فمن كان ضعيفاً،ويواجه قوى أكبر منه، وأشـد بطشـاً، يمكـن أن يتغلـب عليها، إما بالتعاون، وإما بالذكاء، أو بهما معاً.

فالثعلب الضعيف يواجـه السبع القـوي، ويتغلـب عليـه بالحيلة والدهـاء والذكاء.

والديك الضَعيف يتغلـب علـى الثعلـب بحسـن تدبـيره وتعاونـه، والقنفـذ الضعيف يواجه الثعلب بالتعاون المثمر مع أبناء جنسه فيتغلب على الثعلب.

الحكاية أسلوب تربوي وتعليمي:

إذ قد تصوغ الحكاية الحكمة في أمثال شعبية مركـزة،تنتشـر في الحكايـة، وتأتي في سياقها، بحيث تتحول بعض الحكايات أحياناً، إلى مجموعة من الأمثـال الشعبية، والأقوال المأثورة، يصدق هذا على الحكاية الخرافية كما يصـدق علـى

قصص الوعظ التي غالباً ما تتحدث عن القدر الذي لا مهرب منه، وعن المكتوب الذي لا سبيل إلى تغييره.

وقد تعلم بعض العادات والتقاليد، وتدعو إلى احترامها والاحتفال بها، وقد تعلم بعض المهن مثل حكاية (فروة السبع) التي نكاد نرى أنها حكاية تعليمية بحتة، إنها تتحدث عن مراحل صناعة الفروة.



هوامش الدراسة

١ ـ الحدوتة والحكاية في التراث الشعبي القصصي ـ محمد فهمي ـ ص٦ .

٢ ـ انظر الحكاية الخرافية ـ فريدريش فون ديرلاين ـ ص٩ .

٣ ـ الحكاية الخرافية ـ ص٩ .

٤ ـ ندين بهذا العرض للحكاية الخرافية ـ ص ١٨ وما بعد.

٥ ـ الحكاية الخرافية ص ٣٨ .

٦ ـ المصدر نفسه ص ٣٨ .

٧ ـ المصدر نفسه ص ٣٩ .

٨ ـ المصدر نفسه ص ١١ .

٩ ـ المصدر نفسه ص ١١ .

١٠ ـ عن بروب انظر «نظرية البنائية في النقد الأدبي للدكتور صلاح فضل ص ٨٨، وانظر أيضاً كتاب «النقد البنيوي الحديث للدكتور فؤاد منصور ص ٢٢٠»».

١١ ـ انظر الحكاية الخرافية ١٣٨ وما بعد.

١٢ ـ الحكاية الخرافية ص ١٥٤ .

١٣ ـ الحدونة والحكاية في التراث القصصي الشعبي ص ٢٧ .

١٤ ـ المصدر نفسه ص ١٩ .

١٥ ـ المصدر نفسه ص ٢٧ .

١٦ ـ البطل الفلسطيني في الحكاية الشعبية لعلي الخليلي ص ١٨ .

١٧ ـ انظر كان يا ما كان ـ لعادل أبو شنب ص ٢١، وانظر أيضاً ص١٠٢.

١٨ ـ الحكاية الساحرة ـ الدكتور عبد الرزاق جعفر ص ٧٤.

١٩ ـ الحكاية الخرافية ص ١٢٧ .

٢٠ ـ تنطبق دراسة البنية على الحكاية الخرافية خاصة.

٢١ ـ حكاية «قيقة وماقيقة» ص ١٧٢ .

٢٢ ـ حكاية «خنيصر» ص ١٦٨ .

٢٣ ـ حكاية الكلب الأسود ص ١٤٤ .

٢٤ ـ حكاية وديعة والحنفيش ص ١٢١ .

٢٥ ـ حكاية بقيرة اليتامى ص ١٦١ .

٢٦ ـ حكاية جمل غيدة ص ٩١ .

٢٧ ـ حكاية فروة السبع ص ١٨٥ .

٢٨ ـ حكاية عزيمة الحصيني للديك ص ١٩٧ .

٢٩ ـ ص ١٧٧.

٣٠ ـ ص ١٤٠ .

٣١ ـ ص ٧٨ .

٣٢ ـ ص ١٠٠ .

٣٣ ـ ص ١٣٠ .

٣٤ ـ ص ٢١٦ .

٣٥ ـ ص ٧٩ .

٣٦ ـ ص ١١٦ .

٣٧ ـ ص ١٣٠ .

٣٨ ـ ص ١٨٣ .

٣٩ ـ ص ١٠٩ .

٤٠ ـ ص ٢٢٨ .

الحكايات

البنات والحنفيش[1]

كان يا ما كان في قديم الزمان ثلاث بنات فقيرات يعشن من كدهن، فكن يغزلن ويبعن غزلهن، أو يحتطبن حزمة حطب ويبعنها، وفي كل يوم تنزل واحدة لتبيع ما غزلن، أو ما احتطبن.

نهار من النهارات حدّرت[2] الكبيرة إلى السوق بحمل حطب فوجدها رجل، وقال لها: بكم تبيعين حمل الحطب؟

قالت: بليرة.

قال: حطيه[3] في الدار وخذي فوق ما طلبتِ!

فرحت الفتاة ودخلت إلى الدار ووضعت الحمل في ساحة المنزل، فأدخلها الرجل إلى قاعة فيها سفرة مدت عليها كل أصناف الأطعمة، فسال لعابها، فقال لها الرجل: كلي قدر ما تستطيعين؟!

وقال في نفسه: إذا أكلت الطعام كله أكلتها؟ وإذا أكلت نصه علقتها من شعرها، وإذا لم تذقه تزوجتها!

أقبلت الفتاة على الطعام، وهي المحرومة، فالتهمت نصفه، فحملها الرجل إلى غرفة شاهدت فيها نساء معلقات من شعرهن أو من أثدائهن، أو من آذانهن فارتعبت، إلا أن مصيرها كان كمصيرهن فقد علقها من شعرها.

انتظرت الفتاتان أختهن فلم تعد، فقلقن عليها، وبتن ليلهن جائعات.

وفي اليوم الثاني حملت الفتاة الوسطى حزمة حطب ونزلت إلى المدينة، فتلقاها الرجل نفسه، وقال: بكم تبيعين حملك؟

قالت: بليرة.

قال: ضعيه في الدار وخذي فوق ما طلبتِ.

أدخلته إلى الدار، ووضعته في فنائها، فقادها الرجل إلى قاعة فيها سفرة فرشت عليها كل ألوان الطعام، وقال لها:

ـ كلي قدر ما تستطعين.

وكان قد أضمر في نفسه أنها إن أكلت كل الطعام أكلها، فإن أكلت نصفه علقها من شعرها، وإن لم تذقه تزوجها.

ولما كانت الفتاة جائعة، ولم تأكل منذ البارحة فقد أقبلت على الطعام تلتهمه بنهم، محروم ووقع بكروم، وظلت تلتهم الطعام حتى أتت على نصفه؛ فحملها إلى الغرفة وعلقها من شعرها إلى جانب أختها.

قلقت الأخت الصغرى، وعبثاً انتظرت عودة أختيها، فنامت جائعة، ومنذ صيحة الديك الأولى، حملت حملها ونزلت إلى السوق، فتلقاها الرجل نفسه، وقال: بكم تبيعين حملك؟

قالت: بليرة.

قال: سأعطيك فوق ما طلبتِ فادخلي الحمل إلى البيت.

دخلت الفتاة إلى البيت، ووضعت حملها، فقادها إلى سفرة حوت كل أنواع الطعام، وقال لها: كلي قدر ما تستطيعين.

وأضمر في نفسه ما كان أضمره لأختيها.

كانت الفتاة حزينة على أختيها فعافت نفسها الطعام، على جوعها، ولم تذقه، فأعجب بها، وقال لها: سأجعلك امرأتي!

أعطاها أربعين مفتاحاً، وقال لها: هذه مفاتيح الغرف في الدار كلها، فافتحيها جميعاً إن شئت إلا الغرفة الأخيرة، إياك أن تفتحيها، فإن فعلت ستندمين، ولا شفاعة لك عندي.

أقامت الفتاة في الدار الكبيرة أياماً، وهو يلح عليها بالزواج، وهي تلهيه وتصبرّه، وتقول له: عليّ الدم!

وذات يوم، وكان غائباً، فتحت كل الغرف فوجدتها جميعاً مملوءة بالذهب والفضة والماس والجواهر الثمينة، وترددت في فتح الغرفة الأخيرة، ثم حزمت أمرها وفتحتها، فشاهدت نساء كثيرات معلقات من نهودهن وشعورهن وآذانهن، ووجدت أختاها بينهن فأنزلتهما وخبأتهما، ونظرت من النافذة فإذا هو ينبش القبور ويأكل الجثث، فازداد خوفها منه، فكان كلما اقترب منها اقشعر بدنها،وصارت ترتجف، وأحس بخوفها وارتجافها فسألها ذات مرة: لماذا ترتجفين؟

قالت: برد أصبت به.

قال: ماذا رأيت؟

قالت: لم أر شيئاً.

قال: تتزوجيني؟

قالت: لم يحن الوقت بعد، فأنا ما أزال مريضة.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى الحداد،وقالت له: اصنع لي صندوقاً حديدياً يتسع لثلاثة أشخاص، واجعل قفله من الداخل، وإن أنجزته اليوم أعطيتك حتى أغنيتك إلى ولد الولد.

صنع لها الحداد ما طلبت، فأعطته تنكة ذهب، ودخلت هي وأختاها في الصندوق، وقالت للحداد: زتنا(٤) في البحر!

تناقلت الأمواج الصندوق، موجة ترفعه، وموجة تحطه إلى أن أصبح في عرض البحر، وظل تتقاذفه الأمواج، وذات يوم وابن الملك يصيد في البحر شاف(٥) الصندوق، فقال لصحبه: هذه الصيدة لي! التقطوا الصندوق، وحاولوا فتحه، فلم يستطيعوا، حملوا الصندوق ووضعوه في غرفة ابن الملك في القصر.

وكانت أختاها قد اختنقتا فأخرجتهما من الصندوق، وألقت بهما خلف القصر، وفي الليل كانت تخرج من صندوقها، وتذهب إلى المطبخ تأكل وتشرب، ثم تعود إلى صندوقها وتقفل على نفسها من الداخل.

أعلنت الخادم ذات يوم: إن الطعام ينقص من المطبخ، إذ كل يوم أجد العديد من الصحون فارغة وممسوحة.

وحين تكررت شكوى الخادم، جرح ابن الملك إصبعه ودحاه(٦) ملحاً حتى لاينام، وعند وجه الصبح انفتح الصندوق وطلعت منه بنت سبحان الخلاّق العظيم! فانتظرها حتى ذهبت إلى المطبخ فأكلت وشربت، ثم أرادت العودة إلى صندوقها، فأمسكها، وقال لها: إنس ولاّ جن؟

قالت: انس ومن خيار الأناسي.

قال لها: لماذا تحبسين نفسك في الصندوق؟

قالت: للشديد القوي.

قال: ابقي معي وسأتزوجك.

فرفضت، ولما سألها عن السبب، قالت:

- سأجلب لك البلا!

قال: لاتخافي عليّ.

قالت: ولكنني أخاف على نفسي.

قال: أنا أحميك.

قالت: لن تستطيع حمايتي.

قال: جربي.

تزوجت الفتاة من ابن الملك، وصار لها ثلاثة أولاد منه، وكان زوجها قد حول نفسه إلى سجادة تطير، وقال لرجل: خذني وبعني، وسأغنيك، ولكن بشرط ألا تبيعني إلا لابن ملك.

دار الرجل في المدينة ينادي على السجادة العجيبة التي تطير، فتكاثر الناس حوله، وأجزلوا له العطاء، فقال لهم: لا تتعبوا أنفسكم لن أبيعها إلا لابن الملك.

وصل الخبر إلى الأمير فبعث بطلب صاحب السجادة واشتراها منه، وحين رأت زوجه السجادة وأمعنت النظر فيها شاهدت عين زوجها السابق فيها، فخافت وارتعبت، وحاولت أن تنبه ابن الملك، لكن زوجها السابق نفخ نفخة فنوّم الناس، وبقيت هي وحدها مستيقظة، فقال لها: هيّا، لقد جئت لأخذك!

قالت له: أريد أن أتخلّى[٧].

قال لها: افعلي، ولا تتأخري فلا مهرب لك مني.

ذهبت بعيداً عنه، ودعت ربها، يا العرش يا العرش خلصني! رد عليها صوت من السماء قائلاً لها: اكسري الجرة التي في القاعة، ليستيقظ الناس، فحملت الجرة وطبشتها على الأرض فاستفاق الناس، فصرخت بهم أن أدركوا الوحش فهو في السجادة، فحملوا السجادة، وغلوا الزفت، ووضعوها فيه..فمات!

وعاشت بعد ذلك مع زوجها لا يعكر صفوها معكر، وهم راحم، وآني جيت.

---

١ ـ روتها نادية الرفيق، من مواليد الرقة، عمرها ٣٨ عاماً، ومريم العلي من الرقة وعمرها ٣٥ عاماً. والحنفيش: ذكر السعلاة في الاعتقاد الفراتي.

٢ ـ حدّرت: نزلت ـ جذورها فصيحة.

٣ ـ حطيّه: ضعيه ـ فصيحة.

٤ ـ زتنا: ألقي بنا.

٥ ـ شاف: رأى. سريانية الأصل.

٦ ـ دحا جرحه ملحاً: ملأه.

٧ ـ أتخلّى: من الخلاء، وتريد قضاء الحاجة.

٨ ـ طبشتها: ضربت بها الأرض دون تبصّر.

حسنة (١)

كان يا ماكان، كان في قديم الزمان رجل ومرته ولهما ولد وبنيّة، ماتت أمهم، فقالت الجارة للولدين: قولوا لأبيكم يتزوجني وأنا سأدير بالي عليكم، فأغسل ثيابكم، وأطبخ عشاءكم، وأشعل سراجكم.

قال الأولاد لأبيهم: لماذا لا تتزوج جارتنا يا أبي لتدير بالها علينا، وتشعل سراجنا.

قال الأب: لن أتزوج حتى تكبروا.

قال الأولاد: ومتى نكبر؟

أخذ الأب سلة الخبز، وعلقها بالسقف، وقال: متى أنزلتم هذه السلة أعرف أنكم قد كبرتم فأتزوج. أخبر الأولاد جارتهم، فقالت: هذه أمرها سهل، ووضعت كرسياً وأنزلت السلة، وحين عاد الأب أخبره الأولاد أنهم أصبحوا كباراً، وأروه سلة الخبز.

تزوج الأب الجارة فكانت تهتم بأولاده، إلا أنها لم تلبث أن أنجبت ولداً وبنتاً، فانقلبت على الأولاد شيطاناً رجيماً، فكانت تطعم أولادها خبز الحنطة، وتقرص أقراص الجواش[٢] لأبناء زوجها، وكان للأولاد بقرة يطعمونها خبز الجواش فتطلع لهم من آذانها الطعام أشكالاً ألواناً، وكانت الخالة تتعجب كيف

يأكل أولادها خبز الحنطة فيضمرون ويهزلون، ويأكل أولاد زوجها خبز الجواش فيسمنون، وتحمر خدودهم... وقالت لنفسها: لابد أن في الأمر سراً.

وذات يوم أعطت ولدها أحمد رغيفي الخبز ليأخذه إلى أخويه (حسنة ومحمد) ووصته: لاتتركهم حتى ترى ما يفعلون.

ذهب الولد وجلس عند أخويه فلم يمسا الرغيفين، وحين جاعا وطال جلوس أخيهم، قالا له: سنعطيك من طعامنا شرط ألاّ تخبر أمك.

قدموا الخبز للبقرة فأعطتهم حلاوة وتين، فأكلوا وعاد الولد إلى أمه، فلم يخبرها بما رأى.

وفي اليوم الثاني أرسلت الأم الخبز مع ابنتها حمدة، ووصتها ألاّ تفارقهم حتى يأكلوا الخبز!

ذهبت الفتاة، وجلست عند أخويها، وحين جاعا، قالا لها: سنعطيك من طعامنا فلا تخبري أمك.

قدموا الخبز للبقرة فخرج من آذانها طعام أشكال وألوان، فأكلوا وعادت حمدة إلى أمها فأخبرتها بما رأت.

تمارضت الأم، وراحت تصيح وتستريح، وقالت لأخيها: قل إنني لن أطيب إلا إذا أكلت كبد بقرة الأولاد.

جاء الأب، فقالوا له ذلك، قال: الأمر هين، سآتي لك بكبد بقرة، لكنهم أفهموه أنها لابد أن تكون بقرة اليتامى بذاتها.

حمل الأب سكينه ليذبح البقرة، فبكى اليتامى وقالوا: يا بقيرتنا لا تنذبحين! عجزوا عن ذبح البقرة مع أنهم جلبوا كل ما في القرية من سكاكين، فضربوا اليتامى، فقالوا: يا بقيرتنا انذبحي ولا تنسلخين! انذبحت البقرة و لم تنسلخ، فضربوا الأولاد من جديد، فقالوا: يا بقيرتنا انسلخي بس لا تتقطعين. وهكذا عادوا لضربهم، فقالوا: يا بقيرتنا تقطعي بس لا تستوين[٣]، فوضعوا كل ما لديهم من حطب وقوداً فلم تستوِ، وتكرر الضرب، فقالوا: يا بقيرتنا استوي وصيري حلوة بالمنا،ومرة بالثم مرة أبونا! فلم تهنأ بما أكلت.

لمت الفتاة عظام البقرة، ودفنتها في الأرض. وفي ذات يوم قالت زوجة الأب لحسنة: اذهبي إلى خالتك السعلوة، واطلبي منها غربالها.

حملت الفتاة إبريق ماء لتشرب على الطريق، وهي سائرة شاهدها شقيق النعمان، فقال لها: حسنة، اسقيني فأنا عطشان! فسقته حتى ارتوى فقال لها: انشا الله تصير حمرتي بخدودك[٤] وسوادي بعيونك.

ثم وجدت غزالة تتضنى فقالت لها: ولديني يا حسنة! فولدتها فقالت لها: انشا الله تصير رقبتي في رقبتك!

تابعت سيرها حتى وصلت إلى السعلوة[٥]، فوجدت أظافرها طويلة وشعرها منفوش، فقصت أظافرها، وفلتّ رأسها من القمل، ومشطته، وقالت لها: خالتي تريد غربالك...! قالت لها: افعلي ما أقول لك وسأعطيك الغربال، ادخلي إلى البيت فافقسي عيون الولد الذي يبكي، ومزقي الثياب، وخربي البيت، واكسري الدن الفارغ، دخلت حسنة إلى الدار فنظفت الولد ونومته، وغسلت الثياب، وكنست البيت ورتبته، وملأت الدن الفارغ. فوضعتها

السعلوة في البير، وقالت: يا بير البوابير عبّي[٦] حسنة من الذهب كثير كثير، وكل ما تنقطع شعرة تزيد مية وأربعين ، وأعطتها الغربال، وحين عادت إلى خالتها بالغربال وهي تميل من الذهب، ندمت الخالة لأنها لم ترسل ابنتها، ولكن مايدريها، لقد أرسلتها إلى حتفها، كما ظنت.

قالت الأم لابنتها: اذهبي إلى خالتك السعلوة، وأعيدي لها الغربال.

حملت حمدة إبريق ماء وذهبت فتلقاها شقيق النعمان، وقال لها حمدة: اسقيني.

قالت له: لقد حملت الماء لنفسي وليس لك، فقال: انشا الله تصير حمرتي بعيونك، وسوادي بخدودك، ثم شاهدتها الغزالة وهي تتضنىّ فقالت: حمدة ولديني، قالت حمدة: لا وقت لدي، فقالت انشا الله تصير شفتي بشفتك.

وصلت إلى خالتها السعلوة، فأعطتها الغربال، وقالت: يا الله ما أوسخك! قالت لها السعلوة: ادخلي إلى البيت فافقسي عيون الولد الذي يبكي، ومزقي الثياب، واكسري الدن الفارغ، ففعلت ما أشارت عليها به، فألقتها السعلوة في البئر، وقالت: يا بير البوابير عبيّ حمدة من الحشرات كثير كثير، وكل ما ينقطع واحد يزيد مية وأربعين، فعادت إلى أمها على تلك الحال، فحاولت تنظيفها، وتزيينها بذهب حسنة.

وذات يوم احتفل الملك بعرس ابنه، فتهافتت الفتيات على العرس، وكانت عظام البقرة التي دفنتها حسنة قد تحولت إلى امرأة، فأتت إلى حسنة، ونظفتها ولبستها على الأربع وعشرين، وأرسلتها إلى عرس ابن الملك، وهناك أعجب بها الأمير، ولم يعد يرى في الحفل غيرها، وحين تركت العرس تتبعها

الأمير، ولشدة عجلتها وقع حذاؤها من رجلها، فعثر عليه الأمـير، وقـال لأمـه: لن أتزوج إلا صاحبة هذا الحذاء.

بحثوا طويلاً عن صاحبة الحـذاء فوجدوهـا مربوطـة مـع الحمـير، فخطبهـا الأمير، وفي يوم الزفة، ربطتها زوجة أبيهـا في التنـور، وزينـت ابنتهـا، وقدمتهـا على أنها العروس، سارت الزفة، فصاح الديك:

حمدة مزينة بالحرير.

وحسنة محبوسة بالتنانير.

تنبـه الأمـير لصيحـة الديـك، فبحـث عـن عروسـه، فوجدهـا في التنـور، فأخرجها، وقطع رأس زوجة أبيها وتزوجها، وعاشا عيشة سعيدة.

وهم راحم وآني جيت.

---

١ ـ روتها مريم العلي من الرقة ٣٥ سنة.

٢ ـ أقراص: جمع قرصة، من الخبز، والجـواش: هـو مـا يتخلـف مـن دقيـق الشـعير أو الحنطة بعد نخلها.

٣ ـ لا تستوين: أي لا تنضجي.

٤ ـ خدودك: تلفظ الكاف كالجيم في العامية، وكذلك في (عيونك).

٥ ـ السعلوّة: هي السعلاة، وهي أنثى الحنفيش.

٦ ـ عبّي: فعل أمر يعني: املأ.

أختي أنت سعلوة [1]

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان رجل يبحث في البرية عن جرابيع وضباب وخنافس ليأكلها من شدة فقره وجوعه، فطلعت له سعلوة قائلة:

- يا خييٍّ منين الله جابك؟

وراحت تقبله، وهي تقول: أنا أختك ألا تذكرني؟

وقف الرجل مبهوتاً، فهو لا يعرف له أختاً، ولا قريباً في هذه الدنيا، ولكنه سكت دون أن ينطق بكلمة.

فقالت:له: ماذا تفعل؟ وعمّا تبحث؟

قال لها: إنني أبحث عمّا آكله أنا وبناتي وزوجتي إذ يكاد يقتلنا الجوع.

قالت السعلوة: يقتلكم الجوع وأنا في الدنيا، لا عليك يا أخي، ولا تحمل هم الطعام بعد الآن، اذهب إلى بناتك وزوجتك وبشرّهن بأن عمتهن لن تتركهن يمتن من الجوع، يخسا[2] الجوع!

ظل الرجل مبهوتاً وحائراً لا يعرف ماذا يفعل، ولا ماذا يقول.

فقالت له السعلوة: لا تحتار[3].. تعالوا لتعيشوا معي فالخير عندي كثير، وهو يكفينا جميعاً.

وأعطته تمراً وأرسلته ليعود بعائلته.. ذهب الرجل إلى زوجته وقال لها: ابشري يا مرة لقد وجدت لي أختاً..!

قالت له: ومن أين جاءتك الأخت..طول عمرك وأنت مقطوع من شجرة ياحسرتي..؟!

قال: لقد وجدتها حقاً، وهذا التمر من عندها، والخير عندها أكوام أكوام، وقد أرسلتني لأعود بك أنت والبنات.

رحل الرجل مع مرته وبناته ووصلوا إلى أخته فتلقتهم مرحبّة، وقالت: فطوم حصتي، ستنام معي وتخدمني، وكانت فطوم هي أصغر أخواتها.

وفي نهار من النهارات رأت فطوم عمتها تأكل كف آدمي، فتعثرت من خوفها، فقالت لها عمتها: اسم الله فطوم.. قومي يا ابنتي!

عادت الفتاة إلى أمها خائفة وأخبرتها بما رأت. فلم تصدقها ولكن الحادثة تكررت، فقد شافتها فطوم تأكل مرة كف عروس[٤]، ثم شافتها تأكل كف عريس، فأخبرت أمها، وأخبرت هذه زوجها، فلم يصدق الزوج، وذهب إليها ليسألها، فقال: أختي أختي أنت سعلوة؟!

لكن زوجته نهرته، وقالت: هل تريد أن تفضحنا يا مجنون؟! ما علينا إلاّ أن نهرب...!

قال لها: وأين نجد مكاناً نشبع فيه، أما تذكرين كاد يقتلنا الجوع لولا أختي.

قالت له: إنها تطعمنا لتأكلنا، وأن نموت من الجوع خير من أن تأكلنا.

قال: شبعيني اليوم واقطعي راسي بكرة، لن أذهب أبداً إلى أي مكان.

وذات ليلة اصطحبت الأم بناتها، باستثناء فطوم التي كانت تخدم عمتهــا، وتنام عندها، وهربت بليلة ما فيها ضو قمر(٥)، وكانت قبل هروبها قد وضعــت زوجها بالمخمر(٦) كما طلب منها.

في الصباح جاءت السعلوة فلم تجد أحداً، بحثــت عــن المـرأة وبناتهـا فلـم تعثر لهن على أثر، فعادت إلى البيت تبحث فيه فضرط الرجل لشدة خوفه وطار غطاء المخمر، فقالت السعلوة:

حايط ضرط لا وا لله

اشليلي(٧) ضرط لا وا لله

مخمر ضرط إيه وا لله

أمسكت به وقالت: من أين آكلك؟

قال: كليني من خصياتي لأني ما طعت شور أم بنياتي.

فأكلته تاركة قرعته لتلعب بها، وتريها لفطوم، قائلة:

فطوم هذي قريعة(٨) بابا

فطوم هذي قريعة بابا

وذات يوم قالت فطوم لعمتها، أريد أن أذهب لجلب الحطب.

فقالت لها: اذهبي ولكن لا تتأخري.

حملت فطوم السفيفة[٩] والقدوم وذهبت، وحين بعدت دقت القدوم بالأرض وربطت السفيفة به، ووضعت زبونها فوقه، وهربت: يا من سترت لا تفضح!

وحين مضى الوقت و لم تعد فطوم، نادتها عمتها:

- فطوم يا زي حطب يازي[١٠]

فرد عليها القدوم، يا عمة جعد أرجد، جعد أرجد[١١]

وبعد حين نادتها ثانية: فطوم يا زي حطب يا زي.

فرد عليها القدوم: يا عمة جعد أشد، جعد أشد.

وبعد حين نادتها للمرة الثالثة: فطوم يا زي حطب يا زي

فرد عليها القدوم: يا عمة جعد أشيل، جعد أشيل.

شكّت السعلوة في الأمر فصعدت إلى سطح البيت فلم تر أحداً، فركضت إلى حيث كانت تحتطب فطوم، ولما وصلت رأت زبونها فوق القدوم فظنتها هي، انقضت على الزبون فضربها القدوم وقطع أنفها.

أدركت السعلوة أن الفتاة هربت، فقررت أن تبحث عنها، حتى لو استنفذ البحث حياتها كلها.

أما فطوم فقد وصلت إلى نزل عرب، وتزوجها صاحب البيت الذي التجأت إليه، وولّدها ولداً.

ـ السعلوة التي ما زالت تبحث عن فطوم كانت تحمل كعاباً مصبوغة بألوان مختلفة، وكلما جاءت إلى نزل تقول للأولاد: سأعطي هذه الكعاب لمن اسم أمه فطومة.

وذات يوم وصلت إلى المنزل الذي تقيم فيه فطوم، ورأى أولاد المنزل العجوز الغريبة، فتراكضوا إليها، فقالت لهم: سأعطي هذه الكعاب لمن اسم أمه فطوم.

فقال لها ابن فطوم: أنا اسم أمي فطوم.

قالت له: دلني على بيتكم لأشرب ماء وأستريح.

دلها الولد على البيت، فأعطته الكعاب، وقالت له: اذهب والعب مع الصبيان.

أخذ الولد الكعاب فرحاً، ودخلت هي إلى البيت، وما أن رأتها فطوم حتى أدركت أنها عمتها السعلوة فأغمي عليها، فنضت عنها ثيابها، ووضعتها عارية في صندوق، وحفرت لها حفرة خلف المنزل وطمرتها، ثم لبست ثيابها، وتزيّت بزيها، وتزينت بزينتها.

وفي الليل جاء زوجها لينام معها، فأنكر رائحتها، وقال[١٢]:

ـ أشوف ريحتك اليوم شينة؟

فقالت له: من العطر الذي جلبته لي.

تحسس جسمها فقال:

ـ أشوف جسمك اليوم خشن؟

فقالت له: من الدهون الذي جلبته لي.

قال:

- أشوف شعرك اليوم مجعد.

قالت: من المشط الذي جلبته لي.

قال: أشوف شعرك اليوم أحمر.

قالت: من الحنة التي جلبتها لي.

استنكر الزوج منها كل شيء، ولم يقنع بإجاباتها إذ داخله الشك، فوضع السيف بينه وبينها ونام ليلته تلك.

وفي يوم قرر النزل الرحيل، حملوا ظعائنهم وساروا، ولكن مهر صاحب البيت التي رعتها فطوم سابقاً كانت تسير مع الظعائن قليلاً، ثم تعود إلى حيث طمرت فطوم فتصهل وتتمرغل[١٣] على الأرض... ارتاب الرجل في الأمر وقال في نفسه: لابد أن وراء عودة المهر سراً..! فقال لجماعته: اذهبوا وسأعود لأجلب المهر. فوجد المهر تضرب بحوافرها الأرض وتصهل، ثم تتمرغل على الأرض، فأبعدها وحفر فوجد الصندوق وحين فتحه رأى فطوم عارية بداخله وقد عادت إليها الروح، فحدثته حديث السعلوة فأردفها على الفرس، وجلّلها بعباته، وحين وصل إلى الظعن وحاذى السعلوة امتشق سيفه وقطع رأسها.

١ ـ رواها والدي جاسم الحميدي، ٩٠ سنة.

والسعلوة هي السعلاة: والعنوان مثل فراتي يدل على حماقة وغباء السائل.

٢ ـ يخسا: أي خزي وبعد ـ عامية فصيحة، وهي مهموزة في الفصيح.

٣ ـ لا تحتار: لا تحار، خطأ شائع. في الحوار خاصة: تركت الأخطاء اللغوية والنحوية كما هي لمحاكاة اللهجة العامية..

٤ ـ الكف معروف، وتلفظ في عامية الفرات بالجيم.

٥ ـ ما فيها ضو قمر: أي ضوء، كناية عن شدة الظلام.

٦ ـ المخمر: وعاء يوضع فيه الخبز، جذوره فصيحة.

٧ ـ شليلي:وفي هذا الموقع تلفظ (شْلَيلي) للتصغير، وهو أسفل الثوب.

٨ ـ قريعة: تصغير قرعة، وتلفظ القاف كالجيم في اللهجة المصرية.

٩ ـ السفيفة: حبل عريض ينسج من الصوف يحزم به الحطب.

١٠ ـ يا زي: يكفي. عامية.

١١ ـ جعد: أي أنها على رأس العمل، وهنا تذكر مراحل التحطيب، من القطع، إلى الرجاد أي تكويمه فوق بعضه، ثم شده بالسفيفة وحمله.

١٢ ـ في هذا الحوار تحدد الصفات التي تمتاز بها السعلاة عن المرأة العادية، كما يعتقدون.

١٣ـ تتمرغل: أي تتدحرج على الأرض، وتتمرغ بالتراب.

جمل غيدة [1]

- كان يا ما كان نحكي ألاّ ننام؟

- نحكي.

تجمعن بنات القرية وذهبن ليقطفن[2] الحبتوث[3]، فوجدن شجرة توث عالية، فقلن من يصعد إليها، ويهزها لنا ليسقط الحبتوث، فترددن جميعاً، و لم تخاطر أي منهن بالصعود إليها.

قالت غيدة: سأصعد أنا، وأهز لكن الشجرة شرط أن تملأن قدحي كما تملأن قداحكن.

صعدت غيدة إلى الشجرة، وراحت تهزها والتوث يتساقط منها، فكن ينتقين الحبة الجيدة لأنفسهن، والحبة السيئة لغيدة حتى امتلأت الأقداح وفاضت، فأخذن في طريق العودة فقالت إحداهن:لنستريح قليلاً، ولنر من توثها أحسن؟ وضعن قداحهن عن رؤوسهن وهن يتضاحكن ويتغامزن عليها، فأدركت أن صويحباتها قد خدعنها، فألقت بتوثها أرضاً وعادت إلىالشجرة، وصعدت فوقها وانتقت الحبات الجيدة انتقاء، وحين امتلأ قدحها عادت إلى أهلها.

وصلت غيدة إلى أول القرية فتلقتها صويحباتها، وقلن لها: لقد جاء البياع واشترى لنا أهلنا معاضيد[4]، فأسرعت إلى أمها، وقالت لها: ألم تشتري لي معاضيد يا أمي؟

قالت أمها: بلى لقد اشـتريتها لـك، ولكنـي تركتهـا فـوق الدكـة[٥] فكسـرهن الجدي المفشوش[٦]، فاذهبي إلى خالتك لعلها اشترت لك.

ذهبت إلى خالتها: وسألتها: خالة ألم تشـتري لي معـاضيد؟ قـالت: بلـى، ولكنني تركتها فـوق الدكـة فكسـرهن المفشـوش فـاذهبي إلى حبـابتك[٧] لعلهـا اشترت لك. وحـين وصلـت إلى حبابتهـا وسـألتها، قـالت: بلـى يـا ابنـتي لقـد اشتريت لك أحسن المعاضيد، وتركتهن فوق الدكة فكسرهن المفشوش، عادت غيدة إلى أمها باكية، فأعطتها أمها شَرِيّة[٨] لتلحـق بالبيـاع، وحـين تبينتـه وقـد ابتعد عن القرية صاحت به:

ـ هين.. يا بياع وقف.

قال البياع وهو ينخز حماره: جو جحشي جو، أنا أوقف جحشي ما يوّقف[٩]..

ثلاث مرات تصيح له غيدة، وثلاث مرات يـردد قولـه، حتـى ابتعـد عـن القرية فتوقف وانتظرها، ثم ملأ يديها بالمعاضد والأساور، وأركبها علـى حمـاره وهي تبكي، ظل البياع يقودها قـاع تشـيلهم وقـاع ترميهـم إلى أن وصلـوا إلى مغارة فأدخلها فيها وأغلقها، وانتفض فإذا به حنفيش، وكان يغادرها في النهار، ويعود إليها في الليل فقط.

وكان الراعي يمد بأباعر أهل غيدة بعيداً عن القرية، فكان جملها يسير إلى أن يصل بطين(١٠) العلو فيبرك، ولا يأكل من العشب كغيره من الجمال، فيقـول الراعي:

جمل غيدة يا حزين

مشلكح(١١) بذاك البطين

كل الجمال ترعى ألاّ جمل غيدة حزين

فترد عليه الصفاة:

غيدة بجناجلها(١٢)

منين ما اجا الدب ينجلها(١٣)

محمد يا ابن والدها

بلكي الليل(١٤)، يهديك عليّ

تكرر هذا ثلاث مرات، فحدث الراعي محمد، أخو وديعة بذلك، فقال له محمد: سأذهب معك وآخذ طبق تمر وطبق جمر، فتقول قولك: فإن ردت عليك الأرض فلك طبق التمر، وإن لم ترد عليك وضعت رأسك في طبق الجمر.

في اليوم التالي ذهب محمد والراعي بالأباعر، فجاء «الليـل» ـ وهـو اسـم جمل غيدة ـ إلى حيث يبرك كل يوم، فقال الراعي:

جمل غيدة يا حزين

مشلكح بذاك البطين

كل الجمال ترعى ألاّ جمل غيدة حزين

لم يرد أحد على الراعي، فكرر قوله مرة ثانية، دون جدوى، ثم كرر ذلك للمرة الثالثة، فردت الصفاة:

غيدة بجناجلها

منين ما اجا الدب ينجلها

محمد يا ابن والدها

بلكي الليل يهديك علي.

اقترب أخوها من الصفاة ودق عليها، وسأل: أأنت غيدة؟ فقالت: أنا غيدة، وقد حبسني الحنفيش هنا، وهو لا يأتي إلا ليلاً، زحزح محمد الصخرة ودخل إلى حيث أخته فالتقيا، وتحاضنا، وقال لها: لنذهب، قالت: لقد ليّلت الدنيا وسيأتي الحنفيش سأخفيك عنه، وبعد أن ينام نهرب. جاء الحنفيش فقال لها: أشم عندك رائحة أنسي.

فقالت له: لم أر إنساناً منذ دخلت هذه المغارة.

أكل الحنفيش ونام، فقامت هي وأخوها بحمل أبر ومخط(٥٥) من تلك التي يبيعها الحنفيش وهربا، وظلا يركضان حتى أدركهما الصباح، فالتفتا خلفهما فإذا بعجاجة الحنفيش قد علت إلى السماء، وكان هذا قد استيقظ فلم يجدها، فحط بأثرهما، وعندما اقترب منهما القيا الأبر، فدخلت في أرجله، فانشغل

باخراجها وجمعها، ثم لحق بهما، فألقيا بالمخط فانشغل بها أيضاً، ووصلاهما إلى أهلهما سالمين.

أما الحنفيش فذهب إلى راع وقال له: سأغنيك وأعطيك ما تشاء إذا فعلت ما أطلبه منك!

سأله الراعي: وما تطلب مني؟

قال الحنفيش: سأتحول إلى جمل، وتأخذني أنت وتبيعني بملاة أذني نخالة[١٦].

قال الراعي: هذا أمر سهل.

وللحال تحول الحنفيش إلى جمل، فقاده الراعي يدور به على العربان، وهو يصيح: من يشتري الجمل بملاة أذنه نخالة؟ فكان الناس يحملون النخالة بالتنك والأكياس ويصبونها في أذن الجمل، لكنها تظل فارغة، وجاءت غيدة تحمل بيدها قبضة نخالة ووضعتها في أذن الجمل فامتلأت، فأخذته فرحة.

في اليوم التالي رحل أهل غيدة، وركبت هي وبنات عمها على ظهر جملها، وبعد أن سار شوطاً من الطريق برك، ورفض أن يبرح مكانه، فنزلت بنات عمها وبقيت غيدة وحيدة على ظهره، وقد التصق جلدها على جلده، فإذا ضربوه صرخت هي، وإذا حاولوا فصلها عنه صاحت متألمة، فما كان منهم إلا أن تركوها في البرية على ظهر جملها وذهبوا، فقالت غيدة داعية ربها:

ا لله يجعلك مدق صوان(١٧) على مفرق الدروب، وكل من يمر بك يبول عليك!
فقال الجمل: وا لله يجعلك سلوقية عرجاء تركضين وراء العربان.

فتحول هو إلى مدق صوان(١٨) على مفرق الدروب، وتحولت هي إلى سلوقية عرجاء ظلت تركض إلى أن وصلت إلى بيت فاستظلت بظله، ثم ألفت البيت وألفها أصحابه، وكانت صاحبةالبيت تنسج نسيجاً، وذات يوم وضعت المرأة السدو وحين استيقظت صباحاً وجدته منسوجاً، وقد تكرر ذلك ثلاث ليالٍ، والمرأة تتعجب من ذلك، فقال لها ولدها سأكشف هذا السر، جرح اصبعه ودحاه ملحاً حتى لا ينام، وفي الليل قامت السلوقية، ورمت جلدها فإذا هي فتاة تقول للقمر قوم لأقعد مطرحك، ثم نزعت خواتمها من أصابعها وراحت تنسج، والفتى ينظر ويتعجب، وسرق خاتماً من خواتمها، وعندما انتهت من النسيج لبست خواتمها فافتقدت واحداً منها، فلم تصدق، فأشارت إلى أصابعها، قائلة: هذا له، وهذا له، وهذا بَحْ(١٨)!

حارت أين ذهب الخاتم، ثم لبست جلد السلوقية ونامت وهي غير مطمئنة لضياع خاتمها، وتكرر ذلك ثلاث مرات، وفي كل مرة كان الفتى يسرق خاتماً.

في اليوم الأخير قال الفتى لأمه: أرسلي لي طعامي مع السلوقية إلى الحقل، سخرت منه أمه، إلا أنه قال لها: افعلي ما أقول لك!

وبالفعل حملت له الطعام، وألقته على مبعدة منه، وهربت حين حاول إمساكها.

عاد الولد إلى أمه مساء، وقال لها: سأتزوج.

قالت الأم: هذا منى عيني! فأنا أطلب منك دائماً أن تتزوج وأنت ترفض وتتهرب! لابد أنك وقعت على صيد ثمين..

قال الفتى: سأتزوج السلوقية.

- ماذا؟

- الذي سمعته.

- يا ابني اتق الله! بجاه الله عليك بحياة الله عليك قل غير هذا القول.

قال الفتى: راسي والف سيف إلاّ السلوقية.

قالت له: ذنبك على جنبك.

قال لها: افعلي ما أشير عليك به: خذي زرباً وحجّنيه[19]، وضعي طبق ورد، وطبق رماد، وحين تستيقظين صباحاً انظري إلى الطبقين فإن رأيت الرماد يهيل[20]، والورد ذبلان صيحي! وإن رأيت الورد مفتح والرماد ساكن هلهلي[21]!

فعلت أمه كما أمرها، ودخل هو على السلوقية وكان قد حضر مطرق خيزران، فراح يضربها قائلاً: تسي جليد مو جليد لك! وظل يضربها حتى رمت جلد السلوقية، أما أمه فقد باتت ليلتها على جمر الغضا، ومنذ الصباح

ذهبت إلى الطبقين فوجدت الرماد ساكناً، والورد مفتحاً فهلهلت، ودخلت إلى بيت ابنها فرأت في حضنه عروساً كفلقة القمر.

وكان للولد ابن عم وعنده سلوقية، فقال لأمه: سأتزوج السلوقية لكن أمه حاولت منعه قائلة: هذه سلوقية بنت سلوقية، نحن ربيناها، ونعرفها، وسلوقية ابن عمك غريبة، وأصلها آدمية.

فقال: راسي وألف سيف إلا السلوقية، فضعي طبق ورد وطبق رماد، وانظريهما صباحاً، فإن كان الرماد يهيل والورد ذبلان فصيحي، وإن كان الرماد ساكناً والورد مفتح فهلهلي.

وفي الليل دخل على سلوقيته وبيده مطرق خيزران وراح يضربها وهو يقول: تسي جليد مو جليد لك! والسلوقية تعوي، وظل كذلك حتى هده التعب ونام، فأكلت الكلبة أحشاءه ونامت في سلته.

استيقظت أمه صباحاً، فركضت إلى الطبقين فرأت الورد ساهياً ذابلاً، والرماد يهيل فصرخت من قحوف رأسها.

---

١ ـ روتها فاطم المحمد ٥٥ سنة من زور شمر، كما روتها أختي غازية من الرقة ٤٥ سنة.

٢ ـ تستخدم عامية الفرات هنا (حاش) أي جمع وقطف، وهي فصيحة.

٣ ـ الحبتوث: أي حب التوث: وهي فصيحة بالتاء والثاء.

٤ ـ المعضدة والمعضد والجمع معاضد: الأساور تكون على العضد في العامية والفصيحة وهم يصغرونها في العامية (معيضيدات).

٥ - الدكة: مصطبة أمام البيت.

٦ - المفشوش: الجدي.

٧ - الحبّابة: الجدة.

٨ - شرِيّة: مقداراً تشتري به، ويكون من القمح أو البيض..

٩ - أو قفّ: يلفظونها هنا بالقاف يقلدون البائع الحضري.

١٠ - البطين: تصغير بطن، وهو منخفض في أسفل المرتفع.

١١ - مشلكح: ملقى ومهمل، عامية.

١٢ - الجناجل: القيود.

١٣ - ينجلها: يضربها في العامية والفصيح.

١٤ - الليل: اسم الجمل.

١٥ - المخط: جمع المخاط: وهو أكبر من الابرة يخيّطون به.

١٦ - النخالة: ما تخلف من الدقيق بعد نخله في العامية والفصيح.

١٧ - مدق صوان: أي حجر صلب يُدق به.

١٨ - بَخْ: لا شيء، وهذا الأسلوب يتبعه الراوي حين يحكي الحكاية للأطفال خاصة.

١٩ - الزرب معروف: وحجّن الزرب: عطفه، أي جعله كالصيرة، وهي عربية فصيحة.

٢٠ - يهيل: يتطاير.

٢١ - هلهلي: زغردي، والجمع الهلاهل، وهي من هلهل الصوت أي رجعه.

ابن الحطاب [1]

كان يا ما كان، كان في قديم الزمان رجل حطاب يحمل قدومه صباح كل يوم، ويذهب إلى الغابة، ويعود آخر النهار بحمل حطب يبيعه فيحصل على رزق عياله.

وذات يوم لحق به ابنه فطرده، وأعاده إلى البيت إلاّ أن الولد غافل أبيه وتعربش[2] تحت العربانة[3]، وهناك فيما كان الرجل يحتطب جلس ولده يخط على الأرض بعود كان بيده فوجد ريشة من ذهب، فنادى والده وأطلعه على ما وجد، فقال الحطاب: إنها ريشة ذهبية، سنأخذها إلى الملك فهي تليق به، وسيكافئنا على ذلك.

ذهبا إلى الملك وأهدياه الريشة ففرح بها الملك فرحاً شديداً، وأعطى الحطاب حمل ذهب مكافأة له.

عاد الحطاب وابنه إلى البيت فرحين مسرورين، وجاء الوزير الحسود متزلفاً، فأسر في أذن الملك: إن الحطاب مكار، ولابد أنه يملك الطير كاملاً، أو يعرف مكانه، وقد خدع الملك بهذه الريشة، وفاز بالطير كاملاً.

صدّق الملك وزيره، وأرسل في طلب الحطاب، وقال له: سأسلخ جلدك إن لم تأت بالطير كاملاً.

حار الحطاب في أمره، فهو لم يشاهد في حياته كلها طيراً من هذا النوع، ولكن لا مجال لمراجعة الملك لأنه لن يسمع منه، ولن يصدقه، فعاد الحطاب إلى بيته مهموماً مبتئساً، فقال له ابنه: ما بك يا أبي؟ ولماذا أنت مهموم؟

قال له: ابتعد عني، فكل البلاوي[4] من ورا راسك[5]! إن الملك يعتقد اننا نملك الطير الذهبي ونخفيه عنه.

قال الولد لأبيه: اعطني الأغنام التي اشتريتها بمكافأة الملك لأسرح بها، وأبحث عن الطير علّ الله يوفقني وأجده.

ساق الولد الأغنام، وذهب حيث وجد الريشة، وراح يحفر في الأرض، ويدعو الله، وفيما هو منهمك بالبحث والدعاء جاءه شيخ له لحية بيضاء طويلة، وقال له: ما تفعل يا بني؟ ولماذا تدعو الله بكل هذه الحرارة؟

فأخبره الفتى بخبر الريشة، وكيف اهدوها للملك، وما كان منه، قال له الشيخ: عد إلى الملك واطلب منه، دن عرق، وشوال حب، وجملاً، وعد إلى هنا، انثر الحب، وافتح دن العرق، ثم اذبح الجمل وادخل في سلته[6]، وانتظر حتى تأتي الطيور لتنقر الحب وتشرب من العرق، فتدوخ ولا تستطيع الطيران، فاخرج عند ذاك من مكمنك واقبض على أكبر طير فيها، وكلما انتظرت كان صيدك أكبر، لأن الطيور الصغيرة هي التي ستأتي أولاً.

فعل الفتى ما أشار عليه به الشيخ، فجاءت الطيور ونقرت الحب، وشربت من دن العرق، ولم تعد تقوى على الطيران، فخرج ابن الحطاب من سلة الجمل وأمسك طيراً كبيراً منها، وحمله إلى الملك.

فرح به الملك كثيراً، وأعطى ابن الحطاب حمل ذهب على صيده الثمين، ولكن صياح الطائر في الليل أزعج الملك، وطيّر من عيونه النوم، فقال له الوزير: كيف يعيش الطائر دون أنثى يا مولاي..سيظل يزعجك بصياحه الليلي إلى أن نزف له أنثى من جنسه، فاطلب من ابن الحطاب أن يأتيك بأنثى له.

قال الملك: صدقت فيما نطقت.

واستدعى ابن الحطاب، وقال له: أريد أنثى للطير.

حاول ابن الحطاب أن يعتذر أو يروغ، ولكن الملك قال له: إما أن تأتي بالأنثى، وإما أن أسلخ جلدك.

ذهب ابن الحطاب إلى الغابة مهموماً، وهو يلعن الساعة التي عثر فيها على الريشة، وفي الغابة دعا ربه من قلب مهموم موجوع وبحرقة، فجاءه الشيخ ذو اللحية البيضاء، وقال له: ما بك يا ولدي؟

قال: لقد طلب الملك أنثى للطير

قال الشيخ: أمرك إلى الله. افعل ما فعلته في المرة الأولى..!

ففعل كما أشار عليه الشيخ، وأمسك بالأنثى وأخذها إلى الملك، فأعطاه حمل ذهب بدلاً منها، ونام الملك ليلته تلك مرتاحا إذ لم يعد الطير للصياح.

في اليوم التالي قال له الوزير: لا بد لهذين الطيرين العجيبين من قفص يليق بهما يا مولاي، فاطلب من ابن الحطاب أن يأتيك بقفص من عظام الفيل.

تضايق الفتى من طلبات الملك التي لا تنتهي، ثم فوض أمره إلى الله وذهب إلى الغابة، ودعا ربه، فجاءه الشيخ ذو اللحية البيضاء، وقال له:

ـ ما بك يا ولدي؟

قال الفتى: لقد طلب الملك قفصا للطيرين من عظام الفيل.

قال الشيخ: عد إلى الملك واطلب منه سبعة جنود ببواريدهم، وسبعة قصابين، وسبعة نجارين، وسبعة دهانين.

عاد الفتى إلى الملك وطلب منه ما أشار عليه به الشيخ، فقال الملك: أعطوه ما طلب.

أخذ الفتى هؤلاء إلى الغابة، وأطلق الجنود يصطادون الفيلة، وأمر القصابين أن يستخرجوا عظامها، وأوعز إلى النجارين أن يصنعوا القفص، وكلف الدهانين بدهنه، وفي يوم واحد جهز القفص، وأصبح فرجة للناظرين، فحمله وقدمه للملك، فأعطاه حمل ذهب.

أصبح ابن الحطاب غنياً، ولكن الوزير الحسود الحقود قال للملك: ستكتمل فرحتك، يا مولاي، لو كانت عندك ست بدور، فاطلب من ابن الحطاب أن يأتيك بست بدور التي تعيش ورا سبعة بحور.

بعث الملك ورا ابن الحطاب، وحين مثل أمامه، طلب منه: ست بدور التي تعيش ورا سبعة بحور.

ذهب ابن الحطاب يتصفق بيديه على هذه المصيبة الجديدة، والبلية الشديدة، ووصل إلى الغابة، ودعا ربه، فجاءه الشيخ ذو اللحية البيضاء، فقال له: ما بك يا ولدي؟

فقال الفتى: بلّية جديدة ابتليت بها! فالملك يريد أن آتيه بست بدور التي تعيش ورا سبعة بحور.

قال الشيخ: اذهب إلى الرجل الذي يسمع أخبار الدنيا ويعرفها، وسيساعدك.

ذهب الفتى إلى الرجل الذي يعرف أخبار الدنيا، وطلب منه أن يساعده في العثور على ست بدور. فقال له الرجل: لو كنت ابن الحطيطيب[7] الذي فعل كذا وكذا لن أذهب معك!

فقال له: أنا هو ابن الحطاب بالفعل!

قال: سأذهب معك.

ترافقا، وهما يسيران شاهدا مارداً رجلاه بالأرض ورأسه في السماء، فقال له الفتى: اذهب معنا للعثور على ست بدور، قال له: لن أذهب معك حتى لو كنت ابن الحطيطيب الذي فعل كذا وكذا.

قال له: أنا ابن الحطاب.

فذهب معهما، وهم يسيرون شاهدوا رجلاً يقف على شط البحر، يشفطه، ثم يعيده، فقال له الفتى أن يذهب معهم للعثور على ست بدور، فرد عليه شفاط البحر: لن أذهب معك حتى لو كنت ابن الحطيطيب الذي فعل كذا وكذا.

قال له: أنا هو.

ذهب معهم شفاط البحر، وساروا جميعاً في البداية، ثم حملهم المارد الذي كان يقطع في يوم واحد ما يقطعه الانسان العادي في سنة إلى أن وصلوا إلى البحر الأول فشفطه شفاط البحر، وبعد أن اجتازوا موضعه أعاده الشفاط، وهكذا حتى عدّاهم[٨] سبعة البحور.

وصلوا إلى مدينة ست بدور فخطبوها من أبيها، فقال لهم: عودوا من حيث أتيتم فهذا أسلم لكم.

قال ابن الحطاب: ما قطعنا سبعة البحور لنعود دون ست بدور.

قال الملك: إذن نفذوا شروطنا.

قال ابن الحطاب: نحن جاهزون، ما شروطك يا مولاي..؟

قال الملك: سأمد لك سفرة كبيرة، ويضع عليها كل بيت في المدينة صحنا مما طبخوه،وعليك أن تأكل كل ذلك، هذا هو شرطي الأول، فإن نفذته أخبرتك بشرطي الثاني، وإن لم تنفذه سأقطع رأسك جزاء جرأتك.

قبل الفتى بالشرط، ونادى المنادي أن يأتي كل بيت في المدينة بصحن من طبيخه في هذا اليوم، ويضعها فوق سفرة الملك، فامتدت الأطباق أمام الفتى حتى ما عاد يرى آخرها، فأوجس في نفسه خيفة، لكن شفاط البحر الذي وقف إلى جانبه، قال له: لا يهمك الأمر، وبلمح البصر شفط الطعام كله حتى الصحون والملاعق ازدردها.

قال الملك: شرطي الثاني أن تأخذ فنجان قهوة مملوء حتى حافته، وتصعد به إلى ست بدور، وتعود دون أن تسقط منه قطرة، إن نفذت هذا الشرط، أخبرتك بشرطي الثالث، وإن لم تستطع قطعت رأسك جزاء تطاولك.

حمل الفتى الفنجان، ولما رأته ست بدور أحبته، فألقت خاتمها في الفنجان، فصعد به الفتى وهبط دون أن يريق نقطة منه.

قال الملك: لقد أحسنت في هذا، وشرطي الثالث أن أوقد الفرن وأحميه حتى يذوب الحديد فيه، عندها تدخله أنت، وتمكث فيه ثلاثة أيام، فإن احترقت كان ذلك جزاء ما طلبت، وإن خرجت سليماً استحققت ما طلبت.

أوقدوا الفرن وحموه ثم وضعوا فيه الحديد فذاب، عندها دخل فيه شفاط البحر، على أنه الفتى، وقذف ما في جوفه من ماء في الفرن فأصبح برداً وسلاماً، وبعد ثلاثة أيام خرج من الفرن وشفط المياه فعاد الفرن كما كان.

قال ابن الحطاب للملك: لقد نفذت شروطك، وبقي أن تنجز وعدك لي، وتعطيني ست بدور.

قال الملك: أنت سحّار، ولن أعطيها لك!

عاد ابن الحطاب إلى صحبه، وأخبرهم أن الملك نكث بعهده فقرروا أن يقيموا حفلاً للناس: شفاط البحر يشفط الماء، ويعيده، والمارد يصطاد الطيور الطائرة في السماء، وأبو الأخبار يقص عليهم القصص، ويتحفهم بالأخبار،

وحين يجتمع الناس للفرجة، ويأخذهم العجب مما يشاهدون، سينسون ست بدور، ويتراخون عن حراستها، فيخطفونها ويهربون.

أعلنوا عن الحفلة فخرج الناس جميعاً للفرجة إلا ست بدور فقد منعها الملك من الفرجة، ولكنها ألحت عليه، فوضعوا لها سجادة لتسير عليها، والحراس يحفون بها من كل جانب..! وعند ذلك انقض المارد واختطفها من بينهم وحمل صحبه وهربوا...! فطاردهم الملك وجنوده، إلا أن العملاق وصل بهم إلى البحر، فنزل شفاط البحر وشفطه فعبروا جميعاً اليابسة، وحين توسط الملك وجنوده موضع البحر أعاده الشفاط، فغرق الملك وجنوده في البحر.

وهكذا حتى عبروا البحور السبعة، فحملهم العملاق، وقطع بهم بيوم واحد ما يقطعه السائر بسنة، وقبل وصولهم، قال أبو الأخبار: لقد مات الملك!

قال ابن الحطاب: لنعد ست بدور إلى بلدها.

فقالت له: أنا جئت معك وسأظل معك، ولا علاقة لي بموت الملك أو حياته.

وصل الفتى وقدم ست بدور للوزير الذي أصبح ملكاً، فأراد أن يتزوجها، ولكن ست بدرو كرهته منذ رأته، وقالت للفتى: اكمن للوزير في الحمام، وحين يأتيك وحيداً ليتخلّى اقتله!

دخل الوزير على ست بدور ليتزوجها، فقالت له: اذهب أولا وتوضأ وصلي لله ركعتين، ثم تعال إليّ لنحيي الليل.

ذهب الوزير للوضوء فخرج له ابن الحطاب وقتله، ولبس ثيابه وتزوج ست بدور، وتسلم المملكة، وعاشوا عيشة سعيدة. وهم راحم وآني جيت.

---

١ ـ روتها غازية الجاسم، من الرقة ٤٥ سنة.

٢ ـ تعربش: تعلّق.

٣ ـ العربانة: العَرَبة.

٤ ـ البلاوي: جمع البَلْوى وهي المصيبة، والبلوى لا تكون في العامية إلا للشر، أما في الفصيحة، فيقال: بلوت الرجل: اختبرته، والاختبار في الخير والشر، والجمع: البلايا.

٥ ـ ورا: وراء، وعامية الفرات تسهل المهموز دائماً.

٦ ـ سلته: جوفه.

٧ ـ ابن الحطيطيب: تصغير الحطاب.

٨ ـ عدّاهم: تجاوز بهم.

دهيم الليل ونجمة سهيل[1]

- أكسبكم الصلاة على رغيف وبصلة.

- اللهم صلي على سيدنا محمد

كان هناك ثلاث فتيات وأخوتهن، الأخوة يذهبون إلى الصيد فيصطادون ما يتيسر لهم، والبنات يرتبن أمور البيت، فينظفنه ويطبخن الطعام، وكانت الأخت الصغرى هي الأجمل والأذكى بينهن لذا كانتا تغيران منها.

وذات يوم كان دورها في الطبخ فأطفأن النار نكاية بها، فحارت في أمرها كيف تطبخ لاخوتها،وماذا سيقولون لو جاؤوا و لم يجدوا عشاءهم جاهزاً، ونارهم مطفأة، صعدت فوق السطوح ونظرت حولها فرأت دخاناً على البعد، فحملت صونه[2] واتجهت باتجاه الدخان وحين وصلت وجدت قصراً فدخلت فيه فرأت ست شمعات وواحدة كبيرة في الوسط، ورأت قدراً مركباً على النار يفور، وتنوراً يخبز لحاله، وكان القصر لملك الجن الذي يراها دون أن تراه، فقال ملك الجن في نفسه: إذا أشعلت النار من الشمعة الكبيرة تزوجتها، وإذا أشعلت النار من الشمعات الصغار خنقتها.

أخذت الفتاة لحماً وخبزاً وأكلت، ثم أشعلت الصونة من الشمعة الكبيرة فاعتبرها ملك الجن زوجة له، وقال لها: لقد تزوجتك، وستلدين بنتاً جميلة.

تعجبت الفتاة من الصوت الذي يحدثها دون أن ترى صاحبه، وداخلها الخوف فهربت مذعورة من القصر، وظلت تركض حتى ابتعدت عنه، ثم

واصلت سيرها مرة تركض، وأخرى تمشي حتى وصلت إلى بيتها، وفي الحال أشعلت النار، وحضرت طعام اخوتها.

راحت أيام وجت أيام[٣] وكبرت بطن الفتاة حتى ما عاد يمكن اخفاؤها عن عيني أختيها الغيورتين، فواجهتاها بالتهمة: أنت مصاحبة[٤].. وسنبور كلنا من ورا راسك.

فقالت لهن: والله لم يمسني أحد، وإنما أكلت من طعام وجدته في القصر، وسمعت صوتاً لم أر صاحبه يقول لي: أنت زوجتي.

لم يصدقن ما قالته، وحدثن اخوتهن بأن أختهم مصاحبة، وستشيلهم العار، فحبسوها وراحوا يقدمون لها قطعة خبز وحسوة ماء كل يوم علها تموت فيخلصون منها.

وهي في سجنها سمعت صوتاً يقول لها: البسي هذا الخاتم، وكلما احتجت إلى شيء اطلبيه من الخاتم، فيقدمه لك.

طلبت من الخاتم طعاماً فقدم لها أشهى الأطعمة، وطلبت فراشاً ولحافاً ووسادة، فقدم لها الخاتم أثاثاً وأمتعة تنفرش بنفسها، وتتنضد بنفسها، وكلما دخلت إحدى أختيها لتقدم لها حسوة الماء، وقطعة الخبز وجدتها في أحسن حال، فوجهها يزداد استدارة، وبطنها ترتفع وهي تسمن.

وذات يوم وقد قرّب الطلق قالت للخاتم: لن ألد في هذه الغرفة الصغيرة، اني أريد قصراً كل غرفة فيه تختلف عن الأخرى، و لم تكمل كلامها حتى

وجدت نفسها في قصر كل غرفة فيه تختلف عن الأخرى، وهناك ولدت بنتاً جميلة.

راحت سنين وجت سنين وكبرت البنت، وذات يوم صار عرس ابن الملك، فأرادت الفتاة أن تذهب إلى العرس، ورجت أمها أن تسمح لها بالذهاب إلى العرس.

فقالت لها أمها: سأستشير أبيك، فأخبرت الخاتم، فقال لها: لتذهب إلى العرس، ولباسها جاهز في خزانتها، فتحت الخزانة فوجدت ثوباً من ذهب وقندرة من ذهب.

وفي العرس تعلقت بها الأبصار، وهوتها الأفئدة، إذ كانت تتمتع بجمال لا مثيل له، و لم تقع عليه الأبصار من قبل، وفي طريق عودتها إلى البيت قفزت من فوق الساقية فوقع حذاؤها، وكان ابن الملك قد جاء في أثرها فشاهد الحذاء، فحمله معه وعاد إلى قصره، وقال لأمه: أجلوا العرس فأنا لن أتزوج ممن اخترتموها لي، لن أتزوج إلا صاحبة هذا الحذاء!

قالت أمه: كفاك دلالاً.. لن تجد أحسن من عروستك.

قال لها: إذا أردت لي الموت فزوجيني بغير صاحبة هذا الحذاء.

وقع ابن الملك مريضاً، فقامت أمه تبحث عن صاحبة الحذاء، و لم تترك بيتاً فيه فتاة إلا دخلته لتجرب الحذاء، ولكن عبثاً..

فقالت له: لم أجد صاحبة الحذاء.

فقال: كيف.. لقد شاهدتها، فهل ابتلعتها الأرض أم صعدت إلى السماء؟

لعلك نسيت بيتاً لم تذهبي إليه؟

قالت: البيت الوحيد الذي لم أدخله هو ذاك القصر المهجور.

قال لها: ومن قال لك أنه مهجور.؟

قالت: لأن لا أحد يدخل إليه، ولا أحد يخرج منه.

قال: تأكدي من ذلك يا أمي كرمى لي، ولن تخسري شيئاً.

في اليوم الثاني طرقت باب القصر، فانفتح لها الباب، وقابلت الأم.

فقالت لها: لقد وجد ولدي هذا الحذاء، و لم أترك بيتا أسأل عن صاحبته لأرده لها دون جدوى، فهل لديكم فتاة؟

قالت الأم: نعم إن الحذاء لابنتي.

نادت الأم ابنتها، فذهلت الملكة من جمالها خاصة بعد أن لبست الحذاء فجاء على مقاس قدمها، فعادت إلى البيت مسرعة وأخبرت ابنها، ففرح وقام من فراشه، وقال لها: وماذا تنتظرين يا أمي؟ اخطبيها لي!

وفي اليوم التالي خطبت الملكة الفتاة لابنها، فقالت أمها: غداً أعطيك الجواب، إذ لابد لي أن أسأل أبيها، فالرأي رأيه.

أخبرت الأم الخاتم فقال لها: زوجيها بشرط أن يقدموا سياقاً(*) سبع صياني مملوءة بالذهب يحملها سبعة عبيد سود، وعقد ماس.

عادت الملكة في اليوم الثاني فأخبرتها الأم أن الأب وافق على الخطبة على أن يكون سيقاها سبع صياني ذهب يحملها سبع عبيد سود، وعقد ماس. فجاءت صياني الذهب محمولة على رؤس سبع عبيد سود وعقد ماس وبدؤوا يحتفلون بالعرس فاقتربت غيمة، وحطت فوق الفتاة وأمها، وقالت الغيمة: لا تخافي، أنا زوجك وسأكون دائماً معك أحرسك أنت وابنتي. وقال لابنته: حين تزفين إليه تتكلمين مع الكل، وتتحدثين إليهم إلا زوجك، لا تحدثيه إلا إذا قال لك: أبوك دهيم الليل، وأمك نجمة سهيل.

انتهى العرس، ودخل الملك على عروسه فوجدها آية في الجمال، تهيل وتميل وتخلي قلب العاشق ذليل(٦).

راح يحدثها ويدغدغها ويمازحها إلا أنها كانت كالحجرة الصماء، فقال: لعله الخجل، سأنتظر عليها ولكن عبثاً مرت الأيام، حاول ضربها وتهديدها فلم يفلح، فقال ليغيظها: سأتزوج...!

ولكن إذا الحجر رد هي ردت، فنفذ ابن الملك تهديده وتزوج فعلاً، ولكنها لم تبال، وأمام العروس كانت تضع الزيت في المقلاة حتى يغلي، ثم تقلب ما فيه من طعام بيديها.

فقالت العروس: إن زوجتك قاسية، بل لعلها قطعة من حجر حتى لا يؤثر الزيت الغالي فيها.

فقال لها ابن الملك: افعلي مثلها إن كنت شاطرة.

وضعت العروس الزيت في المقلاة، وهي غضبانة، ثم أرادت أن تقلب الطعام بيديها، فانقلب عليها الزيت، وسلخها وماتت.

تزوج ابن الملك مرة أخرى، فكانت بنت دهيم الليل تتسلل إلى داخل التنور وتخبز الخبز.

فقال ابن الملك: لم أر مثيلاً لذلك!

قالت عروسه: أنا أستطيع أن أفعل ذلك أفضل منها.

قال: افعلي إن كنت شاطرة.

دخلت العروس إلى التنور، وقد سحرته(٧)، فاحترقت.

تزوج ابن الملك مرة ثالثة، فكانت بنت دهيم الليل بعد أن تغسل الغسيل تطير إلى الجبل، وتنشر الغسيل عليه.

فقال ابن الملك: هذه المرأة تأتي بالأعاجيب.

فقالت عروسه: لاتخدعك بألاعيبها، أنا أستطيع أن أفعل كما تفعل.

قال لها: افعلي إن كنت شاطرة.

غسلت العروس الغسيل وحملته، وألقت بنفسها من فوق القصر لتطير إلى الجبل فوقعت وماتت.

حار ابن الملك في أمر هذه الفتاة العجيبة، وعجز أن يجعلها تكلمه، وذات يوم وكان الناس يحتفلون بعرس ابن الوزير طلبوا منه حضور العرس، فقال: لا رغبة لي في ذلك، بل لا رغبة لي في شيء، فحلوا عني.

وكان قد أصبح ضيق الخلق، دائم الغضب، فانفضوا من حوله وتركوه وحيداً في القصر، فنام وهو منزعج فرأى فيما يرى النائم ديكاً ودجاجة، فقال الديك للدجاجة: الله يأخذ ابن الملك، إنه لا يستأهل عروسه، لو كنت محله لقلت لعروسي: أبوك دهيم الليل، وأمك نجمة سهيل..

استيقظ ابن الملك وقد زال غضبه، لقد عرف أخيراً طريقه إلى قلب عروسه، ذهب إليها فوراً، وقال لها: ماذا فعلت بي يا بنت دهيم الليل ونجمة سهيل؟

فرحت الفتاة فأقبلت على عريسها تحدثه وتضاحكه وتهارشه.. وعاشا عيشة سعيدة.

وهم راحم وآني جيت، ولو بيتنا قريب جبتلكم قدح زبيب.

---

١ ـ روتها مريم العبد الله من الرقة، ٥٢ سنة.

٢ ـ الصونة: واحدة البعر أو الجلة، يقولون ذلك: لأنهم يدخرونها. وانطفاء النار في الحكايات يتكرر كثيراً ليكون ذلك سبباً في الخروج من الرتابة.

٣ ـ راحت أيام وجت أيام: أي راحت وجاءت، بمعنى مرت الأيام.

٤ ـ مصاحبة: لها صاحب أي عشيق.

٥ ـ السيّاق: المهر، في العامية والفصيح، لأن أصل المهر عند العرب الابل، وهي التي تساق.

٦ ـ تهيل وتميل وتخلّي قلب العاشق ذليل: إنها تسبي القلوب لشدة جمالها.

٧ ـ سجرته: أوقدته في العامية والفصيح.

القط الأسود[1]

كان يا ما كان في قديم الزمان عجوز ولها ثلاثة أولاد، زوجت ابنها الكبير، ومن طلعة الضو[2] حملت ثيابها في صرة وجلست عند باب غرفته، فسمعت زوجته تقول له: إن أمك العجوز ستنكد علينا عيشتنا، فهي عجوز مخرفة، وكل عجوز يحلو لها القر[3] والنق.

خرج ابنها فرأى أمه تحمل ثيابها، فقال: إلى أين يا أمي؟

قالت له: لقد زوجتك، واطمأننت عليك الآن، وسأذهب إلى أخيك. ذهبت إلى ابنها الوسطاني فزوجته أيضاً، ومن طلعة الضو حملت ثيابها، وجلست عند باب غرفته، فسمعت زوجته تقول: زوجة أخيك الكبير تخلّصت من أمك، ووضعتها في رقبتنا.

خرج ابنها فرآها تحمل ثيابها: فقال: إلى أين يا أمي؟

قالت له: لقد زوجتك واطمأننت عليك، وسأذهب إلى أخيك الأصغر. فليس له في الدنيا غيري.

ذهبت إلى الابن الأصغر وزوجته أيضاً، ومن طلعة الضو حملت ثيابها، وجلست عند باب غرفته، فسمعت زوجته تقول: زوجات أخوتك تخلّصن من العجوز لتقع في رقبتي.

خرج ابنها فرآها تحمل ثيابها، فقال إلى أين يا أمي؟ قالت له: بلاد الله واسعة.

راحت تضرب في الشوارع والطرقات إلى أن غابت عليها الشمس، فجلست تستريح، فشاهدها شاب، فقال لها: لقد ذهب الناس كلهم إلى بيوتهم، فما يبقيك أنت حتى هذا الوقت في الشارع؟

قالت له: إنني مقطوعة، الله لا يقطع مخلوق.

قال لها: اذهبي معي وكوني أماً لي، فأنا مثلك مقطوع أيضاً.

قالت له: أولادي تركوني، فهل ستلّفيني(٤) أنت، وتكون أحن عليّ منهم؟

قال لها: جربيني...

ذهبت معه، فكان الفتى يعمل ويعطيها ما يكسبه لتجلب لهما طعامهما، وذات يوم قال لها: يا أمي، إن نفسي تشتهي الشبوط، في اليوم التالي اشترت شبوطاً ونظفته وتبّلته، فجاء قط أسود وخطفه.

عاد الفتى مساء يمنّي نفسه بأكلة شهية، فقالت له أمه: اعذرني يا ولدي، لقد اشتهيت الشبوط فأكلته.

فقال لها: عوافي، ولكن اجلبي لنا شبوطاًآخر غداً.

في اليوم التالي: اشترت شبوطاً ونظفته وتبّلته، فجاء القط الأسود وخطفه.

عاد الفتى مساء يمني نفسه بأكلة شهية، فقالت له: لقد دنت نفسي على الشبوط فأكلته، قال لها: عوافي، ولكن اجلبي لنا شبوطاً آخر غداً، فاللقمة التي تتواعد بها أخير من التي تأكلها.

في اليوم التالي اشترت شبوطاً، ونظفته وتبلته فجاء القط الأسود وخطفه، فركضت في أثره، هو يركض، وهي تركض وراه، إلى أن دخل إلى مغارة فوجدت فيها الشبابيط الثلاثة، وكومة هائلة من الذهب، فحملت ما استطاعت من الذهب وعادت إلى البيت.

وحين عاد الفتى مساء حدثته أمه بالحكاية من أولها إلى آخرها، فقال الفتى: دليني على المغارة، فقادته إليها، فلم يعثروا فيها على شيء، قال لها: نصيبنا هو ما حملتيه معك فقط!

قالت له: اشتر لنا أرضاً لنبني عليها قصراً.

وكانا يعيشان في كوخ مقابل قصر الملك، فقال لها: هذه الأرض كلها للملك، قالت: فلنشترها منه، وقل له أريد أرضاً على قد(*) جلد البقرة وسأعطيك ما تطلب ثمناً لها.

ذهب الفتى إلى الملك، وقال له: يا مولاي أريد أن أشتري أرضاًمنك وسأعطيك ما تطلب ثمناً لها.

قال: فما مساحتها.؟

قال: بقد جلد البقرة.

قال الملك: قس على قد جلد البقرة وخذها دون مقابل.

كانت أمه قد قصقصت جلد البقرة إلى خيوط، فأخذوا أرضاً واسعة، وبنوا فيها قصراً، وأصبح الولد تاجراً كبيراً حتى أن بنات الملك أصبحن يترددن عليها، فاستحسنت الأم بنت الملك الصغيرة فخطبتها لابنها وزوجته.ومن

طلعة الضو حملت ثيابها وجلست عند باب غرفته، فسمعت الفتى يقول لعروسه:

ليس لي عندك إلاّ شرط واحد: أمي.. أمي. لا تعمل أبداً، وطلباتها كلها مجابة، وإن أغضبتها فالفراق بيني وبينك. فرحت الأم، وعادت إلى غرفتها.

راحت أيام وحت أيام، وهم يعيشون في أهنأ بال، وأسعد حال، وذات يوم وجد الفتى أمه تبكي.. فسألها: هل أزعجتك زوجتي؟

قالت الأم: لا يا ولدي، زوجتك لا ذنب لها، ولكنني رأيت بياع جزر وهو حاف، وثيابه مهترئة فأشفقت عليه.

قال لها: سنحسن إليه، ونصلح حاله، فاشترى بضاعته بأغلى من ثمنها، وفي اليوم التالي: وجدها مهمومة مغمومة، فقال لها: ما بك يا أمي أأزعجتك زوجتي؟

قالت: لا يا ولدي، لا ذنب لزوجتك لقد أبكاني منظر بائع الشوندر ذاك فهو حاف، وشبه عار، ليكن الله في عون الفقير.

قال لها: سنحسن إليه، ونصلح حاله، فنزل واشترى منه بضاعته كلها بأغلى من ثمنها.

وفي اليوم التالي وجدها على الحالة نفسها، فكرر سؤاله ذاته، وكررت إجابتها ذاتها، وقالت: لقد أبكاني منظر بائع اللفت ذاك فهو حافٍ، وشبه عار..

قال: سنحسن إليه، ونصلح حاله، فنزل إليه واشترى بضاعته كلهـا بـأغلى مـن ثمنها.

قالت له أمه: اعزم(٦) هؤلاء الباعة لنكسب فيهم ثواباً.

في يوم العزيمة، دخلت الأم المطبخ، فقالت لها كنتها: لـن تلمسي شيئاً أتريدين أن يطلقني زوجي؟

قالت لها: يا ابنتي اسمحي لي أن أطبخ هذه الطبخة فقط، وبعدها لـن أدخـل المطبخ أبداً.

طبخت الطعام وقدموه للضيوف، فبكى أحدهم وقال: والله ان هذا الطبخ يشبه طبخ أمي. فدخلت عليهم أمهم وعرفتهم بنفسها فتباكى أولادها، فقالت لهم: هذا هو ابني الحقيقي لأنه عرف قيمتي، وأعزني، أعزه الله.

اشترى الفتى أرضاً لاخوته وأصلح أحوالهم، وعاشوا جميعاً عيشة هنية.

---

١ - روتها غازية الجاسم، ٤٥ سنة.

٢ - طلعة الضو: أي طلوع الشمس، الصباح، والضو: الضوء، وكل مهموز يسهل في العامية.

٣ - القرّ: كثرة الكلام دون فائدة، أي الثرثرة الفارغة، وتلفظ القاف كالجيم في اللهجة المصرية.

٤ - ستلقّيني: ستأويني.

٥ - قدّ جلد البقرة، أو قدر جلد البقرة.

٦ - اعزم اخوتك: أي ادعوهم إلى العزيمة، بمعنى الوليمة.

وديعة والحنفيش[1]

كان، وأنتم سالمين، رجل له سبعة اولاد ذكور و فتاة واحدة اسمها وديعة، ماتت أمهم، فتزوج أبوهم، وكانت مرته[2] تقسو عليهم، تضربهم وتعطشهم وتجوعهم...

وحين أنجبت وكبر أولادها أصبحت تخبز لأولادها أقراص حنطة[3]، ولأولاد زوجها أقراص شعير.

تشاور الأولاد يوماً واتفقوا على أن يفارقوا وجه هذه المرأة، ويضربوا في أرض ا لله الواسعة بحثاً عن رزقهم. شالوا[4] ثيابهم وزادهم ورحلوا قاع تشيلهم، وقاع ترميهم إلى أن وصلوا إلى حمادة[5] فبنوا فيها قصراً أقاموا فيه.

كان الأولاد يذهبون للصيد، ولا يعودون إلا في آخر النهار، أما وديعة فإنها تبقى هي وقطتها تنظف القصر، وترتبه، وتطبخ طعام اخوتها، وتشعل سراجهم.

راحت أيام وجت أيام وهم يعيشون في راحة بال، وذات يوم وجدت وديعة، وهي تقش[6] القصر، حبة حمص فقرطتها[7]، فقالت لها البسة: وديعة اعطيني من قروطك لا أبول على النار...!

فقالت لها: اذهبي إلى عدل الحمص، وخذي قدر ما تشائين.

لكن البسة كررت قولها: وديعة اعطيني من قروطك لا أبول على النار!

فقالت لها: دونك عدل الحمص بما فيه...!

لكن البسة اللجوج كررت قولها ثالثة، فنهرتها وديعة، وقالت لها: انقلعي وافعلي ما تريدين.

نفذت البسة ما هددت به فانطفأت النار، حارت وديعة في أمرها فقريباً سيعود أخوتها فكيف تطبخ لهم دون نار، صعدت فوق القصر، ونظرت فيما حولها فرأت على حد الشوف[٨]، دخاناً يتصاعد، فنزلت وركضت بإتجاه الدخان قاع تشيلها، وقاع ترميها إلى أن وصلت إلى مصدر الدخان، فرأت سلعويتن يطحن السكر، ونهودهن منسَّفة على ظهورهن، فركضت إلى الأولى أمسكت ثديها ومصت شخبة[٩] حليب، ولهمت لهمة[١٠] سكر، ثم ركضت إلى الثانية وفعلت معها ما فعلته مع الأولى... فقلن لها:

- **هِرَّة لو مو الدرّة كنا قطعنا الجّرة[١١]!**

قالت لهن: أريد ناراً....!

فوضعن لها في قطعة صوف قليلاً من السكن وفوقه بضع جمرات، وعقدن شليل[١٢] زبونها ووضعن فيه جمرات وكمية من السكن[١٣] دون أن تدري، وظل السكن يتساقط من بيت السعلوات إلى القصر.

في اليوم التالي تتبع الحنفيش زوج السعالي، أثر الرماد إلى أن وصل إلى القصر، فتربص بها حتى الليل حيث نام أخوتها، فقال لها: وديعة اعطيني أصيبعك لأمصه لا أقطعه من نصه..!

فأعطته اصبعها ليمصه، وصار الحنفيش يأتيها كل ليلة، ويقول لها: وديعة اعطيني إصيبعك لأمصه، لا أقطعه من نصه، فكانت تعطيه اصبعها فيمص دمها،

وراحت تصفر وتذوي. وكلما سألها أخوتها عن سبب إصفرار وجهها تتحجج لهم بحجج مختلفة، فقال الأخ الأكبر: سأسهر هذه الليلة وأرى ما يحدث لأختي ولكن لم يلبث أن غلبه النوم فنام. وجاءها الحنفيش كعادته مكرراً قوله، فأعطته اصبعها صاغرة كالعادة.

وفي اليوم الثاني قال أخوها الثاني: سأسهر هذه الليلة وأرى ما يحدث لأختي ولكن لم يلبث أن غلبه النوم، وجاء الحنفيش كعادته ليمص دم وديعة.

وفي اليوم الثالث قال أخوها الثالث: سأسهر هذه الليلة وأرى ما يحدث لأختي، ولن يغلبني النوم كما غلب أخوي، ولكنه لم يلبث أن نام.

وهكذا، في كل يوم، كان يسهر أحد الأخوة مصمماً على عدم النوم، ولكن النوم يغلبه، فيأتي الحنفيش كعادته ويمص دم وديعة.. حتى جاء دور الأخ الأصغر، فجرح أصبعه وملأ الجود ماء وملحاً وعلقه فوق اصبعه المجروح ليحرق الماء المملح الجرح فلا ينام، وكلما يغلبه النوم ينقط الماء المملح فوق الجرح فيفزّ متألماً، وفي آخر الليل جاء الحنفيش، وقال: وديعة اعطيني اصيبعك لأمصه لا أقطعه من نصه.

مدت اصبعها له، لكن أخوها عاجله بضربة سيف أطاحت برأسه فقال الحنفيش: ثنّي[١٤].

قال الفتى: أمي جابتني مرة واحدة.

وضعوا رأس الحنفيش في القّفة[١٥]، وغبّوه[١٦] جوّا النضد.

استبطأت نساء الحنفيش عودته فجئن إلى القصر فاستقبلتهن وديعة وأدخلتهن إلى الداخل، فقلن لها: أعطينا ماء لنشرب..!

فقالت وديعة للبسة: بسة روحي هاتي ماء للضيفات.

فقالت البسة: وديعة .. أجيب راس الشيخ بالقفة؟

فقالت لها: هاتي ماء.

فكررت البسة: أجيب راس الشيخ بالقفة؟

وتكرر ذلك للمرة الثالثة، وديعة تقول لها: هاتي الماء، وهي تقول: أجيب راس الشيخ بالقفة.

قالت السعلوات: خليها تجيب راس الشيخ بالقفة!.

ذهبت البسة وأخرجت القفة من تحت النضد، ووضعتها أمام السعلوات، فذهلن حين رأين رأس زوجهن، واقتلعن إحدى أسنانه ووضعنها تحت الحصير، وذهبن.

قامت وديعة لتقشّ البيت فدخلت السن في كعب رجلها فماتت لساعتها.

عاد اخوتها فوجدوها على تلك الحال وفوقها بستها تموء، سألوا البسة، فأشارت إلى القفة، إلا أنهم لم يفهموا شيئاً، وقالوا لن تنام الأرض على وديعة، ويأكلها الدود.!

البسوها ثيابها، وعطروها، وشدوها على ظهر بعير وقالوا له: لا تقف إلا لمن يقول لك «دهيوا دعسك هوا»

سار البعير يطوي الفيافي والقفار، وكلما صادفه أحد هرب من وجهه، وعجز الناس عن الإمساك به، حتى رآه أحدهم ذات يوم والناس يطاردونه وهو لا يتوقف، فقال له: «دهيو دعسك هوا».

توقف البعير عنده فبرّكه، وإذا ببنت مثل القمر ولكنها ميتة، فحملها إلى أمه، وقال لها: يا أمي لقد وجدت هذه الجثة[١٧] على البعير، فاكسبي فيها أجراً، غسليها وكفنيها لندفنها.

قامت المرأة من ساعتها وسخّنت ماء، وهي تغسل الجثة اصطدمت يدها بشيء صلب في كعب قدمها، فعالجته واقتلعته[١٨]، فإذا الفتاة تشهق، وتعود لها الروح..وهي تقول للمرأة: استري علي الله يستر عليك..!

ألبستها المرأة ثيابها، وجاء ابنها فحدثتهما حديثها، فقال لها الرجل:

ـ أتريدينني أخاً لك أم حليلاً؟

قالت: ابن الناس ما يصير أخاً!

فتزوجا وولدت ثلاثة أولاد، وضعت في أذن كل منهم تركية[١٩].

راحت أيام وجت أيام، وذات يوم قالت لزوجها: لقد طلبتني ديرة أهلي.

حاول زوجها أن يقنعها بالعدول عما عزمت عليه، متحايلاً عليها: إن أولادك صغار.. وأهلك بعيدين. وأنت لا تعرفين إذا كانوا قد غادروا ديارهم أم لا..

لكنها أصرت على تنفيذ ما عزمت عليه، فجهز لها زوادة السفر، وحملها بالماء، وأركبها مع أولادها على الجمل، وقال للعبد: رافق عمتك إلى حيث تريد..!

وبعد أن ابتعدوا عن الديار، قال الولد الزغير[٢٠]: عطشان..!

فقالت للعبد: اعطه ماء..! إلا أن العبد خبأ الطعام والماء وقال لها: لا أعطيه إلا إذا تركتني[٢١]...!

سكتت على مضض إذ ماذا تفعل مع العبد وهي في هذه الحمادة التي ليس فيها لا إنس ولا جن.

وطلب الطفل الماء من جديد. فقالت للعبد: اعطه ماء!

فقال لها: اعطيه.. إن مكنتيني من نفسك..!

في المرة الثالثة حين طلب الطفل الماء، رجت العبد أن يعطيه ماء وإلا مات، لكنه أصر على موقفه.

مات الطفل فحملت التركية من إذنه ودفنته، وهي تبكي..

وبعد أن ساروا مسافة طويلة عطش الولد الثاني فطلب الماء، لكن العبد رفض أن يعطيه ماء إلا بشرط أن تسلمه نفسها، ثلاث مرات يطلب الولد الماء وثلاث مرات يراودها العبد عن نفسها..

مات الولد الثاني، ثم لحقه الثالث بنفس الطريقة، وظلت وحيدة مع العبد، وبعد أن سارا مسافة أحست بالعطش فطلبت الماء من العبد، فقال لها: أعطيك ما تشائين إن مكنتيني من نفسك.

فقالت له: أموت كما مات أبنائي ولا أمكنك من نفسي، فليست نفسي أغلى علي من أولادي.

قال العبد: موتي إذن..سأتركك في هذه الحمادة وحدك لتأكلك الوحوش.

ذهب العبد وتركها وحيدة وقد أشرفت على الهلاك جوعاً وعطشاً، إلا أنها تحاملت على نفسها، فسارت تجر أرجلها حيناً، وزحفت أحياناً.. حتى رأت راعياً، فلوحت له بهبريتها[٢٢]، فجاء راكضاً، وسقاها قليلاً من الماء، وبعد أن ارتاحت قالت له: احلب لي هذه الأغنام.

قال لها: منذ تركت وديعة هذه الديرة وأغنامها تحلب دماً ووعياً[٢٣].

قالت له: جرب من أجلي.

قال لها: لا فائدة.

قالت: لن تخسر شيئاً لو جربت.

ودهش الراعي حين حلب احدى الأغنام فإذا الرغوة ترتفع فوق الشبر،

فقال لها: لابد أنك وديعة.

قالت: نعم، أنا وديعة.

فألقى بنفسه عليها معانقاً... إنها أخته وديعة إذن، وكانت، هي قد عرفته، ذهبت معه إلى قصرهم وهناك اجتمعت باخوتها وعاشت عيشة سعيدة.

وهم راحم وآني جيت.

١ ـ روتها غازية الجاسم، ومريم العلي، وفاطم الذياب ٣٤ سنة.
٢ ـ للعرب في المرأة ثلاث لغات، يقال: هي امرأته، وهي مَرْأته، وهي مَرَتَهُ، قال سيبويه قالوا: مراةٌ، وذلك قليل.
والاستخدام العامي لايخرج عن الفصيح.
٣ ـ القرص من الخبز، والجمع أقراص، والفرايتون بلفظون القاف كالجيم في اللهجة المصرية.
٤ ـ شالوا: حملوا: عامية فصيحة الأصل، ويستخدمون الميم لجماعة الذكور (شالم)، كما يستخدمون الواو.
٥ ـ الحمادة: الأرض القفراء.
٦ ـ تقش: تكنس، وجذور الكلمة فصيحة، وإن لم أعثر على الفعل، لكن القَش : ما يكنس من المنازل.
٧ ـ قرطتها: إذا أخذت بقواطعها طرفاً من الشيء، أو لاكته تحت طواحنها، ويقال لكل صلب يصدر عنه صوت حين تلوكه في الفم (قُروط) كالحمص.
٨ ـ على حد الشوف: تعبير عامي، يراد به آخر ما تضفر به العين.
٩ ـ شخبة الحليب: الدفعه منه في العامية والفصيح.
١٠ ـ لهم الشيء: ابتلعه بمرة، في العامية والفصيح.
١١ ـ (هرّة لومو الدرة كنا قطعنا الجرة) أي احترمنا الحليب فلم يقتلنها، أو يقطعن رزقها من الدنيا. والدرة: اللبن، والجرة: ما تجتره الدابة، وهما فصيحتان.
١٢ ـ شليل الزبون: طرفه من أسفل، والزبون من ألبسة النساء خاصة، تلبسه فوق الثوب، وهو مفتوح من الأعلى إلى السفل، ويلبس في الشتاء، أما الصاية: فهي مثلها إلا أنها أخف، وتلبس في الصيف خاصة.

١٣ ـ السكن: الرماد، وتلفظ الكاف كالجيم في العامية، وفي الفصيحة: السكن: النار.

١٤ ـ ثني: كلمة تتكرر كثيراً يقولها الخنفيش لقاتله، والرد عليها كما في الحكاية، أو «أمي ما علمتني أثني» وهو يوضح اعتقاداً بأن الخنفيش يحيا لو ضربته ثانية وربما كانت الاجابة تدل على الوحدانية...

١٥ ـ القفة: وعاء تجعل فيه الأغراض من خوص أو نحوه، في العامية والفصيحة، وتلفظ القاف «قافاً» في عامية الفرات مما يدل على أن هذه المفردة دخيلة على المنطقة، ويؤكد ذلك أنهم يقولون للشيخ الكبير «قفة» تشبيها بها فيلفظون القاف كالجيم في اللهجة المصرية.

١٦ ـ غبّى الشي: ستره: في العامية والفصيح.

١٧ ـ في هذا الموقع تستخدم عامية الفرات (اللشة).

١٨ ـ في هذا الموقع تستخدم عامية الفرات (شلع) بمعنى قلع، وربما كانت لفظة سريانية .

١٩ ـ تركية: بمعنى القرط.

٢٠ ـ الزغير: الصغير.

٢١ ـ تعبير عامي لا يكملون فيه الجملة تأدبا.

٢٢ ـ هبريتها: غطاء الرأس للمرأة خاصة لتعصب به رأسها فوق المحرمة.

٢٣ ـ الوعي: القيح في العامية والفصيحة.

محمد والملك الأعمى [1]

كان ياما كان، كان في قديم الزمان ملك وعنده ثلاث نسوان[2]. كل واحدة خلّفت له ولداً واحداً.

وذات يوم فقد الملك بصره، وعجز الأطباء عن إعادته إليه، إلاّ أن طبيباً خبيراً قال له: يا مولاي. لن يعود نظرك إليك إلاّ إذا أكلت رمانة من ثلاث رمانات لاينبت غيرها على شجرة وحيدة في أقصى الدنيا.

وحين سمع أبناء الملك ذلك، قال ابن الزوجة الزغيرة[3]: سأذهب إلى أقصى الدنيا، وأجيب الرمانات.

شد الشاب على حصانه، وحمل زوادته[4] ومضى إلى أقصى الدنيا، قاع تشيله، وقاع ترميه.. قاع تشيله وقاع ترميه، إلى أن هده التعب، وأرهقه الإعياء فرأى على البعد شجرة مدومة كبيرة، والكبير هو الله، فقال يحدث نفسه، أأكون قد وصلت إلى آخر الدنيا؟ حقاً إذا كان ثمة شجرة وحيدة تشبه الغابة في حجمها فلابد أن تكون هذه الشجرة.

وحين وصلها رأى بالفعل ثلاث رمانات تتلألأ تحت أشعة الشمس. لقد وصل إذن. ولكن لم العجلة إنه مرهق وتعب فلينم في ظل الشجرة وغداً يحصل على رماناتها، لن تهرب الشجرة على كل حال. وضع الشاب رأسه على يده فنام من فوره لشدة إرهاقه، وهو نائم سمع صوت رعد، فاستيقظ فشاهد غيمة سوداء تخيم على الشجرة وتمضي حاملة ثلاث الرمانات معها. أسف الشاب

لأنه لم يقطفها وقت وصوله فالشجرة لا تطرح(*) إلاّ مرة كل سنة، لعن سوء حظه، فهو سيعيش غريباً الآن إذ لن يستطيع العودة إلى أبيه دون الرمانات! ذهب إلى أقرب مدينة، وعمل فيها أجير قصاب.

استبطأ الملك عودة ابنه الأول، ثم يئس من عودته حين مضى وقت طويل ولم تصل منه أخبار، فجاءه ابن زوجته الوسطانية، وقال له:

- اسمح لي يا أبي أن أذهب إلى حيث ذهب أخي.

قال الملك: لا أريد أن أفقدك كما فقدت أخاك.

قال الفتى: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

قال الملك: اذهب على بركة الله.

ذهب الشاب قاع تشيله وقاع ترميه، قاع تشيله وقاع ترميه، يهين أرنب، يهين غزال، يهين أرنب يهين غزال* وظل على تلك الحال إلى أن هده التعب، وأعياه الارهاق، فرأى على البعد شجرة مدومة كبيرة كأنها غابة، فقال: لابد أنني وصلت إلى أقصى الدنيا، ولابد أن تكون هذه هي شجرة الرمانات.

وحين اقترب منها رأى بالفعل الرمانات وهي تتلألأ تحت أشعة الشمس، فرح الشاب، وقال: سأنام في ظل الشجرة، وحين استيقظ سأكون أقدر على الصعود إلى الشجرة والحصول على الرمانات، ولن تهرب الشجرة على كل حال.

توسد الشاب يده فغط في النوم لشدة تعبه، وسمع، وهو نائم، صوت رعد فاستيقظ مذعوراً، فشاهد غيمة سوداء تخيم على الشجرة، وتمضي حاملة ثلاث الرمانات! أسف الفتى على تهاونه، وعلى أنه أخَّر ما كان يجب القيام به فور وصوله.. ولمّا لم يعد من المناسب الذهاب إلى أبيه صفر اليدين قرر الذهاب إلى أقرب مدينة والعمل فيها، وسار فعلاً حتى وصل إلى حيث وصل أخوه من قبل، وعمل أجير فران، والتقى بأخيه هناك.

استبطأ الملك عودة ابنه الثاني، ثم يئس من عودته حين مضى وقت طويل ولم يسمع شيئاً من أخباره، فجاءه ابن زوجته البائرة(٦)، وقال: لو اعطيتني يا أبي ذلولاً(٧) وزوّادة لجلبت لك الرمانات.

قال الملك: لن تكون أفضل من أخويك، ولن تفلح حيث أخفقا، ومع ذلك فلن تكون أقرب إلى قلبي منهما، فخذ ما طلبت واذهب!

ذهب الشاب على طريق أخويه قاع تشيله وقاع ترميه، قاع تشيله وقاع ترميه، يهين أرنب، يهين غزال، يهين أرنب يهين غزال.. وظل سائراً على تلك الحال إلى أن هده التعب، وأعياه الارهاق فشاهد على البعد شجرة مدومة كبيرة، فقال: إذا كان في الأرض شجرة وحيدة تبدو كغابة فهي هذه لاشك، لقد وصلت إلى أقصى الدنيا إذن.

وحين اقترب من الشجرة شاهد الرمانات الثلاث تتلألأ تحت أشعة الشمس ففرح الفتى وزال تعبه للحال، وقال: لن أؤجّل ما جئت من أجله، سأحوش الرمانات، ثم أنام مستريحاً في ظل الشجرة.

صعد الشاب إلى الشجرة، وقطف الرمانات، ووضعها في خرج ذلوله، وتوسد يده ونام، فسمع صوت رعد أيقظه، فإذا بغيمة سوداء تخيم فوقه فضربها، وصاولها، فسقطت إلى الأرض فإذا هي حنفيش قال له الحنفيش الجريح: ثَني.

قال الشاب: أمي ما علمتني أثني.

ذهب الشاب إلى أقرب مدينة، وبحث هناك عن أخويه فوجدهما بحال يرثى لها، فأخذهم وأطعمهم خير طعام، وكساهم خير كسوة، وعاد بهم إلى أهله.

وعندما وصلوا إلى الشجرة شاهدوا مسيل دم الحنفيش فتابعوه ليروا إلى أين يذهب، فإذا به يصب في بئر، وحين وقفوا على حافة البئر صاح صوت: اخرجوني يا أهل المروّة!

قالوا: انس والاّ جن؟

رد الصوت: انس ومن خيار الأناسي.

فقال محمد لاخوته اربطوني بالحبل ودلّوني[٨] في البئر، وهناك وجد فتاة قالت له: اخرج أنت أولاً، ثم ارسل لي الحبل وانتشلني إذ لوخرجت أنا أولاً فإن اخوتك سيغدرون بك، ولن ينتشلوك، فأبى، وقال لها:

ـ أنت أولاً

قالت له: ما دمت مصراً فخذ هاتين الشعرتين، واحدة سوداء والأخرى بيضاء

إذا فركت البيضاء سيخرج لك كبش أبيض، وإذا فركت السوداء سيخرج لك كبش أسود، فإن قلت: أبيض دُوك[٩] أسود خرجت إلى ظاهر الدنيا، وإن قلت: أسود دوك أبيض هَوَيت إلى الأرض السابعة، فإياك أن تغلط.

خرجت الفتاة فذهل الأخوان من جمالها، ودلوا الحبل لأخيهم وقد أضمروا الشر في نفوسهم، وحين وصل إلى منتصف البئر قطعوا الحبل وتركوه يهوي إلى القاع.

أفاق محمد من سقطته، وأدرك ما جرى له، فأخرج الشعرتين وفركهما فحضر للحال أمامه كبشان أحدهما أسود والثاني أبيض، فقال متسرعاً: أسود دوك أبيض، فسقط إلى سابع أرض، وهناك شاهد شجرة كبيرة فقال سأستريح تحتها. وحين اقترب منها سمع أصوات فراخ مذعورة وشاهد حية تتسلق الشجرة لتأكل الفراخ فقتلها ونام تحت الشجرة.

جاءت أنثى النسر فظنت أن هذا الغريب يريد شراً بأولادها فحملت صخرة كبيرة لتلقيها فوقه إلا أن فراخها كانت تطير وترفرف فوقه، وتشير إلى الحية القتيل، فهمت الأم ما حدث، فحملت حجرة صغيرة ومررتها[١٠] على جراح الفتى فالتأمت، وعندها شكرته على صنيعه، وقالت له إن هذه الحية كانت تأكل فراخها دائماً، وأنه خلصها منها.

دخل محمد إلى البلد، واختار منزل امرأة عجوز، وقال لها: اسقيني ياخالة فبالت في الطاسة وأعطته.

قال لها: هذا بول فهل هذا ما تشربون؟

قالت: ليس لدينا ماء ياولدي، فالماء تأتينا مرة واحدة كل شهر، ذلك أن الحية تحبس عنا الماء، ولا تفرج عنها إلا حين نقدم لها ضحية، وهذا الشهر هو دور بنت الملك.

سأل محمد عن موضع الحية، فدلته العجوز، دخل محمد إلى مغارة الحية حاملاً سيفه، و لم يلبث إلا قليلاً حتى شاهد فتاة جميلة، هي ابنة الملك، قادمة تحمل صينية طعام، وضعت الفتاة الصينية وجلست ساكنة، فتقدم محمد وأكل من الطعام حتى شبع، وحين التفت إلى الفتاة رآها تبكي، فقال لها:

ـ أخائفة أنت..؟

قالت: ليس على نفسي، فأنا مصيري قد تحدد، ولكنني أبكي على شبابك أنت الذي جئت برجليك إلى مغارة الحية، فاهرب قبل أن تأتي.

قال لها: لا تخافي علي، لي رب يدبرني.

جاءت الحية فبرز لها محمد، وأجهز عليها بضربة واحدة، فتدفقت المياه مخضبة بدم الحية القتيل، واختفى محمد.

فرح الناس ورقصوا لخلاصهم من الحيّة ، وعودة المياه لهم، وأخبرت الفتاة أباها الملك أن من أنقذها شخص غريب ليس من ديرتنا.

فقال لها: سأجعل الناس يمرون تحت نافذتك، وحين ترين من انقذك، القي عليه تفاحة.

جمعوا الناس ومرروهم تحت نافذة بنت الملك، فلم تر منقذها بينهم، فقال الملك: ألم يبق أحد؟

قالوا: ضيف غريب عند العجوز يامولانا.

قال: هاتوه..!

وحين جاء عرفته الفتاة في الحال، فرمت التفاحة عليه. فقال له الملك:

ـ اطلب ياولدي، فقد انقذت ابنتي، وأعدت الماء إلى مدينتي، ولو طلبت نصف مملكتي لأعطيتها لك...

قال الفتى: لا أريد إلاّ أن أخرج إلى ظاهر الدنيا.

قال الملك: نسورنا لا ريش لها، لهذا لا قدرة لها على الصعود إلى ظاهر الدنيا.

لكن النسر الذي انقذ محمد فراخه من الحية قال: أنا أخرجه إلى ظاهر الدنيا بشرط أن تعطوني كل يوم خاروف وجود ماء لمدة أربعين يوماً، وفي اليوم الموعود أريد سبع أليات غنم، لكل طبقة ألية واحدة مع جود ماء.

وبعد أربعين يوماً ركب محمد على ظهر النسر فطار به، وكان كلما قطع طبقة أعطاه ألية وجود ماء، وفي الطبقة الأخيرة وهو يناوله الألية سقطت من يده، فامتشق سيفه وقطع قطعة من فخذه، فاحتفظ بها النسر إلى أن وصلا إلى ظاهر الدنيا فأعادها إلى موضعها، ومسح عليها فعادت كما كانت.

ذهب محمد إلى بلده فعرف أن والده قد استعاد نظره، وأنه يريد الزواج بخطيبته التي حاولت حماية نفسها بأن ادّعت الجنون، فادّعى أنه طبيب فادخلوه إليها، وحين خلابها عرفها بنفسه فأقبلت عليه، وتباكيا على حالهما بعض الوقت، ثم قال لها: سآخذ فردة قبقابك[١١] الذهبي، فقولي للملك لن أتزوجك حتى تصنع لقبقابي هذا فردته التي ضاعت.. واتركي الباقي علي.

أخبر محمد الملك أن المجنونة قد شفيت من مرضها، فسر الملك بذلك، وعاودته أحلام الزواج بها. فقالت له: لن أتزوجك إلا إذا صنعت فردة لقبقابي الذهبي.

دعا الملك جميع الصاغة وأراهم القبقاب، وقال: من منكم يصنع لي فردة له؟.

حاروا في أمرهم، ثم اعتذروا، فقال الملك: سأعطيكم مهلة لتفكروا في الأمر، وإن لم يستطع أحدكم أن يصنع ما طلبت سأقتلكم جميعاً، فعاد هؤلاء يتصفقون بأيديهم[١٢]، مهمومين مكروبين. وكان محمد قد اشتغل صانعاً عند أحدهم، فلما رأى معلمه مهموماً، قال له: ما بك يا معلمي.. إني أراك ساهماً، مشغول البال منذ عودتك من بلاط الملك؟

قال له: لقد طلب منا طلباً مستحيلاً! وأخبره بما طلب الملك، فقال محمد:

_ أهذا ما يجعلك مهموماً، لاتبتيّن طريقك؟ ابشر يا معلمي بمن يزيل همك، ويرفع السيف عن عنقك.

قال المعلم: من؟

قال الفتى: أنا.

قال المعلم: أنت؟

قال الفتى: نعم، أنا أستطيع أن أصنع ما طلب الملك.

قال المعلم: كل الصاغة على مهارتهم، وخبرتهم، وطول باعهم لم يستطيعوا أن يحققوا طلب الملك، وأنت تحققه؟

قال الفتى يضع سره في أضعف خلقه.. جرّب ولن تخسر شيئاً.

قال له: وماذا تطلب لتصنعه؟

قال: تنكة ذهب، وكيلو كباب، وكيلو بزر كل يوم.

أخبر الصائغ الملك أنه يستطيع صنع فردة القبقاب إذا أعطاه تنكة ذهب، فأمر له الملك بتنكة الذهب، وحذره من الفشل، لأنه لن يرحمه، سيقطع رأسه دون شك إن أخفق.

قدم الصائغ تنكة الذهب لمحمد، وأعطاه ما طلب، فقال له: اغلق علي باب المحل، فجلس فيه يتنعم بأطايب الطعام ويتسلى بالبزر وكلما دق عليه معلمه يسأله عن الأخبار يقول له: كدت أخلص، قطعة هنا.. قطعة هناك.. والصائغ خائف مذعور إذا أن الملك أعطاه مهلة سبعة أيام فقط. وفي اليوم السابع فتح محمد المحل، وجاءه معلمه فقال:

ـ ها.. ؟ ماذا صنعت؟ هل وفيت بوعدك؟

فأعطاه الفتى فردة القبقاب فإذا هي لا تختلف بشيء عن مثيلتها، جن الصائغ من الفرح وذهب إلى الملك بصحبة صانعه، وقدما ماصنعا للملك ففرح الملك، وزال غضبه، ومنح الصائغ وصانعه تنكة ذهب.

وأعلن عرس الملك، وبدأت الأفراح، وفي يوم الزفة حيث يدخل الملك على عروسه[١٣]، اختبأ محمد في غرفة العروس، وحين دخل أبوه امتشق سيفه وقتله، ثم قتل أخويه الخائنين، وأصبح هو الملك، وعاش مع زوجته يحكم بالعدل.

وهم راحم وآني جيت. ولوبيتناهين جبت لكم طبق عوين.

---

١ ـ روتها مريم العلي ٣٥ سنة.

٢ ـ النسوان: جمع النساء في العامية والفصيحة.

٣ ـ الزغيرة: الصغيرة. يبدلون الصاد زايا في عامية الفرات.

٤ ـ يقولون: زهاب السفر، أي ما يتزود به للسفر، ويقولون زوادته. وهما فصيحتان.

٥ ـ لا تطرح: لا تثمر.

٦ ـ البايرة: أي المرأة التي لا حظوة لها عند زوجها، وأصلها: مهموزة: البائرة فيسهلونها كعادتهم.

٧ ـ الذلول: الناقة التي ذللت على السفر. في العامية والفصيحة.

٨ ـ دلّوا الحبل: انزلوه إليه.

٩ ـ دُوك: أي عليك به واسحقه. وجذورها فصيحة.

١٠ ـ قد يستخدمون في هذا الموقع (حس الجرح بالحجر) أي نظفه بها. فصيحة.

١١ ـ القبقاب: النعل المتخذة من خشب في العامية والفصيحة.

١٢ ـ يتصفقون بايديهم: كناية عن قلة الحيلة في أمرما.

١٣ ـ عروسه: ويقولون عادة: عاروس، وهي على صيغة فاعول كالحاصود، ويقال إنها من السريانية.

شجيرة الليل (١٣)

كان يا ما كان في قديم الزمان. كان رجل ومرته وعندهما بنتان، واحدة متزوجة وهي الكبيرة، والأخرى في البيت وهي الصغيرة.

وفي يوم من الأيام قالت الصغيرة لأمها:أريد أن سيِّر[٢] على أختي فدرَّبتها[٣] أمها، ثم عادت وتركتها تواصل دربها وحيدة

سارت الفتاة حتى وصلت إلى أختها الكبيرة فرحبت بها، وأخذتها بالحضن، وقالت لها: لقد جئتِ في وقتك، فزوجي سينام الليلة في الطاحونة، ولن أجد من يؤنس وحدتي خيراً منك.

في الليل جاء زوج الأخت الكبيرة، فقالت هذه لاختها: الأحسن أن تذهبي إلى أمك..!

قال الصغرى: أفي هذا الليل..؟

قالت الكبرى: لا تعتبي علي، فأنا لا أملك إلا هذه الغرفة، وهي لا تتسع إلاّ لي ولزوجي.

قالت الصغرى مستعطفة: لقد ليَّلت الدنيا، والهوا يقط[٤] المسمار، فاتركيني أنام هذه الليلة عندك وغداً سأغبش غبشة واذهب إلى أمي..

قالت الكبرى: إن نمت أنت في الغرفة، فأين أنام أنا مع زوجي؟

قالت الصغرى: دعيني أنام في الحوش[٥] إذن.!

حملها الخنفيش على ظهره، وذهب بها إلى بيت أهلها، فصاحت الفتاة لأمها مرتين: يمّا.. يمّا..! فلم ترد عليها. فصاحت لأبيها: يابا.. يابا.!

فقال الرجل لزوجته: يا مرة هذا حس[10] فلانة..!

قالت زوجته: اسكت..هذه سعلوّة! فالبنت عند أختها ماذا أتى بها في هذا الليل؟!

أكلها الخنفيش وعلق شعرها وثيابها على الشجرة.

في اليوم التالي ذهبت الأم إلى ابنتها الكبرى فوجدت شعر ابنتها وثيابها على الشجرة، أوجست خيفة فأسرعت إلى ابنتها وحين وصلتها سألتها: أين أختك؟

فقالت: لقد تركتني في الليل، وتحايلت عليها لتبقى حتى الصباح ولكن دون فائدة.. راسها وألف سيف إلا تعود في هذا الليل إلى البيت.

أدركت الأم ما حدث لابنتها فسكتت على مضض وقالت البنت لأمها: ما دمت هنا فسوف أترك ابني عندك، وأذهب لأجلب حزمة حطب.

قامت الأم وذبحت الولد وطبخته بالقدر، وثردت لابنتها..! ومهدت الكفكير[11]، وألبسته قبعة، ووضعته في السرير.

عادت ابنتها متعبة، فقالت لها أمها: تعالي كلي فقد طبخت لك طبخة ستأكلين أصابعك وراها.

أكلت حتى شبعت، وهي تمدح طبيخ أمها، وبعد أن انتهت من الطعام وارتاحت قالت: اعطيني ولدي لأرضعه.

قالت الأم: **لقد أكلته..!**

ركضت إلى السرير فوجدت الكفكير فصرخت وولولت ولطمت صدرها، وحثت التراب على رأسها، فقالت لها أمها: ما زال الضنا غالي فلماذا طردت أختك في ظلام الليل..؟!

---

١ ـ الراوية هدولة الجاسم، من الرقة ٦٠ سنة، كما روتها مريم العلي، وشجيرة: تصغير شجرة.

٢ ـ أسيّر: بمعنى أزورها.

٣ ـ درّبتها: سارت معها بعض الدرب.

٤ ـ يقط: يقطع.

٥ ـ الحوش: فناء البيت.

٦ ـ ختلت: اختبأت.

٧ ـ خرّست من البرد: لم تعد قادرة على الكلام.

٨ ـ المسيخيمة: تصغير المسخمة: وهي الحقود.

٩ ـ المليخيمة: تصغير الملخّمة: وهي القاطعة التي لا تهتم بصلة الرحم.

١٠ ـ الحس: الصوت.

١١ ـ الكفكير: أداة من نحاس يغرف فيها من القدور الضخمة المرق خاصة، وهي غير المغرفة أو المغرافة التي يغرف فيها اللحم خاصة دون المرق.

الكلب الأسود (٣)

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان رجل ومرته وليس لهما ضنا، فقالت المرأة متضرعة إلى ربها: يار ربي ما تطعمني بنيّة، وأعطيها للكلب الأسود؟!

حبلت المرأة وولدت بنتاً جميلة.

راحت أيام وجت أيام كبرت البنت، وذات يوم وهي تخبز جاء كلب أسود وقال:

سعدية عم تخبز(٢)

عيني عم تغمز

أخبرت الفتاة أمها بما قاله الكلب الأسود. فقالت لها الأم:

سأختبىء تحت الدكة لأسمع ما يقوله في المرة القادمة بنفسي

في اليوم الثاني وضعت سعدية الصاج وبدأت تخبز فجاءها الكلب الأسود، وقال: سعدية عم تخبز عيني عم تغمز.

وكانت الأم المختبئة تحت الدكة تسمع ما يقول، ففكرت في نفسها: هذا هو النذر الذي نذرته، لقد جاء وقت إيفائه.. ولكن هل ستعطي ابنتها حقاً للكلب الأسود.. أبداً لن تفعل ذلك، فقالت لابنتها: خذي شبطة(٣) حطب واطردي هذا الكلب، ولا تعودي حتى تتأكدي من أنه ما عاد قادراً على العودة.

حملت الفتاة شبطة حطب وطردت الكلب فانطرد أمامها، وحين أرادت العودة تبعها، فعادت لطرده من جديد، وظلت تركض خلفه وهو يركض أمامها حتى انقطع نَفَسُها، وحين قفلت للعودة أدركت للتو أنها قد أضاعت الطريق، وأنها هي، وليس الكلب فقط، لم تعد قادرة على العودة إلى القرية.

عند المغيب، وكان الكلب قد اختفى، شاهدت بركة ماء، فجلست عندها، وغرفت الماء بيديها وغسلت وجهها، وفي الماء رأت صورة شاب سبحان الخالق!

التفتت إليه، فقال لها: لا تفزعي أنا الكلب الأسود الذي كنت تطاردينه، وأنا ابن ملك الجن، ولا أستطيع الآن أن أخبرك باسمي، فإن أردت أن تناديني فقولي يا ابن عمي!

قادها من يدها إلى قصر واسع، فيه أربعون غرفة، عاشت سعدية في القصر هادئة البال، تنعم بأطايب المأكولات والمشروبات والكلب الأسود يأتيها في الليل فقط.

مرت أيام الهناء سريعة كعادتها، إذ لا يدوم الهناء لأحد، وذات يوم مر بالقصر ظعن،عرجت منه عجوز شمطاء، فاستضافتها سعدية، وأكرمتها، ولكن العجوز[٤] ـ ككل عجوز ـ لابد أن تتدخل فيما لا يعنيها، فسألت الفتاة:

ـ هل تظلين في هذا القصر الواسع وحدك..؟

قالت سعدية: نعم..إنه يزورني في الليل فقط.

ـ وما اسمه؟

ـ لا أعرف..

ـ وهل هذا قول تقوله عاقلة..؟ كيف تبقين مع رجل لا تعرفين اسمه؟ ثم ما أدراك أنه حنفيش وأنه سيأكلك في النهاية؟!

أظهرت العجوز إشفاقاً مصطنعاً على الفتاة، وقالت لها: سأنصحك يا ابنتي.. إذا جاءك في المرة القادمة فاسأليه عن اسمه، ولا تتركيه حتى يخبرك باسمه..

ذهبت العجوز، وتركت الفتاة في حيرة من أمرها، وقد انشغل بالها، وحين جاء زوجها وجدها تبكي فقال لها: ما بك؟

قالت: إنني بعيدة وغريبة عن أهلي، وقد بعدت وتغربت عنهم بسببك، ومع هذا فأنا لا أعرف اسمك.

قال لها: ولكنني معك فما يهم الاسم؟

قالت: افرض حصل لي شيء، فكيف أسأل عنك.. أو كيف أترك لك خبراً؟

قال: لو جرى لك شيء، لا سمح الله، فسوف أعرف بنفسي ذلك.

قالت: ولو جرى لك مكروه؟

قال: لو جرى لي مكروه، فلن تفيديني بشيء.

ازداد بكاؤها ونحيبها،وقالت له: أنت لا تريد أن تخبرني باسمك حتى تهرب في الوقت الذي تريد.

قال: وهل معرفتك لاسمي ستمنعني من ذلك لو أردت.

قالت: لا بد لي من معرفة اسمك.

قال: إن عرفت اسمي فسوف تندمين طول عمرك، لأنني سأذهب ولا أعود بعدها أبداً.

أصرت سعدية على معرفة اسمه، فقال لها: سأقول لك اسمي، ولكن قبل ذلك خذي هذه الجزمة(٥) الحديدية، ومتى اهترأت فإنك ستجدينني واسمي هو (قمر مدور). ثم اختفى.

لطمت وجهها، وبكت، وأدركت أن ما قاله صحيح، ولكن فات آوان الندم، فحملت ما خف حمله وغلا ثمنه من الذهب والجواهر، ولبست الحذاء الحديدي، وعادت إلى أهلها، فأعطتهم من الذهب ما يغنيهم إلى ولد الولد. وساحت في الأرض تسأل عن (قمر مدور)، وظلت تمشي، تمشي، تمشي إلى أن اهترأ الحذاء الحديدي، فاستأجرت حماماً في البلد الذي وصلته، وأعلنت أن كل من يحكي لها حكاية يستحم مجاناً.

وذات يوم وصلت إلى الحمام عجوز،وقالت لسعدية، لقد شفت اليوم شوفة غريبة.

قالت لها: قصّيها علي.

قالت العجوز: أخذت «كلّة»[٦] لأغسلها وأنظفها على النهر، فجاء طائر وحملها، وظللت أركض وراءه إلى أن غابت الشمس، وعندها تنبهت إلى نفسي،فوجدت أنني أصبحت وحيدة في غابة كبيرة، ففزعت وارتقيت شجرة لأنام عليها حتى يطلع الصباح، فرأيت الطائر نفسه تحت الشجرة، وقد انتفض فتحول إلى شاب، سبحان الخالق، وقال الشاب يخاطب نفسه: هذا مشطها، وهذي مكحلتها حرقت قلبي بعشقتها! ثم فتح سفطاً[٧] فخرج منه خلق كثيرون، فقالن البنات:

يا هواكش، ويا مطررش، ويا مدات امتدن، ويا كراسي اصطفّن، ويا دنون تعبّن ..

بعد ذلك راحوا يغنون ويدبكون، ويذبحون الذبائح احتفالاً بعرس ذلك الشاب الذي سيزف إلى ابنة عمه قريباً.

قالت سعدية للعجوز سأعطيك هذا الحمام، لو قدتيني إلى الشجرة، فرحت العجوز؛ وقادت الفتاة إلى الشجرة، فانتظرت سعدية حتى ليّلت الدنيا، فارتقت الشجرة، وإذا طائر يحط، ثم ينتفض فإذا هو قمر مدور، وراح يقول لنفسه: هذا مشطها، وهذي مكحلتها، حرقت قلبي بَعشْقتها! فألقت نفسها عليه، فصارا يبكيان من شدة الفرح، وفرط الهوى، وبعد أن تمالكا نفسيهما وتعاتبا على الفراق، قال لها: ما جاء بك إلى الموت الأحمر؟ اهربي بنفسك فقد تقرر مصيري أنا، سأتزوج ابنة عمي، ولا مهرب لي من ذلك.

فقالت له: منك خلقت ومنك أموت!

قال لها: لن يرحموك..

قالت: لنأذهب وأتركك، لا تحاول إقناعي، فأنا ما صدقت شفتك، ولن أضيّع عمري بالندم.

قال: ما زلت مصرة على البقاء، فافعلي ما أشير به عليك.

قالت: أنا من إيدك هذي إلى إيدك هذي، سأكون كالخاتم في إصبعك.

أخذها معه إلى أهله، وحين شاهدوهما، قالوا: لقد عاد قمر مدور بالانسيّة.

قالت لها أمه: إذا أردت البقاء هنا فلا بد أن تعملي..

قالت: أنا جاهزة للعمل.

قالت أمه: وردي الخنازير على الماء بشرط ألاّ تصاب أظلافها بالوحل والماء، فإن تبلّلت أظلافها قتلتك.

حارت سعدية في أمرها، وراحت تبكي، فجاء حبيبها، وقال لها: ماذا اشترطوا عليك للبقاء؟ فأخبرته. فقال لها: مادمت موجوداً فلا تهتمي لما يطلبونه منك، ونسج لها حصيراً طويلاً يمتد من حظيرة الخنازير إلى الماء، فورّدتها الماء، وعادت بها دون أن تصاب أظلافها بالماء والوحل.

فقالت أمه: هذه أفعال قمر مدور، وليست أفعالك.

وحتى لا يختلي بها ليلاً وضعت له أمه المخدر في الفنجان فنام ليلته دون أن يحدثها.

وفي اليوم الثاني قالت لهاأمه: خذي هذا الغربال، واحملي به الماء من النهر، واسقي البستان.

حارت في أمرها، وبكت، فجاء قمر مدور وسألها: ما طلبوا منك اليوم؟ فأخبرته، فقال لها: هذه بسيطة. ثم صنع لها عدة سطول تصب في بعضها بعضاً أولها في النهر وآخرها في البستان تصب في الغربال..

وحين رأت أمه ذلك، قالت لها: هذا فعل قمر مدور،وليس فعلك وحتى لا يختلي بها وضعت له أمه المخدر مرة أخرى، فنام دون أن يحدثها.

وفي اليوم التالي: قالت لها أمه: سنصنع فراش العرس لقمر من ريش الطيور، وعليك أن تجمعي في هذا اليوم ما يكفي للفراش. فجلست تندب حظها، فجاءها قمر، وقال لها: ماذا طلبت منك أمي، فأخبرته، فنادى للطيور، وقال لها: غداً سيكون عرسي، ويوم عرسي هو يوم موتي، ولما كانت الطيور تحبه فقد نتفت ريشها حزناً عليه، فحملت سعدية الريش إلى أمه، فقالت لها العجوز:هذا فعل قمر مدور، وليس فعلك.

وضعت المخدر لابنها في الفنجان، وكان أدرك أن أمه تخدره، فسكب ما في الفنجان، وقال لسعدية ستطلب منك أمي أن تفلّي رأسها، فاقطعي من رأسها ثلاث شعرات، واحدة بيضاء، وأخرى حمراء، والثالثة سوداء.

ففعلت في اليوم التالي ما أمرها به. وحين جن الليل وضعت الأم المخدر في الفنجان، فسكبه، وتناوم، وحين خلا بسعدية، قال لها: غداً سترسلك أمي لتأتي بسفط الغوا من عند خالاتي، وهن يرينك وأنت لا ترينهن، في طريقك

ستجدين ساقية سم، فالحسي منها، وقولي أوف ما أطيب هذا السم، ثم ستعترضك ساقية دم، فالحسي منها، وقولي: أوف ما أحسن هذا الدم.وسترين سبعاً أمامه حشيش وحصاناً أمامه عظام، فضعي الحشيش أمام الحصان، والعظام أمام السبع، وستجدين باباً مفتوحاً فأغلقيه، وآخر مغلقاً فافتحيه، ثم ستجدين السفط في الطاقة احمليه ولا تسلميه لأحد، ولا تنظري خلفك أبداً، ولا تفتحي السفط.

وفي اليوم التالي طلبت منها العجوز أن تأتي بسفط الغوا، فذهبت فاعترضتها ساقية سم، فلحست منها، وقالت: أوف ما أطيب هذا السم، ثم اعترضتها ساقية دم فلحست منها، وقالت: أوف ما أحسن هذا الدم، ثم رأت سبعاً أمامه حشسيش وحصاناً أمامه عظام، فوضعت العظام أمام السبع والحشيش أمام الحصان، ورأت باباً مفتوحاً فأغلقته، وآخر مغلقاً ففتحته ثم وجدت السفط أخيراً فحملته وعادت راكضة، وكانت خالاته يراقبنها.

فقلن: يا باب اغلق

قال: سبع سنين وأنا مغلق لم يفتحني أحد غيرها.

قلن: يا باب افتح

قال:صار لي سبع سنين مفتوح لم يغلقني أحد غيرها.

قلن: يا حصان أدركها.

قال: صار لي سبع سنين لم يطعمني أحد غيرها.

قا.: يا سبع اسبعها!

قال: صار لي سبع سنين لم يطعمني أحد غيرها.

قلن: يا دم دمها..

قال: لم يستحسني أحد غيرها.

قلن: يا سم سمها

قال: لم يذكرني أحد بالخير غيرها.

وحين ابتعدت فتحت السفط فخرج منه مغنون وراقصون، وعقدت الدبكة، فهو عرس قمر مدور، و لم تعد قادرة على إعادة المخلوقات إلى السفط وإغلاقه، فأدركها قمر مدور، وقد استبطأها، فلمّ[8] السفط وأغلقه، وقال لها: ألم أحذرك من فتحه؟

وفي الليل دست له أمه المخدر في الفنجان، فسكب ما فيه، وتناوم إلى أن خلا بسعدية، فقال لها: غداً سيأخذن العروس إلى الحمام، فخذي معك غازاً وقولي إنه عطر، وحين يرمين ثيابهن، رشيّ عليهن الغاز، وقولي سأرقص ولكن الرقصة لا تحلو إلا بشمعتين أضعهن فوق رأسي، وحين تحصلين على الشمعات احرقيهن، وأنا أنتظرك عند باب الحمام لنهرب.

وفي الحمام، وبعد أن تعرّيْن قالت لهن سأعطركن من عطري، فرشت عليهن الغاز، فأعجبن برائحته النفّاذة، ثم طلبن منها أن ترقص. فقالت: لا أستطيع أن أرقص إلا بشمعتين.

أوقدوا شمعتين حملتهما سعدية، ودارت عدة دورات ثم أحرقتهن وخرجت مسرعة، فوجدت حبيبها ينتظرها، أمسكا بأيدي بعضهما بعضاً وهربا.

أطفأت الجنيات النار، ولحقن بالهاربين، وحين أصبحن منهما قاب قوسين أو أدنى، قال لها قمر مدور: ألقي الشعرة الحمراء.

فألقتها فإذا هي حقل من النار يحول بينهما وبين الجنيات، ولكن لم يلبثن أن تجاوزنه، وحين أصبحن منهما قاب قوسين أو أدنى، قال لها: ألقي الشعرة البيضاء..!

فألقتها فإذا هي بحر متلاطم الأمواج يفصل بينهم، ولكن الجنيات ركبن فوق بعضهن بعضاً وعبرن البحر، ومرة أخرى أصبحن قاب قوسين أو أدنى منهما، فقال لها: ألقي الشعرة السوداء..!

فألقتها فإذا هي بحر من القير[٩] رحن يخبطن فيه دون أن يتمكنّ من الخروج،و لم يلبثن أن غرقن فيه.

أما قمر مدور وسعدية فقد حمدا الله على سلامتهما، وعاشا عيشة هنيّة.

وهم راحم،وآني جيت.

١ ـ روتها مريم العلي

٢ ـ هذا التعبير (عم..) ليس من عامية الفرات، فهو تعبير وافد من مناطق حلب، ولعله يدل أيضاً أن الحكاية وافدة، والأصح أن تكون الراوية سمعتها من امرأة وافدة، ذلك أن هذه الحكاية رويت من عدة رواة، و لم أسمع فيها هذا التعبير كله، حتى اسم (سعدية) نفسه اسم نادر في الفرات.

٣ ـ شبطة حطب:أي عود من الحطب، وأصلها فصيح إلا أن فيها قلباً مكانياً، فالشّبطة هي السعف الأخضر الرطب من جريد النخل.

٤ ـ العجوز تحرك الأحداث في كثير من الأحيان في الحكايات، فهي وجه المصائب غالباً، ووجه السعد في بعض الأحيان.

٥ ـ الجزمة: حذاء من بلاستيك، له رقبة مرتفعة.

٦ ـ الكلة: كرش الغنم وتوابعها.

٧ ـ السفّط: وعاء توضع فيه الأدوات، في العامية والفصيحة.

٨ ـ لَمّ : جمع. في العامية والفصيحة.

٩ ـ القير: الزفت في العامية والفصيحة،ويلفظون الكاف كالجيم (الجير)

محمد والسعلوة[1]

- كان يا ما كان في قديم الزمان نحكي الأنام؟

- نحكي!

كان هناك محمد وأمه وأبوه، وصارت لهم بنت سعلوّة، في كل يوم عندما ينام أهلها تقوم تفطّس[2] البعران، وتأكل الغنم، ويستيقظ أهلها صباحاً فيندبون حظهم، ويتساءلون عمن يفعل ذلك؟

نهار من النهارات قرر محمد قراراً، وقال: سوف أنام الليلة في الصيرة لأعرف من يأكل الغنم، ويفطس البعران.

في الليل شاهد أخته تفعل ذلك، ثم تمسح فمها وتعود إلى فراشها، ذعر محمد وازدادت دهشته.

في اليوم التالي قال لأمه وأبيه، وكانت أخته ما تزال نائمة:

- غطوا رأسها حتى لا تسمعنا فهي سعلوة، وسأخبر أهل القرية بذلك.

حين سمع أهل القرية أن بينهم سعلوة طفشوا[3]، وطلب محمد من أبويه أن يهربوا من وجهها، ولكنهما لم يصدقا محمد، ولم يطاوعاه على الهرب، فتركهم وفر ناجياً بنفسه، وهو في طريقه وجد لبوة وحيدة تتضنّى[4]، وهي تقول: من يولدني فالولد له..!

ولدها محمد توأماً، وأخفى الأنثى بعبه[5]، وقال لها:

أعطني ما وعدت به!

فقالت اللبوة:من يعطي ابنه..؟ولكني سأعطيك سطلاً من حليبي. أخـذ الحليـب وذهب، وهو في طريقه وجد لبوة ثانية تتضنى، وتقول: من يولدني والولد له.

فولدها توأماً،وأخفى الأنثى بعبه، وقال لها:

ـ أعطني ما وعدت به.

فقالت:من يعطي ابنه؟! ولكني سأعطيك سطلاً من حليبي.

حمل سطل الحليب وذهب، وهو في طريقه وجد لبوة ثالثة تتضنّى وتقول: من يولدني والولد له؟

ولدها توأماً، وأخفى الأنثى بعبه،وقال لها: أعطني ما وعدت به!

فقالت: من يعطي ابنه؟! ولكني سأعطيك سطلاً من حليبي.

حمل سطل الحليب وذهب، وظـل سـائراً إلى أن وصـل إلى أرض معشـبة، فأقام فيها يقتات بما تجود به الأرض، وربى اللبوات علـى حليـب أمهـاتهن، إلى أن كبرن، فتخاوى معهن، وعاشوا في تلك الأرض الواسعة لا يحسدون الباشا.

وذات يوم قال للبوات:لقد خطر أهلي على بالي، وسوف أذهب لأطمئـن عليهم.

حمل معه تمرات اقتات بهـن علـى الطريـق، وألقـى بـالنوى علـى الأرض، وبعد مسير طويل وشاق وصل إلى بيت أهله، فوجد أخته السعلوة تلعب برأسي أبويهما، وتقول: رأس أبوي كورة، ورأس أمي حورة(٦)!

وحين رأته رحبت به واستقبلته، وقالت: أهلاً بأخي، أين كنت كل هـذا الوقت، لقد اشتقنا لك؟!

سألها عن أبويهما، فقالت: لقد ماتا حزناً عليك!

ثم خرجت وغابت قليلاً، وعادت إليه، فقالت له:

- فرسك بثلاثة أرجل أم بأربعة.

فقال وقد أدرك أنها أكلت واحدة منهن: بل هي بثلاثة..

خرجت مرة ثانية، ولبثت قليلاً، ثم عادت إليه، وقالت:

فرسك باثنتين أم بثلاثة؟

قال: بل هي باثنتين.

ثم خرجت مرة ثالثة، ولبثت قليلاً، وعادت إليه قائلة:

- فرسك باثنتين أم بواحدة؟

قال: بل بواحدة

ثم خرجت مرة رابعة، ولبثت قليلاً، وعادت إليه قائلة:

- فرسك جاءت زحفاً أم على رجليها؟

قال: بل جاءت زحفاً.

ثم خرجت مرة خامسة، ولبثت قليلاً، وعادت إليه قائلة:

- فرسك لها ذيل أم دون ذيل؟

قال: بل هي دون ذيل..

ثم خرجت مرة سادسة، ولبثت قليلاً، وعادت إليه قائلة:

- فرسك لها رأس أم دون رأس؟

قال: بل هي دون رأس!

ثم خرجت مرة سابعة، ولبثت قليلاً، ثم عادت إليه قائلة: أجئت على قدميك أم حملتك دابة؟

قال: بل جئت على قدمي.

أخيراً قالت له: لا تؤاخذني يا أخي، لقد جعت ولا بد أن آكلك، فالجوع كافر. فقال لها: كيف تأكليني ووسخي شبر، دعيني أغتسل(7) أولاً ثم كليني.

قالت: لا بأس!

أخذ الدلو وثقبه من أسفله فتسربت منه الماء، فقال لها: لم أجد ماء في الدلو، فاجلبي لي الماء من البئر، فقالت له: لن أذهب حتى تتعرى من كامل ثيابك، فتعرى كما ولدته أمه، وبقي في الدار وحيداً، وذهبت هي لتجلب الماء، فكانت كلما وضعت الدلو في البئر وسحبته وجدته فارغاً، تعبت دون جدوى، فجاء زوجها، وكان غائباً، فقال لها: ما تفعلين؟!

قالت: لقد عاد أخي ولما أردت أن آكله قال لي: إنني وسخ، فاجلبي لي ماء لأغتسل ثم كليني.

قال لها: وكيف ستأتين بالماء إذا كان الدلو مثقوباً، لقد خدعك، فهيَّا إليه.

وحين وصلا البيت لم يجداه، فركضا خلفه حتى تبيناه، ورأى هو عجاجتهما، فزاد ذلك من عزمه، هو يركض وهما يركضان وراءه، والدقق بالدقق(8) إلى أن وصل إلى سبع شجيرات نخل كانت قد نمت من النوى الذي ألقاه في الطريق، فصعد إلى الشجرة الأولى، وقد خارت قواه.

فقالا له: انزل وإلا أكلنا الشجرة، فأبى، وتمسك بالشجرة جيداً، فأكلاها وسقط على الأرض، فركض إلى الشجرة الثانية فارتقاها فأكلاها، فركض إلى الثالثة.. وهكذا حتى أكلا الشجرة السابعة، ولم يبق أي ملجأ يهرب إليه، فالأرض مسطحة كراحة اليد، فقال لها:

- يا أختي دعيني أصيح ثلاث مرات قبل أن تأكليني.

قال زوجها: لا تتركيه يفعل ذلك.

فقالت: إنه أخي، ولا بد أن أنفذ رغبته الأخيرة.

رفع محمد يديه وصرخ: **(شبواتي لبواتي خيجن محمد بالقبر موّات)**

قال ذلك ثلاث مرات، وقبل أن يكمل قوله للمرة الثالثة شاهد عجاجة ترتفع إلى عنان السماء، فاستبشر.. وحين همت أخته وزوجها بافتراسه انقضت عليهم اللبوات فمزقناهما شر ممزق.

قال محمد للبواته: اللحم لكن، والجلد لي.

واصطاد محمد أرنباً، ثم صنع من جلد السعلوة وزوجها، وجلد الأرنب دفاً، فكان كلما ضربه، يقول جلد السعلوة: ما قلت لك تاناكله.. تاناكله

فيرد جلد السعلوة: آني شمدريني.. آني شمدريني(٩)

ويقول جلد الأرنب: آني شصوجي(١٠)**..وشذنبي**

محمد بالحصيوة(١١) **كسر جنبي**

وهم راحم وآني جيت. وهذي الجيرة من العشيرة.

١ ـ روتها فاطم الذياب ٣٤ سنة،من سلوك.

٢ ـ تفطّس الأباعر: تخنقها.

٣ ـ طفشوا: هربوا كل على وجهه.

٤ ـ تضنْي وتتضنّى: من كانت على وشك الولادة.

٥ ـ العُب : داخل الثوب من الصدر، وما فوق المحزم.

٦ ـ من الألعاب في الفرات.

٧ ـ وفي رواية ثانية أنه طلب منها أن تمهله حتى يتوضّأ ويصلي، فأعطته إبريق الماء، فصعد إلى سطح المنزل، وأسند الإبريق بحجرة لتظل الماء تسيل منه قطرة قطرة فيوهمها بأنه ما زال يتوضأ.. وهرب!

٨ ـ الدقق بالدقق: أي وراءه خبطة بخبطة، وقدم إثر قدم.

٩ ـ شمدريني: ما يدريني؟

١٠ ـ شصوجي:ماهو ذنبي؟

١١ ـ الحصيوة: تصغير الحصوة.

بقيرة اليتامى (1)

كان يا مكان في قديم الزمان رجل ومرته وعندهم ولد وبنت وبقرة، ذات يوم توفيت المرة، فتزوج الرجل أخرى كانت تقسو على اليتامي، تمنع عنهم الأكل،وتحرمهم منه، وتعطيه لأبنائها، ومع هذا كان اليتامى ينضجون ويكبرون، وجوههم سمينة، وخدودهم حمراء، يكاد يتفزر(2) منها الدم، أما أبناؤها فكانوا يذوون ويضمرون، ويشبون نحافاً ضعافاً صفر الوجوه.

شكّت المرأة في الأمر فأرسلت طعام اليتامى مع ابنيها، وكان من فضلات طعامهم، وقالت لهم: ظلوا معهم حتى يأكلوا الطعام، ولا تغادروهم قبل ذلك.

ذهب الأولاد إلى أخويهم، وأطالوا القعود والمكث حتى اشتد بهؤلاء الجوع وما عادوا يستطيعون له دفعاً، فقالوا أمرنا لله لابد أن نأكل. فقدموا الطعام الذي جلبه أخوتهم للبقرة فأكلته وزبّلت(3) لهم حلاوة وتين، فأكلوا وأطعموا أخوتهم، وخبأ هؤلاء بعض الطعام، وعادوا إلى أمهم، وقالوا لها عما شاهدوه، وأروها شيئاً مما جلبوه معهم.

في اليوم التالي خبزت المرأة خبز رقاق(4)، ويبسته، ووضعته تحت فراشها، وكلما تحركت طقطق الخبز، فتقول: آخ.. يا عظامي..!

جاء زوجها ورآها على تلك الحال، فقال لها: سلامتك.

قالت: إنني أموت. وزعمت لزوجها أن الدايات قلن لها: أنها لن تطيب إلا إذا أكلت من لحم بقرة اليتامى.

رجاها زوجها ألا تحرم اليتامى من بقرتهم، وهو يأتيها بما تشاء من لحم البقر، فأصرت قائلة: أنت تفضل البقرة علي، وتريدني أن أموت.

قرر الرجل ذبح البقرة آسفاً، وحين وضع السكين على رقبتها، قال اليتامى: يا بقيرتنا لا تنذبحين.

فحاول مراراً سن السكين، واستعان بغيرها لكن السكين لم تكن تمر في عنق البقرة. فرجع إلى اليتامى وضربهم ضرباً مبرحاً، فقالوا وهم يتباكون: يا بقيرتنا انذبحي بس لا تنسلخين.

ذبحوا البقرة، وأرادوا سلخها فلم يفلحوا، فضربوا اليتامى من جديد فقالوا وهم يبكون: يا بقيرتنا انسلخي بس لا تتقطعين!

انسلخت البقرة، ولكنها لم تتقطع معهم، فضربوهم من جديد، فقالوا وهم يبكون: يا بقيرتنا تقطعي بس لا تستوين(٥).

تقطعت البقرة، لكنها لم تنضج بالرغم من أنهم وضعوا تحت القدر كل ما يملكون من حطب، فضربوا اليتامى، فقالوا وهم يبكون:

يا بقيرتنا استوي بس لا تنكالين.

نضجت البقرة، ولكنها لم تتقطع تحت أضراسهم، فضربوا اليتامى، فقالوا وهم يبكون: يا بقيرتنا انكالي بس لا تنهضمين.

وفي اليوم الثاني: اسهلوا.

حملت الفتاة عظام البقرة، ودموعها على خدها، ودفنتها، وحين عادت إليها بعد مدة طويلة وجدت أنها تحولت إلى ذهب، فقالت لأخيها: لو أعطيتك ذهباً فماذا تفعل به؟

قال: اشتري لك ألعاباً، ولي كعاباً ونلعب بها.

قالت الفتاة: مازال أخي طفلاً، لم يمسك عقله بعد.

انتظرت الفتاة سنة، سنتين.. ثم قالت لأخيها: لو أعطيتك ذهباً، فماذا تفعل به؟

قال: اشتري لك ألعاباً، ولي كعاباً ونلعب بها.

قالت الفتاة: مازال أخي طفلاً، لم يمسك عقله بعد.

وانتظرت سنة، سنتين، ثم قالت له: أخوي لو أعطيتك ذهباً فماذا تفعل به؟

قال لها: اشتري لنا بيتاً، وأتزوج وأزوجك.

قالت الفتاة: الآن بلغ أخي مبلغ الرجال. وحملت الذهب ووضعته بين يديه، فاشترى بيتاً وغنماً وتزوج. لكن زوجته أبغضت أخته، وذات مرة أحضرت بيضتي عصفور وبيضة حية وطبختهما جميعاً وأطعمتها لأخته، فانتفخت بطنها(٦)، وظهرت عليها علائم الحمل. فقالت المرأة لزوجها: إن أختك قد سودت وجوهنا، فاذبحها واستر على حالك، وإلا لحقك العار إلى ولد الولد.

وفي يوم من الأيام أخذ محمد أخته معه إلى البرية، وحين تسأله إلى أين تأخذني، يقول لها إلى المدينة.

مشى معها، مشى.. مشى... مشى.. دي... دي[٧]، وظلوا سائرين حتى جن الليل فقال لها: تعالي نستريح وننام ليلتنا هنا، ثم نتابع سيرنا في الصباح. ومن شدة خوفها أن يتركها ربطت ثوبها إلى ثوبه، وجديلتها إلى جديلته، ونامت لشدةتعبها. أما هو فقد تناوم حتى اطمأن إلى أنها نامت، فقام، ولحبه لها، وإشفاقه عليها، قص ثوبه دون ثوبها وجديلته دون جديلتها، وتركها وعاد إلى أهله.

استيقظت الفتاة فلم تجده، ركضت يميناً وشمالاً دون جدوى، فعادت إلى موضعها، وأمسكت عوداً راحت تخط به على الأرض وهي تهل الدمع كحبات المطر، وظلت تبكي إلى أن تحولت دموعها إلى بحيرة، والعود إلى شجرة مثمرة، فكانت تشرب من البحيرة، وتأكل من ثمار الشجرة، وكلما اقترب منها غريب صعدت إلى أعلى الشجرة واختبأت.

راحت أيام وجت أيام، وذات يوم مر قفل[٨] وورد الماء، وبعد ذهابهم، عاد أحدهم بحجة أنه نسي عباءته عند الشجرة، وكان قد شاهد خيال الفتاة في الماء فلم يخبر أحداً، وحين عاد قال لها: إنس ألاّ جن؟

قالت: انس ومن خيار الأناسي.

قال: انزلي وعليك الله، وأمان الله.

فنزلت من فوق الشجرة وحدثته حديثها.

فقال لها: سأكون لك ما تريدين، فإن أردتني أخاً كنت لك أخاً، وإن رضيتني زوجاً كنت لك زوجاً.

فقالت: الغريب ما يصير أخ.. أريدك ابن عم لي[٩].

فتزوجها، وبنى لها قصراً قريباً من بيت أخيها، وولدت حية وعصفورين، فكانت العصافير تذهب إلى بيت خالها محمد، وتنثر الحب الذي نشرته زوجه في ا لشمس.

فكانت زوجته تقول: كش.. كش..[١٠]!

فتقول العصافير:

لا كشّه ولا نشه[١١]

ولا محبعوجه الكرشّه

هذا حب خالنا محمد.

الناكله ناكله.

والنرشه نرشه

ويلعن إيد أبو اللي تقشه[١٢]

وحين تكرر ذلك، قالت لزوجها إن عصافير تأيتهـا فتنـثر الحـب، وحـين تكشها، تقول العصافير:

لا كشه ولا نشه.

ولا مبطوطة الكرشة.

هذا حب خالنا محمد.

اللي ناكله ناكله

واللي نطشه نطشه[١٣]

ويلعن إيد أبو اللي تقشه.

فانتظر محمد حتى جاءت العصافير، ونثرت الحب، فنهرتها زوجته، فأعادت العصافير قولها. ثم طارت فلاحقها محمد إلى أن دخلت إلى القصر، فدخل وراءها، وأخبرت الفتاة زوجها أن القادم هو أخوها فليكرمه، رحب به زوجها، وجلسا يتحدثان، وصنعت له أخته طعاماً حين أكله بكى، وقال: والله لو كانت أختي طيبة لقلت هذا طبخها!

أقبلت عليه أخته، وقالت: أنا أختك. فتحاضنا وبكيا.. وعاشا عيشة سعيدة. وهم راح وآني جيت. ولو بيتنا قريب جبتلكم قدح زبيب.

---

١ ـ روتها غازية الجاسم، شقيقتي التي كانت تبدع الحكايات، ٤٥ سنة، كما رواها والدي، وروتها مريم العلي.

٢ ـ يتفزر: أي تكاد تنشق ويطفر الدم منها. وهي فصيحة.

٣ ـ زبلت: ألقت الزبل. وفي رواية أخرى لها: أنها كانت تخرج التين والحلاوة من آذانها.

٤ ـ الرقاق: خبز رقيق.

٥ ـ لا تستوي: لا تنضج.

٦ ـ وفي رواية رابعة لفاطم المحمد: أنها حبلت وولدت من كرشة ساقها، أو بطة ساقها. والكلام الذي تقوله العصافير يتناسب مع هذه الرواية.

٧ ـ حين يريدون التعبير عن السير الطويل فإنهم لا يصفونه، بل يكررون الفعل: مشى.. مشى.. مشى..، أو ركض.. ركض.. وهكذا.

دي.. دي..: أي دائبين على السير.

٨ ـ القفل: الجماعة المسافرة مع حيواناتها، والقاف تلفظ كالجيم في اللهجة المصرية.

٩ ـ تقال تأدباً، وخاصة من المرأة، إذ من العيب أن تقول زوجي.

١٠ ـ كش.. كش: زجر للطير والذباب.

١١ ـ مبعوجة ـ ويقال مبطوطة، وكلاهما سواء. الناكله: الذي نأكله. والنرشه: الذي نثره.

١٢ ـ اللي تقشه: التي تكنسه.

١٣ ـ نطشّه: ننثره.

* * * * *

خنيصر [1]

كان يا مكان، كان في قديم الزمان شايب[2] وعجوز ما يضنون[3] خلّف ا لله لهم من كرشة[4] رجل المرأة العجوز ولداً صغيراً جداً بقدر الخنصر فسموه: (خنيصر).

كانِ أبوه يخرج إلى الحقل كل يوم يسوق الفدان[5]، ويظل هو مع أمه في البيت. وذاتِ يوم قال لها: هاتِي غداء أبي لآخذه له إلى الحقل.

أشفقت عليه أمه، وقالت: إنك لا تستطيع ذلك يا ولدي.

قال لها: لا عليك.. ضعي الطعام في خرج الحمار، وضعيني في أذنه.

وضعت الأم الطعام في الخرج[6]، ووضعت خنيصر في أذن الحمار، وهي خائفة عليه، لكن خنيصر قاد الحمار إلى الحقل إذ كلما توقف الحمار في الطريق كان خنيصر يصرخ في أذنه فيعود للسير إلى أن وصلا.

هكذا أصبح خنيصر يوصل الطعام إلى أبيه كل يوم، وفي أحد الأيام زبّلت البقرة فوقع خنيصر من أذن الحمار، وطمس[7] في الزبل، وصل الحمار إلى الحقل، وانتظر الأب أن يخرج خنيصر من أذنه لكن دون جدوى، ناداه، بحث عنه طويلاً فلم يجده، فعاد إلى زوجه مكروباً حزيناً.

جاءت النسوة اللواتي يجمعن الزبل فوضعته إحداهن في شقبانها[8] مع الزبل، ثم وضعته فوق كومتها، إذ كانت كل واحدة تكوّم كوماً.

وحين ابتعدت النسوة عنه، قام خنيصر، وردرد الأكوام على بعضها، وجمعها كلها في كوم واحد كبير. عادت النسوة فلم يجدن إلا كوماً واحداً، راحت كل واحدة منهن تدعي أنه لها، فتنازعن وتصايحن.

انزعج خنيصر من صياحهن فصرخ بهن، فانتبهن مذعورات يبحثن عن مصدر الصراخ فرأين إنساناً صغيراً لايكاد يرتفع عن الأرض ، فبسلمن مشدوهات ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وهربن وفي القرية حدثن الرجال بحديث الإنسان الصغير وهن مذعورات، فجاء عدة رجال وحملوا الجلة[٩] إلى القرية ونثروها[١٠] بحثاً عن خنيصر، وكان في القرية عرس، فقفز خنيصر إلى صينية طعام العروس[١١]، وصرخ على الناس، فهرب أهل العرس، وراحوا يحدثون بحديث الإنسان الصغير حتى سمع أبواه بما حدث.

فقال الرجل لزوجته: هذا ابننا خنيصر.. وسأذهب للبحث عنه.

قالت الزوجة: وكيف ستسأل عنه؟

قال لها: اذهبي معي، واحملي ديكاً ضعيه بحضنك فإن رآنا أو رأيناه سنخفيه في ريش الديك.

حملت الأم الديك وذهبت مع زوجها إلى العرس، وجلست إلى جانب العروس والديك في حضنها، وحين رآها خنيصر، قفز واختفى في ريش الديك فحملته أمه وعادت مع زوجها إلى البيت.

في الطريق شاهدوا جمالاً وأباعر، فقال خنيصر لأمه: سأجعلك أنت وأبي من الأغنياء، إذ سأجلب لكم هذه الحمول[١٢] مع أباعرها.

قالت أمه: لا تخرّف، ولنذهب إلى بيتنا بسلام، أتظن أنك تستطيع أن تهزم هؤلا القوم وحدك؟

قال لها: اصبري وسترين!

تقدم خنيصر نحوهم وهو فوق ديكه، وصرخ فيهم: فهربوا مذعورين وتركوا الحمول والأباعر، فقادها إلى بيت أهله.

اغتنى(١٣) العجوزان، وبدأ أهل القرية يتحدثون عن هذا الغنى الذي حطّ عليهم فجأة، لا بد أن العجوزين قد سرقا الأباعر، وراحوا يتحدثون بذلك أمام العجوزين، ويضايقونهما، ويصرخون في وجهيهما: أنتم حرامية.

غضب خنيصر فدخل في أذن بعير، وصرخ فيها، فهاج البعير، وفاط(١٤) في القرية، وراح يصدم كل من يعترض طريقه، وخنيصر يهيجه كلما تراخى، حتى هرب أهل القرية كلهم.

سمع أهل الأباعر أن حمولهم عند الفلاح العجوز في القرية الفلانية، فاشتكوا إلى شيخ العرب فحدد هذا لهم موعداً ليتقاضوا.

ذهب والده إلى الموعد المحدد، أما خنيصر فقال لأمه: هاتي فرسي (الديك) ركب فرسه، وذهب إلى حيث يتقاضون عند شيخ العرب، فدخل عليهم بديكه، وصرخ بهم، فهربوا جميعاًحتى شيخ العرب وكل واحد يريد النجاة بنفسه، فعاد خنيصر إلى أهله بأموالهم جميعاً.

وهذي الجيرة من العشيرة.

١ ـ الراوية خود المحمد من سلوك، ٦٧ سنة وخنيصر: تصغير خنصر، وهي الإصبع الصغرى.

٢ ـ شايب: رجل عجوز، مسهلة من شائب، ولا تنعت به المرأة.

٣ ـ ما يضنون: ما ينجبون.

٤ ـ الكرش: لكل مجتر بمنزلة المعدة للإنسان. والكرشة هنا بطة الساق.

٥ ـ الفدّان: الثور يحرث به، أو الأداة التي تجمع الثورين للحرث، أو الثور مع العدة.

٦ ـ الخرج: من الأوعية معروف.

٧ ـ طمس: غار في الشيء، ودخل فيه. عامية فصيحة.

٨ ـ الشّقْبات: والشكبان: أطراف الثوب الذي تحمل به المرأة الحشيش أو الزبل. عامية فصيحة، وتلفظ القاف كالجيم في اللهجة المصرية.

٩ ـ الجلّة: البعر.

١٠ ـ نثروها: وفي هذا الموقع يستخدمون (طَشّ الجلة) أي نثرها، وهي فصيحة.

١١ ـ العروس: نعت يستوي فيه الرجل والمرأة.

١٢ ـ الحمول: الأباعر مع ما تحمله.

١٣ ـ اغتنى: صار غنياً.

١٤ ـ فاط بالقرية: عبث بها وشتت أهلها.

* * * * *

قيقة وما قيقة [1]

عاش رجل ومرته بعيداً عن ابنتهما المتزوجة[2]، وحين أحسّا بالوحشة قال الرجل لزوجته: لنذهب يا مرة ونزرو بنتنا الوحيدة!

اشترى الرجل هبرية[3] وحذاءاً أحمر، وثوباً وعكّة سمن وسار هو وزوجته قاصدين ابنتهما مشيا طويلاً فوصلا إلى قاع[4] مشققة، فقالت المرأة:

ـ انظر يا رجل! إن هذه الأرض ممشقة[5] لأن ليس لديها دهون تدهن به نفسها.

فقال الرجل: لندهنها بالسمن.

فتحا عكة السمن، وصبّاها على الأرض. ثم مشيا[6] طويلاً فوجدا شجرة هرّت[7] أوراقها، هي عارية، فقالت المرأة:

ـ انظر يا رجل! هذه الشجرة المسكينة العارية يكاد يقتلها البرد.

فقال الرجل: لنسترها بالثوب والهباري[8].

ستّروها بالثوب والهباري، وسارا طويلاً، وهما في طريقهما شاهدا حج لقلق[9]، فقالت المرأة:

ـ الله أكبر..!

قال الرجل: مابك؟

قالت: انظر إلى هذا الطير يا رجل! لقد تسمّطت[10] أرجله من شدة البرد لأنه لا يملك حذاء.

قال الرجل: فلنعطه الحذاء.

ولمّا اقتربا من الطائر هرب مبتعداً، فقال الرجل: إنـه طائر خجـول، لقـد استحى منّا، فلنترك له الحـذاء وسيأخذه بعد ذهابنـا، فتركـا الحذاء وذهبـا في طريقهما.

وصلا أخيراً إلى ابنتهما فرحبت بهما، فحدثوها حديثهم، وقالا لها:

- لقد حملنا لك هبرية وحذاء أحمر وثوباً وعكة سمـن، فوجدنـا في الطريـق قاعـاً مشققة فدهناها بالسمن، وشجرة عارية فكسوناها بالثوب والهبـاري، وطـائراً خجولاً حافياً فحذوناه بالحذاء.

قالت البنت في نفسها: الله يقطعكم على هبالكم!

في اليوم الثاني قالت البنت لأمها: سأذهب لأجلب حزمة حطب، فديري بالك على الولد والبيت يا أمي.

ذهبت البنـت فـرأت أمهـا أن الدجـاج يتدحـرج على الأرض، ويتمـرغ بالتراب، ويهرش نفسه بأرجله، ففكرت: لا بـد أنـه مقمّـل مـن شـدة الوسـخ، وسأنظفه.

غلت ماء في القدر ووضعت الدجاج فيه ففطس الدجاج، إلا أنهـا حملتـه من القدر ورمته قائلة: لقد أصبح نظيفاً لهذا استغرق في النوم.

استيقظ حفيدها باكياً، فقالت: لا بدأنه وسخ، فراحت تفليه فتحسست رماعته، فإذا هي تتحرك تحت يدها، فقالت: هذا سبب بكائه إذن، إنه ورم قـد

أو لم، فجاءت بمخاط وحمته في النار وأدخلته في الرماعة، فمات الطفل، وهي تظن أنه نام لأنها بطت[11] الورم.

عادت ابنتها فتلقتها لائمة: أنت مهملة يا ابنتي.. لقد كان دجاجك وسخاً فغسلته لك، فنام، وحين رأت الابنة الدجاج ميتاً كادت تنشق مرارتها من الغيظ ولكن ما نفع الحديث مع أمها المجنونة، وقد أوجست خيفة على ابنها، فقالت: أين ابني؟

قالت الأم: اطمئني إنه بخير، لقد كان يشكو من ورم في رأسه بطتته له فنام.

ركضت إلى سرير ابنها فوجدته ميتاً، فولولت ولطمت، لقد خربت أمها بيتها وقتلت ولدها ولو جاء زوجها الآن لقتل أبويها، فلترسلهما إلى بيتهما. أعطتهما كيس ذهب، وقالت لهما: عودا إلى بيتكما فهو أستر لكما..!

وفي طريق عودتهما شاهدا راعياً يرعى غنمه، فنادياه، وقالا له: سنعطيك[12] كيس الذهب هذا، وانطينا نعجة ينقط دهنها من خشمها[13]!

انتقى لهما نعجة سمينة، ولكنها لم تعجبهما، فقال لهما الراعي:

اختارا ما تشاءان! فأخذا نعجة هزيلة مخاطها ينقط من أنفها، وقالا له: هذه دهنها ينقط من خشمها!

قال: بارك الله لكما فيها!

ذهبا إلى بيتهما وذبحا النعجة، وطبخا اللحم، ثم وضعاه في الطاقة وذهبا ليحضرا أعواداً ينكشان بها أسنانهما بعد أكل اللحم، وفيما هما يبحثان عن الأعواد شاهدا خيّالة فصاحا بهم:

- يا خيّالة..! لا تمرون على البيت وتأكلون الطعام، فـالخبز في الطاقـة الشـرقية، واللحم في الطاقة الغربية.

عرج الخيالة على البيت فأكلوا من هذه الوليمة التي لم تكن تخطر لهم على بال، وبعد أن طعموا وشبعوا، أداروا خيولهم وجعلوها تزبل في القدر، وذهبوا.

عاد قيقة وزوجه وأخذا يغرفـان مـن القـدر، ويـأكلان، وهـي تقـول لـه: الأكل صاير يخني[١٤]..!

وهو يقول: إيه وا لله صاير يخني!

حطت ذبابة على فـم المـرأة فضربهـا بالسـكين فحـرم أنفهـا وشـفاهها، ووقعت ميتة، فقال زوجها وهو يصفق بيديه من الفرح: قيقـة تضحـك.. قيقـة تضحك..!

بعد أن شبع ذهب إلى النهر ليغتسـل، خـش في المـاء، فـالتفت الطحـالب على ذكره، فقال يخاطبه:

- بعد قيقة صرت «حجّي» ، وتضع عمامة خضراء؟

وضع ذكره بين حجرتين وهطره[١٥].. فمات!

---

١ - الراوية هدولة الجاسم من الرقة ٦٠ سنة كما رواهـا جاسـم الذيـاب مـن سـلوك ٤٤ سنة، بعنوان (هبيلة وهبيلان) وهذا هو معنى (قيقة وما قيقة) إذ همـا لفظـان لا معنى لهما، إنما هما كناية عن انعدام المعنى. والقاف تلفـظ كـالجيم في اللهجـة المصرية أينما وقعت.

٢ ـ كلمة: (الزواج) في اللهجة الفراتية مصدراً وفعلاً واسماً يحدث فيها قلب مكاني فيقال: تجوّز، وهما متجوّزان.

٣ ـ هبرية: غطاء الرأس للمرأة خاصة.

٤ ـ القاع: الأرض المستوية.

٥ ـ أرض ممشّقة: المشق: احتراق يصيب باطن الساق من الاحتكاك..،والمقصود هنا: أنها مشققة.

٦ ـ العامية لا تراعي التثنية في الأوصاف أو الضمائر أو أسماء الإشارة أو الأفعال، ففي هذا الموقع تقول (مشوا) فتذكر الجمع دون المثنى، وهذا أسلوب فصيح.

٧ ـ هرّت أوراقها: تساقطت.

٨ ـ الهباري: جمع هبرية، وهو غطاء الرأس للمرأة خاصة، تعصّب به رأسها فوق المحرمة.

٩ ـ اللقلق: طائر معروف، والعامة يقولون (حج لقلق) لعلهم يشبهونه بمن يلبس الثياب البيضاء وهو الحاج، لأن لونه أبيض.

١٠ ـ تسمّطت أرجله: أي احترقت واحمرّت من شدة البرد.

١١ ـ بططت له الورم: بطّ الورم والجرح: إذا شقّه.

١٢ ـ سننطيك: أي سنعطيك، والأنطاء لغة في الاعطاء، وقيل هي بلغة أهل اليمن.

١٣ ـ الخَشْم: الأنف.

١٤ ـ اليخني: الحساء.

١٥ ـ الهطر: الضرب.

ما تم البرغوث(1)

- كان يا مكان نحكي ألاّ نام؟

- نحكي

طبخت مرة(2) البرغوث شوربة فطار البرغوث ووقع فيها.

جاءت القملة فشاهدت البرغوث في الشوربة، ومرته تبكي عليه، فقالت: شبيها(3) بريغثتنا.. عسا ما بها خلاف؟

قالت مرة البرغوث: البرغوث طار وخش بالشيربون على بير الطيربون، فتسخمت القملة بالحمم(4).

جاءت الفريخة فقالت: شبيها قميلتنا سيخمون؟

قالت مرة البرغوث: قميلتنا سيخمون على بريغثنا الطاروخش(5) بالشيربون على بير الطيربون، فمعطت الفرخة ريشها،

جاء الراعي وقال: شبيها فريختنا(6) ميعطون؟

قالت مرة البرغوث: فريختنا ميعطون على قميلتنا السيخمون، وقميلتنا سيخمون على بريغثنا الطاروخش بالشيربون على بير الطيربون، فحزن الراعي وكسر رجله.

جاء الذئب، وقال: شبيه راعينا كيسرون؟

قالت مرة البرغوث: رويعينا كيسرون لأن فريختنا ميعطـون، وفريختنـا معطـون،
على قملتنا السيخمون، وقملتنـا سـيخمون علـى بريغيثنـا
الطار وخش بالشيربون على بير الطيربون.

فكسر الذئب رجله، وجـاء يعـرج إلى الشـجرة، فقـالت الشـجرة: شـبيه ذويينا عيرجون؟

قالت مرة البرغوث: ذويينا عيرجون لأن رويعينا كيسرون، ورويعينـا كيسـرون
لأن فريختنا ميعطون

وفريختنا ميعطون لأن قميلتنا سـيخمون، وقميلتنـا سـيخمون لأن بريغثينـا طار وخش بالشيربون على بير الطيربون.

فهرّت أوراق الشجرة كلها حزناً، فجاءت المرأة وكانت تجرش[٧] جريشـاً على الرحى تحت ظل الشجرة، وقالت: شبيها شجيرتنا هيررون؟

قالت مرة البرغوث: شجيرتنا هيررون لأن ذويينـا عـيرجون، وذويينـا عـيرجون
لأن رويعنيـا كيسـرون، ورويعينـا كيسـرون لأن فريختنـــا
ميعطون، وفريختنا ميعطون لأن قميلتنا سيخمون، وقميلتنا
سيخمون لأن بريغيثنـا طـار وخـش بالشـيربون علـى بـير
الطيربون!

فجرشت المرأة نفسها بالرحى، فجاءت امرأة أخرى كانت تخبز، وقالت: شبيها جويرتنا على رحاتها جيرشون؟

قالت مرة البرغوث: جويرتنا على رحاتها جيرشون لأن شجيرتنا هيررون

وشجيرتنا هيررون لأن ذوينا عيرجون، وذوينا عيرجون،

لأن رويعنيا كيسرون، ورويعينا كيسرون لأن فريختنا

ميعطون، وفريختنا ميعطون لأن قميلتنا سيخمون، وقميلتنا

سيخمون لأن البرغوث طار وخش بالشيربون على بير

الطيربون!

فخبزت المرأة نفسها على صاجها[٨]، فجاء زوجها وهو راعي بقر، فقال شبيها مريتنا على صاجها خيبزون؟

قالت مرة البرغوث: مريتنا على صاجها خيبزون لأن جارتنا جيرشون، لأن

شجيرتنا هيررون، لأن ذوينا عيرجون، لأن رويعينا

كيسرون، لأن فريختنا ميعطون، لأن قيملتنا سيخمون،

لأن بريغيثنا طار وخش بالشيربون على بير الطيربون!

فوضع الرجل الشيش[٩] وقعد عليه فخوزق نفسه، فجاء البقر قائلاً: شبيه رويعينا خيزقون؟

قالت مرة البرغوث: رويعينا خيزقون على مريتنا الخيبزون، على جويرتنا

الجيرشون، على شجيرتنا الهيررون، على ذوينا العيرجون،

على رويعينا الكيسرون على فريختنا الميعطون، على قميلتنا

السيخمون، على بريغثينا الطار وخش بالشيربون على بير

الطيربون.

فجاء البقر إلى المستنقع وطمّس[١٠] به، قال الكلب: شبيها بقيراتنا طيمسون؟

قالت مرة البرغوث: بقيراتنا طيمسون على راعينا الخيزقون... الخ.

---

١ - روتها خود الحمد من سلوك ٦٧ سنة.
وفي العامية تلفظ ما تم دون همز.

٢ - للعرب في المرأة ثلاث لغات، يقال: هي امرأته، وهي مرأته، وهي مَرَتُه، وقال سيبويه قالوا: مراة، وذلك قليل، والاستخدام العامي لا يخرج عن الفصيح.

٣ - شبيها: ما بها؟ ماذا حدث لها؟

٤ - الحمم: الرماد والفحم، وفي عامية الفرات يقولون (الحمام) يريدون الرماد، أو السواد الذي يتخلف عن الاحتراق. وسخم وجهه: طلا وجهه بالسواد..

٥ - خش: دخل، في العامية والفصيحة.

٦ - الفريخة: تصغير الفرخة، والمقصود هنا العصفور. وكل الأسماء الواردة في الحكاية مصغّرة.

٧ - جرش الحب يجرشه: أي صيّره جريشاً: في العامية والفصيحة.

٨ - الصاج: ما يخبز عليه في الريف.

٩ - الشيش: قضيب من الحديد.

١٠ - طَمَس: غارَ، وطمّس نفسه: فعل ذلك بذاته.

الموت ما عنده فوت [1]

أخو رفلك خويريفة[2]

واذينتك مقيريفه[3]

جاها الواوي وقرطها

قلت: ليش[4] يا واوي؟

قال: آني واوي والعصا تقتلني!

قلتلها: ليش يا عصا؟

قالت: آني عصا والنار تعلقني[5]!

قلتلها: ليش يا نار؟

قالت: آني نار والسيل يطفيني.

قلت: ليش يا سيل؟

قال: آني سيل وأسوّي خافور[6] للخيل.

قلت: ليش يا خيل؟

قالت: آني خيل والفتى يركبني.

قلت: ليش يا فتى؟

قال: آني الفتى والموت حايفني[7]!

قلت: ليش يا موت؟

قال: آني الموت، وما عندي فوت!

١ ـ الراوية فاطم المحمد من زور شمر ٥٥ سنة.

٢ ـ أخور فلك: أخورّف لك: اي احكي لك. وخويريفة: تصغير خروّفة.

٣ ـ مقيريفة: أي مقروفة، مجدوعة من طرفها.

٤ ـ ليش: لماذا؟

٥ ـ تعلقني: تحرقني.

٦ ـ خافور: عشب.

٧ ـ حايفني: أي يحف بي، وحافه: زاره.

* * * * * *

الطير الأخضر [1]

كان هناك رجل ومرته ولهما ولد وبنيّة، مـاتت الأم، فـتزوج الأب امـرأة أخرى لترعى ولديه الصغيرين، لكن زوجـة الأب كرهتهـم كـدم سنونها فهـي تضر بهم وتعذبهم، وتترك شغل البيت كلـه على كـاهل الفتـاة الصغـيرة، فـإذا تعبت هذه وتباطأت في عملها، هددتها قائلة:

ـ سأذبح أخاك!

فتعود الفتاة لجلب الحطب، وكنس البيت، وعلف البهائم، وليـس لزوجـة الأب إلا زينتها!

وذات يوم راح الولـد يبكي، فخوفتـه خالتـه إن لم تسـكت سـألقيك للشوش[2]! لكن الولد اسـتمر في بكائـه، فحملتـه مـن يـده وخبطتـه بـالأرض، فمات.

قـامت زوجـة الأب وقطعتـه ووضعتـه بـالقدر وطبختـه وقدمتـــه طعامــاً لزوجها، فأكل بنهم،وهو يتلذذ، ويمصمص أصابعه، وقال لها:

ـ إن طعامك زين حتى أن الواحد يكاد يأكل أصابعه من وراه..!

حملت الفتاة عظام أخيها وهي دامعة العـين، ودفنتهـا في المرج الأخضر.

واستغيب الأب ابنه فسأل زوجته عنه، فقالت: إنه يلعب مـع ابـن الجـيران، ثـم راحت تشكو له من شيطنته وعفرتته، وأنه يعذبها ويمرمرها..

مضى الوقت و لم يأتِ الولد فبحثوا عنه عبثاً، لقد ضاع الولد..

وحدها أخته كانت تذرف الدموع السخينة، ولا تجرؤ على البوح، فزوجة أبيها هددتها: ستلحقين به لوفتحت فمك بكلمة!

راحت أيام وجت أيام فإذا بطائر أخضر جميل يقف فوق السطوح مغنياً:

أنا الطير الأخضر

أمشي واتمختر[3]

أمي[4] ذبحتني

أبوي[5] أكلني

أختي الحنونة لمت عظامي في المرج الأخضر

خرجت خالته لتطرده فقال لها افتحي فمك، فتحت فمها فألقى فيه بالأبر والمخط، فماتت.

ثم عاد يردد أغنيته، فخرج أبوه إليه، فقال له: افتح فمك، فلما فتح فمه ألقى فيه بالأبر والمخط فمات!

ثم عاود ترديد أغنيته فخرجت إليه أخته فقال لها: افتحي فمك، فتحت فمها فألقى فيه سكراً.

---

١ - روتها غازية الجاسم.

٢ - الشوش: مما يخوف به الأولاد، ويقصد به (الكلب).

٣ - أتمختر: يتيه في مشيته.

٤ - أمي ذبحتني: يقصد زوجة الأب.

٥ - أبوي: كذلك تلفظ في العامية، ولا يقولون (أبي).

فروة السبع[1]

تصاحب أبو حسين والحج لقلق، وذات يوم أولم أبو حسين لصاحبه، ودعاه قائلاً: أنت معزوم عندي اليوم.

ذهب الحجْلَقْلَق وكان أبو حسين قد صب فوق الصفا حليباً، وقال لصاحبه: باشر الطعام!

تثلّم منقار الحج لقلق، ولم يحصل على شيء، في حين كان الثعلب يلعط[2] الحليب بلسانه من فوق الصفا.

قال الحج لقلق للثعلب: أنت معزوم عندي غداً.؟

وفي الموعد المحدد جاء أبو حسين، وكان الحج لقلق قد نثر سليقة بين الشوك وراح يبحث عن حباتها بمنقاره في حين تشوّك أبو حسين،وهو يدس بوزه بين الأشواك ولا يحصل على شيء.

وبعد انتهاء المأدبة الفاخرة، قال الحج لقلق لأبي حسين: هل رأيت الدنيا من فوق؟

قال: لا.. متى كانت لي أجنحة لأفعل ذلك يا حسرتي!

قال الحجي: أنا سأفرجك عليها، وأريك ما لم تره في حياتك كلها.

قال الحصيني: كيف؟

قال الحجي: تركب فوق ظهري، وأصعد بك في الجو.

قال الحصيني: الله وظهرك يا راعي المروة[٣]! وين أخوي الحجي الذي ينفذ ما يقول؟

ركب أبو حسين فوق ظهرالحجي، وصعد به في الجو وعلاّ، ثم قال له:

- هل ترى شيئاً؟

- إنني أرى الجبال والأشجار والأنهار والمنازل.

صعد الحجي أكثر، ثم سأله:

- هل ترى شيئاً؟

- إنني أرى الجبال.

ثم علاّ في الجو أكثر، وسأل «أبو حسين»:

- هل ترى شيئاً؟

- إنني أرى بقدر البيت.

فعلاّ الحجي أكثر فأكثر، وسأل صاحبه:

- هل ترى شيئاً؟

- إنني أرى بحجم البساط!

فارتفع الحجي أكثر، ثم سأل صاحبه

- هل ترى شيئاً؟

- إنني أرى بقدر خرة[٤] الإبرة.

عندها صعد الحجي أكثر، فصرخ الحصيني مذعوراً:

لم أعد أر شيئاً، فدخيلك يا حجي لقد دخت وفتل رأسي، انزلني.

قلب الحجي نفسه، وترك أبو حسين يهوي من حالق، كان أبو حسين يهوي مذعوراً،وهو يصرخ:

- يا ربي.. على فريوة[٥] راعي لا ينكسر كراعي[٦]. على فريوة راعي لا ينكسر كراعي.

وحين شاهد راع كان يسرح بغنمه هذا الشيء الساقط عليه من الأعلى فر هارباً، وترك فروته وأغنامه، وهو يصرخ: يا ساتر..!

وقع أبو حسين فوق فروة الراعي فلم يصب بأذى، ولم ينكسر كراعه، ففرح بهذا الصيد، لبس فروة الراعي وراح يتجوجح[٧] بها.

شاهده السبع، فقال له: أبو حسين من أين لك هذه الفروة الزينة؟

قال أبو حسين: أأعجبتك؟ لقد صنعتها بنفسي.

قال السبع: الله..؟! ومتى تعلمت هذا الكار[٨]؟!

قال الحصيني: هذا كار أبوي وجدي، لقد ورثته فأنا فرّا، وأبوي فرّا[٩]، وجدي فرّا.

قال السبع: وين أخوي أبو حسين ينطيني هالفروة، وأنطيه ما يشاء.

قال الحصيني: ابداً، فهذه الفروة لا تليق بك، سأصنع لك فروة ما لها أخت، بس هات لي: سبع خرفان حيّل[١٠].

جاب له السبع ما طلب، وغاب عنه، ثم جاءه في يوم آخر، وقال له: أبو حسين .. أين فروتي؟!

قال أبو حسين: إن الخرفان التي حلبتها لي لم تكفي إلا للظهر، فهات لي سبع حيّل أخرى لأكمل الصدر.

قدم له السبع ما طلب، وسأله: متى تنتهي فروتي؟

قال الحصيني: اصبر عليّ أسبوعاً فقط.

بعد أسبوع جاء السبع سائلاً: أبو حسين أين الفروة؟ أعطينها لأجخّ[١١] بها!

قال له: لقد خلصت تقريباً، ولكن ظل عليها عايزة، فكل ما حلبته لي لم يكفي إلا البدن، وظلت الدخاريص[١٢]، فهات لي سبع خرفان بنات السنة لتكون الدخاريص ناعمة، وستكون فروتك فرجة.

قدم له ما طلب، وجاءه بعد أسبوع، فقال الحصيني: خلصت فروتك وستكون فرجة، ولكن بقيت البنائق[١٣]، وهذه شغلتها بسيطة هات لي خروفين.

قدم له السبع ما طلب، وجاءه في يوم آخر، فتلقاه الحصيني مبشراً بانتهاء الفروة: لا تسألني.. لقد انتهت فروتك، وطلعت فروة ما لها أخت، ولكنني لم أرض عنها بعد، فهات لي سبع اليات لأدهنها، وأخليها تبرق وتلمع.

قدم له ما طلب، وفي اليوم الموعود جاء السبع إلى مغارة الحصيني، وقد طال عليه الوقت، وكاد يفقد صبره، وقال في نفسه: إن لم تكن منتهية اليوم فسأصنع فروة من جلد الحصيني! ولكنه وجد أبو حسين بانتظاره ومعه ابنه سنم

وأخوه، وأم سنم، رحب بالسبع، وقال لابنه سنم: روح هات فروة عمك، بلا احفر وغوّط[١٤]!

ذهب سنم و لم يعد، فاستبطأه السبع، فقال الحصيني لابنه الثاني: ولد الحق بأخيك فالفروة ثقيلة، وهو لا يستطيع حملها لوحده، بلا أحفر وغوّط.

ذهب الثاني فلم يعد، فقال لزوجه: لا بد أن العجيان[١٥] قد تنازعوا بينهم كل واحد يريد حملها، ويقول: أنا أشيل فروة عمي، فاذهبي وراهم بلا احفري وغوطي.

ذهبت زوجته و لم تعد، فقال الحصيني: المرأة عقلها ناقص، لا بد أنها تنازعت مع العجيان، وكل واحد يقول أنا أشيل الفروة، فامكث قليلاً وسأجلبها لك بنفسي.

ذهب الحصيني وعاد بالفروة، ووضعها فوق ظهر السبع، وكانت مجرد جلود نشبت بعيدان، فلبسها السبع، وذهب يتحفحف[١٦] بها فسقطت العيدان، وتناثرت الجلود.

أدرك السبع أنه خدع، فعاد إلى مغارة الحصيني يناديه، ولكن هذا خنس دون أن يرد، فجاء السبع بتنكة ووضعها عند باب المغارة، وكلما مر بها الهواء كانت تصفر وتصدر صوتاً فظن الحصيني أن السبع مازال ينتظره، فلم يجرؤ على الخروج. وحين أطال المكث وزقزقت عصافير بطنه استجمع شجاعته، وتحفز وقفز من مغارته إلى الخارج فضربت التنكة ذيله فقطعته، وولّى هارباً، و لم

يكلف السبع نفسه عناء مطاردته، بل قال: لقد أصبحت لك علامة أعرفك بها، فأين ستولّ من وجهي؟

حار أبو حسين في أمره، وفكر طويلاً، ثم عوّص[17] داعياً الحصاني إلى اجتماع، وقال لهم: عندي لكم لعبة زينة.

قالوا: ما هي؟

قال: أربط ذيولكم بالشجر، وبعدها أشرح لكم اللعبة.

ربط ذيولهم جميعاً بالشجر، فجاءت الأرنب إلى أبي حسين وقالت له: أنا أيضاً أريد أن ألعب معك ياأبو حسين.

ولما لم يكن لها ذيل ربطها من لسانها، وحين انتهى، قال لهم: لقد جاء صاحب الكرم فانجوا بأنفسكم.

اندفعت الحصاني هاربة فانقطعت ذيولها جيمعاً، كما انقطع لسان الأرنب.

وفي يوم من الأيام التقى السبع بأبي حسين، فقال له: ألست أنت الفرا ابن الفرا؟

قال أبو حسين: أبداً.. عمري كله لم أعمل بهذا الكار.

قال السبع: لقد تركت فيك هذه العلامة لأستدل عليك.

قال: بل هذه علامة لعشيرتي كلها، فنحن عشيرة القطزان[18]، أنا أقطز، زوجتي قطزاء، وعشيرتي كلها من القطزان.

فقالت الأرنب بلسانها المقطوع: كذّب أبو حسين كذّب.

قال السبع: اخرج من هذه الأبواب، فلن تنطلي علي حيلك بعد الآن.

قال أبو حسين: إن لم تصدقني دعوت لك عشيرتي لترى بنفسك صدق كلامي.

قال السبع: لقد صدقتك طويلاً يا أبو حسين، وجاء وقت دفع الحساب ستصدقني الآن أنت.

قال الحصيني: فاصبر علي، واختبر صدقي، ولن نخسر شيئاً، ثم عوّص فاجتمعت الحصاني، وجاءت ملبية النداء من كل حدب وصوب فإذا كلها قطزاء، فاقتنع السبع بذلك، وتركه قائلاً: لقد توهمت، وظننتك حصينياً أعرفه.

---

١ ـ الراوية أبي.

٢ ـ يلعط: يلحس.

٣ ـ راعي المروة: صاحب المروءة.

٤ ـ خُرت الإبرة: ثقبها. في العامية والفصيح.

٥ ـ فريوة: تصغير فروة.

٦ ـ كراعي: ساقي.

٧ ـ يتجوجح بها: أي معجب بنفسه، فيتمايل بها ذات اليمين وذات الشمال.

٨ ـ الكار: الصنعة، المهنة.

٩ ـ فرّا: أي فراء، صانع الفراء.

١٠ ـ حيل: هي الخراف التي أتى عليها الحوْل.

١١ ـ جخّ بها: تباهى.

١٢ ـ الدخاريض: ما يوصل به البدن ليوسعه.
١٣ ـ البنائق: وفي العامية تلفظ (بنايج)، وهي طَوْق الثوب الذي يضم النحر وما حوله.
١٤ ـ غوّط: تعمق.
١٥ ـ العجيان: الأولاد عموماً في العامية. والعجي: هو من ماتت أمه وتربى على وجوه الناس.
١٦ ـ يتحفحف بها: تعبير عامي يعني يتباهى بها.
١٧ ـ عوّص الثعلب: صَوّت.
١٨ ـ الأقطز: المقطوع الذيل.

* * * * *

الحصيني والقنفذ (1)

تشارك القنفذ والحصيني بالفلحة، القنفذ يفلح، ويطش(2)، ويشتغل من طلعتها لغيبتها، والحصيني يقول له: رايح أسند عنك الجبل، فيذهب وينام وراء الجبل، أو يدور(3) على الفطايس وبقايا الطعام، وحين يأتي إلى شريكه، ويرى ما أنجز من عمل يقول له: لقد كنت أسند عنك الجبل، ولو لم أفعل لسقط عليك وطمرك!

صبر القنفذ على ورطته تلك، وأخيراً حصد ودرس وكوّم الصبّة(4).

وقال للثعلب: تعال لنتقاسم!

قال الحصيني: وكيف نتقاسم؟

قال القنفذ: نضع ثمنية هنا، وأخرى هناك إلى أن تنتهي الصبة.

قال الحصيني: ولكنني أرى رأياً آخر، فلماذا لا نتسابق ومن سبق الآخر أخذ الصبة كلها، بدلاً من وجع الدماغ بالقسمة، لأننا سنعذب أنفسنا بالكيل، وسنختلف على أن هذه الحبة لك أو لي..!

قال القنفذ مستنكراً ومستغرباً: وكيف؟

قال الحصيني مراوغاً: الأمر بسيط، نذهب إلى راس الجبل، ثم نأتي من هناك ركضاً، ومن وصل الصبة أولاً كانت له.

قال القنفذ بمرارة: يا خوش(5)..! إنه أمر بسيط حقاً!

فكر القنفذ في نفسه: أنا الذي اشتغلت وتعبت بها حتى كومتها حبة شقراء مثل الذهب، والآن يريد أبو حسين أن يحرمني منها كلها، فهو يعرف أنني لا أطيق سباقه، ولا قدرة لي عليه، فأنا خاسر سلفاً في هذا السباق، ولكن لا بد لي من حيلة، ثم التفت إلى الحصيني وقال له: لنرجىء السباق إلى الغد، إذ لو سبقتك وأخذت الصبة فليس لدي عدول[٦] لأضعها فيها، فإلى الغد.

ومن ساعته ذهب إلى شيخ القنافذ وأطلعه على حكايته مع «أبو حسين»، فقال له شيخ القنافذ: الشور الزين[٧] عندي أن تأخذ اثنين من القنافذ معك، وتضع أحدهم عند الصبة، والثاني في وسط الطريق إليها، وتذهب أنت مع الثعلب، وحين يصل إلى منتصف الطريق سيجدك أمامه، كذلك حين يصل إلى نهاية السباق، وهكذا ستنطلي عليه الحيلة فهو لن يفرق بينكم وبهذا تحصل على الصبة كلها، وهي حقك لأنك أنت من تعب فيها.

ذهب القنفذ في اليوم التالي باكراً ودفن أحد القنافذ بالكسموكة[٨] عند الصبة، ووضع الثاني في منتصف طريق السباق، عندها جاء الحصيني مختالاً، وهو واثق من نفسه، وسلم على القنفذ، وقال له:

ـ أأنت جاهز للسباق؟

قال القنفذ: نعم إنني جاهز. وأضاف في سره: طبك[٩] عندي يا «أبو حسين»! والآخرة يا فاخرة!

صعدا إلى رأس الجبل، ومن هناك انطلق الحصيني مسرعاً، وختل[١٠] القنفذ، وقال: روح وأنا وراك!

انطلق الحصيني مجداً، يمعط بحاله، وله ضريط وعفيط[١١]. وفي وسط الطريق أقشر[١٢] ما عليه إلا القنفذ يقول له: مهروم[١٣].. تعبت..؟

لقد ظن أنه تركه خلفه، ولكن ها هو ذا يسخر منه فزاد من سرعته..

ولكن يا لدهشته إذ حين وصل الصبة سمع القنفذ يكيل ويقول:واحد، اثنان.. جنّب[١٤] عن البركة جنّب!

---

١ ـ رواها والدي

الحصيني: الثعلب. وفي العربية يُكنى الثعلب: أبا الحِصْن، أو أبو الحُصَيْن وفي العامية ينسبونه إلى كنيته فيقولون (الحصيني)، ويبدلون الصاد سيناً فيقولون (أبو حسين)، كما يقول أبو الحصين، وأبو الحصنان.

٢ ـ يطش الحب: ينثره، ويبذره في الأرض.

٣ ـ يدوّر: يبحث.

٤ ـ الصبة: ما صُبّ من القمح مجتمعاً، البيدر.

٥ ـ يا خوش: الخوش، كلمة تركية تعني (جيد).

٦ ـ العدول: جمع عدل، وهي الغِرارة.

٧ ـ الشور الزين: أي المشورة الجيدة أو الرأي الحسن، والزين ضد الشين في العامية والفصيح.

٨ ـ الكسموكة: عامية، ولعلها لفظة تركية، وتعني القصالة، والقصالة من البر ما عزل منه إذا درس ونقي.

٩ ـ طبّك عندي: يعني دواك عندي، يتوعّده.

١٠ ـ خَتَل: اختبأ.

١١ ـ يمعط بحاله وله ضريط: أي يجهد نفسه في العدو.

١٢ ـ أقشر ما عليه: أي أسوء ما رأى، وتلفظ القاف كافاً، في العربية يقال: عام أقشر: أي شديد.

١٣ ـ مهروم: للسخرية.

١٤ ـ جنّب: ابتعد.

عزيمة الحصيني للديك [1]

جاء الحصيني إلى الديك وقال له: لقد أخذت خربة زينة[2] وأريد لي شريكاً فيها لنفلحها، فما رأيك أن تشاركني فيها؟

لم يكن الديك يثق بالحصيني، وهو يعرف أنه يحاول التقرب منه لينقض عليه، لذلك كان حذراً، وقال له:سأفكر في الأمر!

قال الحصيني: تعال اليوم أنت معزوم[3] عندي، ثم فكر كما تريد.

ذهب الديك حذراً، فجاء أبو حسين بحليب ورشه فوق الصفا، وقال للديك: دونك طعامك..!

باشر أبو حسين الطعام، فكان يلعط[4] الحليب بلسانه، في حين تثلّم منقار الديك، ولم يحصل على شيء!

قال الديك في سره: سوِّيتها[5] يا أبو حسين! طبّك عندي! ثم التفت إلى صاحبه، وقال له: أنت معزوم عندي غداً! في اليوم التالي جاء الحصيني وكان الديك قد حضّر سليقة[6] فطشّها بين الشوك وقال للحصيني : دونك طعامك..! باشر الديك بالطعام فكان يلقط الحبات بمنقاره، في حين كان الشوك يخز الحصيني أينما دس بوزه، وهو لا يحصّل شيئاً..

قال الحصيني: أنت صاحب واجب يا صديقي، كثر الله خيرك على العزيمة، فالأكل كان فاخراً، حتى كدت «أقرط» بوزي من وراه.

قال الديك:أنت صاحب الأوّلى.. وصاحب الأو لى ما ينلحق..! صبّة بصبّة، وكبة بكبةّ![7]

قال الحصيني في نفسه: والله ألاّ آكلك إن ساعفني[8] بنات الليالي.

تواعد الديك والحصيني أن يلتقيا غداً، بناء على طلب الحصيني، حتى يشوفوا حدود فلحتهم، ويسيجوا لها، ويباشروا بالفلاحة قبل أن يفوتهم الوقت.

ذهب الديك إلى الحصيني في اليوم التالي مصطحباً صديقه السلوقي، وحين اقتربا،وتبيّن أبو حسين السلوقي الفاره، وشاف عيونه تتلاقط مثل الجمر، هرب قائلاً:

- ما زلت قد جلبت هذا فقد عمرّنا قرايا...[9]!

وحط السلوقي بعجّته[10]، والطرد بالطرد، وظل أبو حسين يراوغه ويروغ منه حتى تخلص أخيراً، وبعد عنه، فقال مخاطباً ذيله الذي كان يعيقه في الهرب، إذ كان يحس به ثقيلاً جداً: ذيل ابن الكلب غديت طبّان[11]..!

---

١ - رواها والدي

٢ - خربة زينة: الز ين ضد الشين في العامية والفصيح. والخربة:هي الأرض المعمورة سابقاً، وقد تخر بت، وهذا يدل على حال المنطقة، ففي كل منطقة تجد خربة لما

تعاورها من غزو وخراب، وانعكس ذلك في أسماء القرى، إذ تجد اسم القرية يبدأ في كثير من الأحيان بلفظ: خربة كذا.

٣ ـ معزوم:من العزيمة أي الوليمة.

٤ ـ يلعط: يلحس بلسانه.

٥ ـ سوّيتها: عملتها.

٦ ـ السليقة: القمح يُسلق بالماء الحار، وتلفظ القاف كالجيم.

٧ ـ واحدة بواحدة.

٨ ـ بنات الليالي: كناية عن الأيام، الزمن.

٩ ـ (.......) كلمة بذيئة.

١٠ ـ حطّ بعجته أو بعجاجته: تعبير عامي يـراد بـه تتبـع أثـره، والعجّـة والعجاجـة، واحدة العجاج وهو الغبار.

١١ ـ طبّان: أداة ثقيلة تستخدم لتسوية سطوح المنازل.

العنزة والذئب [1]

ترافقت عنزة وذئب في بعض الطريق، فاعترض طريقهم نهـر، فصعـدا إلى طوف[2] ليعبرا الماء، وفي الطوف جاع الذئب، فحاص[3] ليجد حجة تمكنه من الانقضاض على العنزة، فقال لها:

ـ عنزة تروبصي[4]! ولا تظلي تثيرين علينا العجاج!

---

١ ـ رواها والدي.

٢ ـ الطوف: أخشاب تشد فوق القرب ليعبر عليها.

٣ ـ حاص: لاج

٤ ـ تروبصي: اثقلي، وفي الفصيحة التربص : الانتظار.

الهدهد يتمرجل[1]

غاب الهدهد طويلاً عن النبي سليمان، فأرسل الملك سليمان له الفيل ليأتي به حالاً، جاءه الفيل فوجده هو وزوجه يتناجيان ويتغازلان، فقال له:

ـ الملك سليمان يطلبك حالاً.

قال الهدهد: اذهب وسآتي خلفك..

قال الفيل: لن أذهب إلاّ وأنت معي.

فقال الهدهد مغتاظاً: إن لم تذهب مسحت بك الأرض..!

فتح الفيل فمه دهشة، وعاد إلى الملك سليمان مسرعاً، وأخبره بما قاله الهدهد.

تبسّم الملك سليمان، وقال للفيل: لا تستغرب.. ألم تكن زوجته معه؟!

---

١ ـ رواها والدي. ويتمرجل: يدّعي الرجولة.

الضفدع القاتلة[1]

كان هناك مرة لا تحبل ولا تجيب، فدعت إلى ربها: يا ربـي اطعمـني ولـو ضفدعة.حبلت المرأة وجابت ضفدعة.وذات يوم سرطت الضفدعة أمها وأباها، وذهبت إلى الجيران فسرطتهم[2] الكبير والصغـير والنـايم بالسرير، وسـارت في طرقات القرية تسرط كل من تصادفه في طريقهـا، رأت كلباً فسـرطته،حمـاراً، رجالاً، نساءاً، أطفالاً، عدة وثيرانها، حتى خلت القرية من الناس والحيوانـات، وتدلت بطنها إلى الأرض، وعطشت كثـيراً فراحـت تـدب إلى البئر لتشـرب، وحين وصلت رأتها طفلة صغيرة كانت تستقي المـاء مـع أختهـا فحملـت بعـرة وضربتها على بطنهـا، فـانفجرت، فخـرج أبوهـا وأمهـا، وجيرانهـا، والكلـب والحمار، وأهل القرية، والعدة والثيران وكلهم يتراكضون.

---

١ ـ روتها غازية الجاسم

٢ ـ سرطتهم:بلعتهم.

كسرى والقانوص[١]

رجل يعمل في النول[٢] وعنده مصيريات[٣] يضعها في خابية، جاءه الحرامي فحمل الخابية ليسرقها، فاكتشفه الرجل، وقال له: لماذا أنت مستعجل؟ اترك الخابية حتى املأها لك وبعدها اسرقها..!

عاد الحرامي ليضع الخابية في مكانها، فضربه الحائك بقدمه ففقس[٤] عينه.

راح الحرامي إلى كسرى باكياً متشكياً، فأرسل كسرى في طلب الحائك، وقال له: لماذا فقست عين الحرامي؟

قال الحائك: لقد جاء ليسرقني فدافعت عن حلالي..!

قال كسرى: لن يفيدك هذا في شيء، وسنفقس عينك كما فقست عين الحرامي.

قال الحائك: أنا تلزمني عيني لأني أعمل بالعينين معاً، ولا أستطيع أن أستغني عن واحدة، ولكنني سأذكر لك رجلاً لا يحتاج في عمله إلا لعين واحدة، القانوص[٥].

أرسل كسرى في طلب القانوص، وقال له: إن الحايك فقس عين الحرامي، ولكنه يحتاج إلى عينيه في العمل، أما أنت فلا تحتاج إلاّ إلى عين واحدة في عملك، لذلك سنفقس عينك بدلاً من عين الحرامي.

قال القانوص: هذا صحيح، أنا أعمل بعين واحدة، فما حاجتي إلى الثانية، ولكن أمهلني ثلاثة أيام لأنجز عملاً التزمت به،وبعدها أتمنّى أن تخرج معي للقنيص[٦] يوماً واحداً لتتأكد بنفسك أن عيناً واحدة تكفيني حقاً.

أمهله كسرى ثلاثة أيام فذهب الرجل وأتى بدجاجة محشية بالرز والصنوبر، وجبسة، وجود ماء، ووضع ذلك كله في مكان آمن في البرية، وفي مكان آخر بعيد عن الأول وضع كباباً وخساً وجود ماء.

عاد الرجل إلى كسرى بعد انقضاء الأيام الثلاثة، وقال له:

ـ لقد أنجزت عملي، فاذهب معي إلى البرية للقنيص..

ذهب كسرى مع الصياد، فراح يلبخ[٨] به في البرية، ويدور حتى فتح كسرى فمه من الجوع والعطش، فنغط[٩] طير، فقال الصياد:

ـ تا لله عليك ما أكذبك.. ياريت!

قال كسرى: وهل تعرف لغة الطيور؟

قال الصياد: من عاش بينها عمره كله يعرف لغتها.

قال كسرى: فماذا قال الطائر إذن؟

قال الصياد: إنه يكذب!

قال كسرى: با لله عليك، قل لي ماذا قال؟

قال الصياد: إنه يقول في المكان الفلاني دجاجة محشورة بالرز والصنوبر وجبسة وجود ماء.

قال كسرى وقد هده الجوع والعطش: ماذا نخسر لو ذهبنا إلىهناك، قد يكون كلامه صحيحاً.

قال الصياد: كما تشاء..!

وحين وصلا إلى المكان المحدد، وجدوا كل شيء كما وصف الطائر، فأكلا وشربا وتبرّدا، وعاودا السير بحثاً عن الطرائد، فعطش كسرى وجاع مرة أخرى، فإذا بطائر آخر ينغط.

قال الصياد: لعنك الله أيها الطائر، فأنت كذاب أشر.

قال كسرى: ماذا يقول؟

قال الصياد: إنه يقول في المكان الفلاني خيرات الله: كباب وماء وخس.

قال كسرى: لنذهب، ألم تكذّب الطائر الأول وكان صادقاً.

ذهبا إلى حيث أشار الطائر فوجدا كل شيء كما وصف، فأكلا وشربا.

عصّرت الدنيا فقال الصياد: لاحظ لنا في الصيد اليوم، فلنعد إلى أهلنا.

وفي طريق عودتهم شاهدا بومتين تنغطان. فقال كسرى للصياد: ما دمت تعرف لغة الطيور.. فما تقول هاتان البومتان؟

قال الصياد متمنعاً: اتركهن يا رجل..يقلن وجعاً يقتلهن!

قال كسرى: با لله عليك إلا أخبرتني.

قال الصياد: هاتان بومتان، واحدة خطبت بنت الثانية، الأولى تقول للثانية: أعطيك «خربة» مهراً لابنتك.

والأخرى تقول لها: إنه ثمن بخس، فما دام كسرى حاكماً فإن القرايا[10] العامرة ستصير خراباً.

فقال كسرى: وهل أنا ظالم؟

قال الصياد: يا رجل الحايك يفقس عين الحرامي، وأنت تفقس عيني بدلاً منه، وتسمى ذلك عدلاً؟

---

١ - رواها أبي.

٢ - يعمل في النول: حائك.

٣ - مصيريات: تصغير مصرية، وهي عملة مصرية، أصبحت تطلق على النقود عموماً.

٤ - فقس عينه: قلعها.

٥ - القانوص: الصياد: على وزن فاعول فهي من الأوزان السريانية الأصل كالحاصود.

٦ - القَنيص: القَنْص، وهو الصيد.

٧ - الجبس: البطيخ الأحمر، ويقولون له ايضاً: الدبشي.

٨ - يلبِخ به: اي يدور به على غير هدى.

٩ - نغط الطير: صاح.

١٠ - القرايا: جمع قرية، وتلفظ القاف كالجيم في اللهجة المصرية.

حكم كسرى (1)

أعلن كسرى أن كل شاب لديه أبٌ عجوز فليقتله، ففعل الناس ما أمروا به، إلا شاباً واحداً أشفق على أبيه من القتل، وأخباه بحيث لا يراه أحد فيفتن عليه.

جمع كسرى الشباب وقادهم إلى البرية، وقال لهم: احصدوا.

قالوا: وماذا نحصد؟

قال: احصدوا الهوا.

فكانوا من صبيحة ربهم يحصدون الهوا إلى المساء، عاد الولد إلى أبيه، وقال له: لقد ابتلشنا(2) بهذا الحاكم الظالم.

قال الأب: ماذا فعل بكم؟

قال الشاب: إنه يجعلنا نحصد الهواء.

قال له أبوه: حين يأتي كسرى ليراكم، فاحصدوا فرك ما تحصده، ثم الهمه وكأنك تلوك طعاماً بالفعل.

في اليوم التالي جاء كسرى، فحصد الفتى بمنجله حصدة، ثم وضع المنجل على كتفه، وفرك الحصيد بين يديه، ثم لهمه وراح يلوكه.

فقال له كسرى: ماذا تأكل؟

قال الفتى: اللي نحصد منه نأكل منه.

فقال كسرى: أنت أبوك طيّب[3]!

---

١ - رواها أبي.

٢ - ابتلشنا: أي ابتلينا به.

٣ - طيّب: حي، لم يمت.

سر السمكات [1]

كان يا ما كان، كان في قديم الزمان صياد سمك يذهب إلىالبحر ليصطاد كل يوم، وفي يوم من الأيام اصطاد ثلاث سمكات أشكالها عجيبة، وألوانها زاهية غريبة، فقال: إنها وا لله هدية ملوك.

أهدى الصياد السمكات للملك فكافأه على هديته وكانت السمكات قد أعجبته فوضعها في بركة القصر، وراح يزورها يومياً، فكانت السمكات تخرج رؤوسها وتنظر إليه وتضحك، تكرر ذلك، فتعجب الملك من فعلها، واستدعى وزيره، وقال له: كلما جلست إلى السمكات أخرجت رؤوسها ونظرت إلي وضحكت، فلا بد أن في الأمر سراً، فإن لم تجد لي من يفسر سبب ضحكهن قطعت رأسك؟

أطلق الوزير منادياً ينادي في أرجاء المملكة: من يفسر سبب ضحك سمكات الملك فله ما يطلب من مال وحلال[2]..!

أحجم الناس جميعاً إلا أن لصاً باطشاً، كان قد قتل تسعاً وتسعين رجلاً، قال: أنا أفسر سبب ضحكهن.

أدخلوه على الملك، فقال له: زعمت أنك تستطيع تفسير ضحك السمكات، فإن لم تفعل قطعت رأسك!

قال: نعم يا ملك الزمان، ولكن أعطني الأمان قبل ذلك.

قال الملك: وهل في التفسير ما يضير أحداً؟

قال اللص: نعم يا مولاي.

قال الملك: لك منا الأمان فهات ما عندك.

قال: يا مولاي إن زوجتك قد اصطفت عبدة تقوم بجميع شؤونها، ولا تفارقها في ليلها ونهارها، فليأمر الملك بإدخال العبدة إلى الحمام، وليدخل الملك بنفسه ليراها.

قال الملك: ويحك ماذا تقول؟

قال اللص: لن يكتمل تفسيري إلا بهذا يا مولاي.

أمر الملك بتنفيذ ما يريده اللص، وحين دخل إلى الحمام اكتشف أن العبدة ما هي إلا عبد ذكر نستعين با لله من خلقته.

فقال اللص: يا مولاي إن السمكات تضحك عليك أنت، فأنت الزوج المخدوع، وقد قتلت تسعاً وتسعين رجلاً، وسأكمل المائة بقطع رأس هذا العبد علّه يشفع لي عند ا لله، فامتشق سيفه وضرب عنقه.

وهم راحم وآني جيب.

---

١ ـ رواها عيسى الرمضان من الرقة ٦٥ سنة.

٢ ـ الحلال: يقصد به الماشية وما يماثلها.

العجوز الحيال(١)

كان هناك ثلاثة أخوة وأبوهم شايب كبير يحتاج إلى الرعاية والاهتمام، وهم يهملونه، الشايب أراد أن يهتم به أولاده، فجاء بتنكة ملأها بالجزاز، وأغلقها جيداً، ووضعها تحت وسادته.

قرر أولاده الرحيل، فركبوا خيولهم ودوابهم، وشالوا أثاث بيوتهم وعيالهم، وتركوا العجوز وحيداً، ما حوله إلا مراجيح العصي.

قال الجار لزوجته: طلي على جيراننا، مالهم وحي؟ ذهبت المرأة فوجدت الشايب وحده، فسألته: أين أولادك؟ قال لها: لقد ذهبوا وتركوني، ظنوا أنني أصبحت عالة عليهم، ولكنهم لا يعرفون أن لدي ما يكفيني ويكفيهم حتى ولد ولدهم، وحرك لها التنكة.

ذهبت المرأة، وقالت لزوجها: إن جيراننا حظهم فاين، وكلبهم حفيان.. لقد تركوا أباهم وعنده تنكة ذهب أصفر ملهومة لهم.

ركب الرجل ولحق بجيرانه فأخبرهم خبر أبيهم، فعادوا إليه مظهرين الأسف والندم، وأصبحوا يعلون فراشه، ويغسلون رجليه، ويقدمون له ما يشتهي من طعام.

مات العجوز ذات يوم، وانتظر الأولاد على أحر من الجمر ذهاب المعزين ليفتحوا تنكة الذهب ويقتسموها..وما صدقوا أن ذهب المعزون أخيراً، فهبطوا التنكة وكسروها فإذا هي بجرد قطع بلور.

فقال أحدهم: لأفعلها في قبره.. لقد شيّلْنا الديون بطلباته التي لا تنتهي.

---

١ - رواه أبي. والحيّال:الكثير الحيل.

درس أبليس [1]

جمع إبليس النساء ليعطيهن درساً، فقال: من يعمل خيراً معكن اعملن شراً معه.

هذا هو درسكن اليوم، فاذهبن إلى بيوتكن.

ذهبن جميعاً إلا واحدة بقيت جاحظة[2] في مكانها لا تبرحه. فاستغرب إبليس جلوسها، وظن أنها تريد أن تسأله سؤالاً في أمور «دينها»، فقال لها: لماذا بقيت؟

قالت: رجلاي توجعانني، ولا أستطيع القيام.

فأركبها على رقبته ليوصلها إلى بيتها، فبالت عليه!

صرخ إبليس غاضباً: ماهذا؟ ماذا فعلت يا امرأة؟

قالت: هذا درسك..!

قال لها: اذهبي ولا تأتين بعدها، فأنت حافظة للدرس، وخاتمة ولا تحتاجين إلى دروس بعدها.

---

١ ـ رواها إسماعيل الجعفر من الرقة ٨٥ سنة.

٢ ـ جاحظة في مكانها: أي مقيمة فيه لا تبرحه، ولا تتزحزح عنه.

الجدي [1]

كان يا ما كان، كان في قديم الزمان ملك احتاج إلى المال، فقد نفـد ما بخزانته من الأموال، وكان الناس في دولته فقراء! إلا ثلاثة كانت لديهـم أموال لا تأكلها النيران، فسأل وزيره: كيف سندبر المال؟

قال الوزير: ليس لك إلا أغنياء دولتك.

قال الملك: لا بد من حجة.

قال الوزير: وهل هناك ضرورة للحجة؟

قال الملك: نعم حتى لو كانت حجـة واهيـة، سيظن النـاس أنـه لم يعـد هنـاك قانون أو نظام إن أخذنا الأموال منهم دون سبب أو حجة، على كـل حال اجلب لي جدياً، وابعث إليهم ليأتوا في الحال.

جـاء الأغنيـاء، فدخـل الأول، فقـال لـه الملـك: إذا عرفـت هـذا الحيـوان أعفيتك من الجزا[2]، وإن لم تعرفه فرضت عليك الجزا الذي يرضيني.

قال الغني: هذه بسيطة.. هذا جدي!

قال الملك: أنت لا ترى جيداً إنه تيس!

خرج الأول مغلوباً على أمره فتلقاه الثاني وسأله ما الحكاية؟

فأخبره بما حدث، وحين دخل إلى الملك كان مطمئناً إلى أنه يعرف الجواب الذي يرضي الملك، وقبل أن يكمل الملك سؤاله، قال الغني الثاني: إنني أعرفه يا مولاي، ولا يمكن أن أتوه[٣] عنه، إنه تيس!

ـ ماذا قلت؟

ـ تيس يا مولاي، يا الله ما أطول قرونه!

قال الملك: بل هو جدي أيها الأعمى، وقد فرضت عليك الجزا.

خرج الثاني فالتقاه الأخير وسأله، فأخبره بما حدث.

دخل الثالث فسأله الملك، فعاين الجدي، ودار حوله، ورازه، وقال أصدقك القول يا مولاي.. بحياتي كلها ما شفت شبيها لهذا الحيوان.

تبسم الملك وأعفاه من الجزا.

---

١ ـ رواها جاسم الذياب ٤٤ سنة.

٢ ـ الجزا: الجزاء، تسهل، وهي الضريبة.

٣ـ أتوه: أضلّ.

الشاطر حسن [1]

كان يا ما كان، كان في قديم الزمـان شـاب شـديد الكسـل، ادّعـى أنـه كسيح حتى لا يلومه أحد على كسله، وكان والده يشقى ويتعـب طـول اليـوم ليقدم له ولعائلته كفاف يومهم.

فقال له ذات يوم جاره: أنت تتعب مـن طلعتهـا لغيبتهـا[2] لتقـدم الطعـام لعائلتك، ولك ابن شاب يقعد في البيت وكأنه بنت بيت.

قال الأب: إنه كسيح.

قال الجار: أنتم جعلتموه كسيحاً لأنكم تقدمون له الطعام، ولـو كـان كسـيحاً بالفعل لما لامه أحد، ولكن ابنك لا عذر لـه، وإن أطعتـني فـابعد عنـه الطعام بضعة أيام، وعندها سترى أنه ليس كسيحاً.

قال الرجل لعياله: لا تقدموا الطعام لحسن، واتركوه وشأنه.

وبالفعل أهملوه، وصاروا يبعدون الطعام عـن متنـاول يـده، بـل ويخفونـه عنه، فأصبح يقوم من رقدته بحثاً عن الطعام في كل زوايا البيت، فشـاهده أبـوه مرة وهو يبحث عن الطعام، فوبخه على سلوكه، وادعائه الكسل، وحلـف يمينـاً معظماً أنه لن يعطيه كسرة خبز بعد اليوم.

طفش حسن إلى بلد أخرى يبحث عن عمل، فوجد سايس خيل، فقال له حسن: يا عم..! هل تشغلني عندك؟

قال له: أتجيد سياسة الخيل؟

قال علمني وأجرك على الله.

شغّله الرجل عنده، وبعد شهر جاءه رجل يقود بغله، فقال حسن لصاحبها: أهي للبيع؟

قال الرجل: نعم.

قال حسن: بكم تبيعها.

قال الرجل: بمائة ليرة.

قال حسن: هذا كثير جداً على بغلة.

فقال الرجل: إذن اتركها عندك وأعلفها جيداً وسأعطيك أجرتك حين أعود.

جاء الشاطر حسن ليقدم العلف للبغلة، فقالت له: أنا لا يُعلق لي تبن وشعير، فانظر في عليقتي.

نظر حسن في عليقتها فرآها تغص بالليرات الذهبية، فقرر أن يشتريها، وحين عاد صاحبها، قال له: لقد قبلت أن أشتري بغلتك بالسعر الذي فرضته.

قال: لقد ارتفع سعرها.

قال حسن: حدد السعر الذي تريد.

قال: مائتا ليرة.

قال حسن: لقد اشتريتها.

ونقده المبلغ، وقاد البغلة بعد أن ترك العمل في الاسطبل، فقالت له البغلة: اشتر أرضاً، بالذهب، وابن به قصراً.

نفذ حسن ما أشارت به البغلة، وتغيرت أحواله، وسكنا في القصر، فقالت له البغلة: لا تأت بضيوف إلى القصر، لعل هؤلاء الضيوف يريدون شراً بي، فأنا ابنة ملك الجن الأحمر، وقد غضب أبي علي ومسخني بغلة.

قال لها: سأفعل كل ما تأمرين به، فأنت السبب في كل ما أنا فيه من نعيم!

قالت له: لي بالمكان الفلاني فرنٌ تديره امرأة اسمها فاطمة اذهب إليها وخذ أجره منها كل شهر لنعيش به.

راحت أيام وجت أيام وهو في خير عميم يلعب بالفلوس لعباً، وذات يوم، قالت له: أريد منك خدمة.

قال: أنت لا تطلبين طلباً بل تأمرين أمراً.

قالت: اصنع زورقاً من ذهب واركب فيه في النهر، وبعد أن تقطع سبعة أنهر، وسبعة أبحر ستجد أشجاراً تناديك، وتلح في النداء فلا تلتفت إليها، ولا تحترف نحوها، ولا تأخذك بها شفقة أو رحمة، لأن هذه الأشجار هي جنود أبي، وستقتلك إن التفت إليها.

بعد هذا كله ستجد بحراً فاحمل زورقك إليه، وحين تقطعه وتصل إلى اليابسة إياك أن تغادره، أو تنزل إلى اليابسة بل ابق في زورقك قريباً من اليابسة، وسيصعد الناس إلى زورقك ليتفرجوا عليه، وستأتي للفرجة زوجة أبي وزوجة الوزير وستصطحبان أختي معهما، وأريدك أن تعود بأختي معك، لأن زوجة أبي تقسو عليها، وستأتي معك إذا أريتها هذا الخاتم، وأعطته خاتماً وضعه في أصبعه.

صنع الشاطر حسن الزورق المطلوب، وركب النهر، وبعد أن اجتاز سبعة أنهر، وسبعة أبحر خرج إلى اليابسة يحمل زورقه، فكانت الأشجار تتمايل وتصرخ: الشاطر حسن.. الشاطر حسن..!

وكاد أن يلين قلبه، ويشفق عليها، لولا أنه تذكر نصيحة البغلة: لا تضعف، ولا تدخل قلبك الرحمة، وإلا ضعت وأضعتني.

واصل طريقه إلى أن وصل إلى البحر، فوضع زورقه وأبحر من جديد، وحين اقترب من اليابسة شاهد أذرعاً تلوح له، وأناساً يدعونه إليهم، لكن الزورق توقف في المياه دون أن يصل إلى اليابسة، فجاء الناس إليه يتفرجون على الزورق الذهبي العجيب وحين سمعت زوجة الملك بالزورق الذهبي العجيب طلبت من زوجها أن يسمح لها بالفرجة عليه ، فسمح لها، واصطحبت معها زوجة الوزير، وقادتا ابنتيهما، فتعلقت بها الفتاة ـ أخت البغلة ـ ورجتها أن تأخذها معها للفرجة على الزورق الذهبي.

صعدن إلى الزورق وتفرجن عليه، وعلى دقة صنعه، ومعدنه الثمين، وهو يلمع في ضوء الشمس، وفيما هم منشغلون بالفرجة، اعترض الشاطر حسن طريق الفتاة، وقد عرفها من هيئتها الحزينة، وأراها خاتم أختها، وقال لها: لقد جئت لأخذك إلى شقيقتك.

غادرن الزورق، فقالت الفتاة: لقد نسيت محفظتي في الزورق وسأعود لآخذها، وحين عادت، رفع الشاطر حسن قلوع زورقه وأبحر عائداً إلى بلده.

التقت الأختان، فتزوج الشاطر حسن من الأخت الصغرى وقضوا وقتهم في أهنأ بال، لا يعكر صفوهم معكر.

وفي يوم من الأيام مات الملك، فقالت له البغلة: لا تذهب في جنازة الملك، لأنهم سيطيرون نسراً، ومن يحط النسر فوق أكتافه سنيصبونه ملكاً.

قال لها: لا تخرّفي فمن أنا حتى يحط النسر فوق أكتافي، ويختارني ملكاً.

قالت: ولكن النسر سيختارك بالفعل، ونحن لا نريد الملك فليس من ورائه إلا وجع القلب.

قال لها: لن يحدث ذلك اطمئني.

خرج الشاطر حسن في جنازة الملك، وطيروا النسر، فجاء النسرَ ووكّر[٤٤] فوق أكتافه، تكرر ذلك ثلاث مرات، في كل مرة كان النسر يترك الناس كلهم ويحط فوق أكتاف الشاطر حسن.

نادوا به ملكاً على البلاد، وعاد هو إلى قصره وأخبر البغلة، فقالت:

ـ ذلك ما خشيت منه، وليس لنا من الملوكية إلا وجع القلب.

قال لها: وماذا أفعل الآن؟

علمته كيف يتصرف كملك، وكيف يدير أمور البلاد، وظل على تلك الحال بعض الوقت، ثم قال للبغلة: لقد سئمت الملوكية، ولأتخلص منها سأنصب أبي ملكاً بدلاً مني.

قالت البغلة: نعم الرأي.

وبالفعل نصب أباه ملكاً على البلاد، فطمع الأب بما في يد ابنـه، وبمـن في فراشه إذ أعجبته زوجته فأرادها لنفسه، ولكي تصبح لـه فكـر أن يوقـع ابنـه في المهالك، فقال له: أريدك أن تأتيني بسجادة طولهـا شـبر، وعرضهـا فـتر، يجلس عليها أهل المملكة كلهم فتتسع لهم، وإن لم تأت بها قتلتك!

حار الشاطر حسن في أمـره، وأسـف لأنـه نصـب أبيـه ملكـاً، فمـن أيـن سيأتيه بهذه السجادة العجيبة. لاحظت البغلة حيرته، فسألته عمـا يشـغل بالـه، فقال لها: لقد طلب أبي سجادة طولها شبر، وعرضها فـتر وتتسـع لجلـوس كـل رعايا المملكة.

قالت له: هذه أمرها يسير، خذ هذه السجادة إلى أبيك فهي تفي بالغرض.

وفي اليوم التالي ذهب إلى أبيه، وقال له: هذا ما طلبت يا مـولاي وأعطـاه السـجادة، فـأمر الملـك أن تمـد في ظـاهر المدينـة، ويجلس عليهـا النـاس جميعـاً، وبالفعل مدوها، وصار الناس يأتون ويجلسـون عليهـا، وكلمـا زاد عـدد النـاس ازداد اتساعها حتى لم يبق أحد في المدينة لم تستوعبه.

قال الملك لابنــه: الآن أريـد منـك عنقـود عنـب يـأكل منـه كـل البشـر، وهـو لاينقص حبة واحدة. فإن لم تفعل قطعت رأسك.

ذهب الشاطر حسن مهموماً مغموماً بسبب البليّة الجديدة، فسألته البغلـة: ماذا طلب منك الملك اليوم؟ فأخبرها بما طلب.

فقالت له: لا تشغل بالك، غداً تذهب إليه وبيدك العنقود المطلوب.

وفي اليوم التالي: أعطته العنقود، فذهب به إلى الملك، فأمر الملك أن يـاتي الناس كلهم، ليأكلوا من العنقـود، جـاء النـاس وراحـوا يـأكلون مـن العنقـود، وكلما قطفت حبة طلعت بدلها حبة أخرى.

قال له أبوه: سيكون طلبي هذا هو الطلب الأخير.

قال الشاطر حسن: وما هو؟

قال الأب: أريد ولداً طوله شبر ولحيته فتر.

ذهب الشاطر حسن إلى البغلة، وأخبرها بطلب أبيـه الأخـير، فقـالت لـه: اذهب إلى المغارة الموجودة في الجبـل الفلانـي، فسـلم عليهـا، وقـل لهـا: أختـك فاطمة تريد أن ترى ولدك.

ذهب الشاطر حسن قاع تشيله وقاع ترميه إلى أن وصل إلى الجبل، ففتش فيه عن المغارة حتى وجدها، فوقف أمامها وسـلم عليهـا وقـال: أختـك فاطمـة تقرؤك السلام، وتقول أنها تريد أن تشاهد ولدك.

و لم يكمل كلامه حتى خرج إليه من المغارة جني طوله فتر، ولحيته شبر.

وقال له: مرحباً بخالي خذني معك إلى خالتي!

قفل الشاطر حسن عائداً مع الجني إلى أن وصل إلى بلاط والده، فقدم لـه الفتى، وقال: هذا ما طلبته يا أبي.

دهش الأب، وراح ينظر إلى الفتى غير مصدق، فقال له الجني الصغير:

ـ أنت خاين..! وقد كفرت بالنعمة، ولا تصلح أن تكون لا أباً ولا ملكاً..!

ثم قطع رأسه، وقال لحسن: عد إلى حكم البلاد.. ولكن قبل ذلك خذني إلى أمي لأرضع رضعتي الأولى. وبعد أن أعاد الجني إلى مغارته جلس على كرسي المملكة، وحكم بالعدل..

وعاشوا عيشة هنيّة.

هذي الجيرة من العشيرة.

---

١ ـ الراوية مريم العبد الله.

٢ ـ من طلعتها لغيبتها: أي من طلعة الشمس إلى مغيبها.

٣ ـ وكّر: حطّ.

كتبه من الله(١)

كان يا مكان، كان في قديم الزمان شيخ من شيوخ العرب، جاءه رجل ذات مرة، وقال: كل يوم يعرض لي في المنام أن العبد مسعود يتزوج ابنتك.

قال الشيخ: هذه كتبة من الله، ولكنني سأمحوها.

نادى العبد مسعود، وقال له: لك أم للذيب؟

قال العبد: يخسا الذيب.. راسي قدامك!

قال الشيخ: أريد أن تذهب، وتشوف لي الشمس كيف تطلع ومن أين تطلع، وتعود لتحدثني بذلك.

في اليوم التالي حضروا له زهاب السفر وفرساً، وتوكل على الله وسافر.

بعد ذهابه، قال الشيخ: لقد قلعته إلى غير رجعة!

أما العبد مسعود فقد مشى، مشى، مشى.. إلى أن تلقاه درويش، فقال له: ابني مسعود.. إلى أين؟

قال العبد: دربني عم لأشاهد له كيف تطلع الشمس؟

قال الدرويش: اغمض عينيك، ولا تفتحهما إلا إذا توقفت فرسك، وندستها(٢) فلم تستجب لك.

أغمض مسعود عينيه، فقال الدرويش: يا غيرة الله، ودفع الفرس، وبعد حين توقفت الفرس، فندسها، فلم تتحرك، ففتح عينيه فإذا به عند بركة ماء،

فشرب وغسل يديه فإذا هما بيضاوان، ثم سبح في الماء فانقلب جلده أبيض مثل الحليب.

ركب فرسه وسار فتلقاه الدرويش، فقال له: إلى أين يا مسعود؟

قال مسعود: إنني ذاهب لأرى طلوع الشمس..!

قال الدرويش: اغمض عينيك، ولا تفتحهما إلا عندما تتوقف فرسك، فتندسها ولا تستجيب لك، ونم ليلتك حيث تتوقف، وأنت نائم ستسمع أصواتاً وضجيجاً، وترى شراراً فلا تخف خذ الشرار لأنه ذهب.

أغمض مسعود عينيه فدفشه الدرويش، وقال: يا غيرة الله..!

وعندما توقفت الفرس ندسها فلم تستجب له ففتح عينيه فإذا به في واد واسع ومخضر، ربط فرسه، وأكل وشرب ونام، وهو في حلاوة النوم سمع ضجيجاً ورعداً، وكأن الدنيا انقلبت، ورأى شراراً يتطاير كأنه نار جهنم، وأصبحت تخوف الجبال.. ولكن مسعوداً حمل الشرار، وملأ خرجه به، وركب فرسه وعاد، فوجد الدرويش بانتظاره قائلاً: لقد عدت يا مسعود!

قال مسعود: نعم.

قال الدرويش: اغمض عينيك ولا تفتحهما حتى تتوقف فرسك ولا تعود تستجيب لندسك لها.

أغمض مسعود عينيه، ودفش الدرويش الفرس، وقال: يا غيرة الله!

توقفت الفرس فندسها مسعود فلم تستجب له، عند ذاك فتح عينيه فوجد نفسه أمام بيت عمه الذي غادره منذ حين.

ذهب مسعود إلى البلد، واشترى بيتاً كبيراً، ودلال قهوة، وغنماً وإبلاً، وبنى بيته مقابل بيت عمه، وشيَّخ حاله، ثم عزم العرب فأكلوا جميعهم عنده، فقال مسعود لعمه: هل بقي أحد لم يأكل من زادنا؟

قال له عمه: لقد كفيت ووفيت، بارك الله فيك.

أرسل مسعود رسلاً يحملون ليرات ذهبية ليعطوا كل واحد من العرب لم يصب من الطعام ليرة ذهبية، فأخذ الناس يتحدثون عن الفتى، ويلهجون بذكره، ويمدحونه أمام الشيخ، وقال أحدهم ذات يوم: هذا الرجل لا مثيل له: مال وجمال وكرم، وإذا لم يكن عنده امرأة فمن المستحسن أن تعطيه ابنتك، إذ لن تجد لها زوجاً خيراً منه.

في اليوم التالي أوْلَم مسعود للشيخ وبضعة رجال معه، وبعد أن أكلوا، وتمسوا، خرج خلفهم ليدربهم، فسأله الشيخ: أأنت متزوج؟

قال: لا.

قال الشيخ: لقد وصلتك بنتي لاوراها ولا قدامها.

تزوج مسعود ابنة الشيخ، وبعد بضعة أيام وهم يتهرّجون[٣]

قال لعمه: ألم تعرفني بعد يا عمي؟

قال الشيخ: ومن أنت لأعرفك؟

قال: أنا مسعود..!

قال الشيخ: كتبة الله لا يمحوها ابن آدم! سبحان الله، لقد أرسلتك إلى الموت، وعدت سالماً.

١ ـ رواها إسماعيل الجعفر، ٨٥ سنة.

٢ ـ ندستها: ضربتها بطرف قدمك.

٣ ـ يتهرّجون: يتسلّون، ويقطعون الوقت، فإن كانت الهرْجة بالليل فهي: التعليلة.

المليح بالبحر ما راح[1]

في الزمان الأولي أمحلت[2] الدنيا سبع سنين، ولم يبق عند الناس ما يأكلونه، فأصبحوا يعيشون على السمك، وكان ثمة صياد يذهب إلى البحر، ويلقي شباكه ليعطيه الله ما يعيش به هو وأبناؤه.

وذات يوم مرض الرجل، فقال لابنه: اذهب إلى البحر علك تعود بعشاء لك ولأخوتك.

ذهب الفتى إلى البحر، وظل يرمي شباكه طول اليوم عبثاً وفي المرة الأخيرة أخرج شبوطاً كبيراً بقد الحبش[3]، فقال الفتى في نفسه إن أخذته فما سيحدث لأهله؟ سوف أتركه!

عاد الفتى ايد من ورا وايد من قدام، فقال له أبوه:

ـ ها .. ما حصّلنا شيئاً؟

قال: لا.

قال الأب: الخلف على الله.

جاء الناس إلى الأب وراحوا يتحدثون ويقولون للفتى إن الشبوط الذي اصطدته يكفيكم عشرة أيام فلماذا تركته؟

قال الأب وقد استشاط غيظاً: لماذا يا ولدي تركت عشا أهلك..؟

سكت الفتى، فحلف الأب عليه: والله لن تبقى في هذا البيت. خرج الفتى مطروداً يباري شاطئ البحر، وهو يلبس كلاشاً، ورأسه مطرقة، فسمع صوتاً يقول له: السلام عليكم.

نظر الفتى فوجد أمامه شيخاً خيالاً فرد عليه السلام. فقال له الشيخ:

- لنترافق...!

قال الفتى: أنا فقير وراجل، ولا أملك شيئاً وسأكون عالة عليك.

قال الشيخ: الرزق على الله، والطريق يقصر بالرفقة.

مشياً طويلاً إلى أن غابت الشمس فرأيا بستاناً بطرف البلد، فعرّجا عليه، فجاءهم الحارس، وقال لهما: لماذا تجلسان هنا؟

قالا: نحن غريبان، ولا نملك شيئاً لننزل في خانات البلد!

قال الحارس: إن كان فيكم من يملك علماً، ويستطيع أن يجعل بنت الملك الخرساء تتكلم سيغنيه الملك.

قال الشيخ للفتى: لندخل إلى البلد.

جاءا إلى خان وقال الشيخ لصاحب الخان: أكرم الفرس حتى نعود إليك.

ثم سارا حتى وصلا إلى القصر واستأذنا في الدخول على الملك، فأذن لهما، وقال لهما الملك: ما حاجتكما؟

قال الشيخ: سمعنا أن عندك بنتاً خرساء، وأنك تبحث عمن يفك عقدة لسانها.

قال الملك: أتعرفون شروطي؟

قال الشيخ: نحن غرباء عن البلد.. فما هي شروطك؟

قال الملك: تجلس على هذا الكرسي بعيداً عنها وتكلمها، فإن جعلتها تنطق أعطيتها لك، وأغنيتك، وإن لم تستطع قتلتك. أتقبل بهذه الشروط؟

قال الشيخ: قبلت..فأنا قد أكلت عمري، أما الفتى فما زال صغيراً ولا يستأهل القتل فهو لا دخل له في هذا الأمر.

قال الفتى للشيخ: اترك هذا الأمر، فما حاجتك إليه؟

لكن الشيخ أصر على موقفه، فقادوه إلىالقصر، وأجلسوه على الكرسي بعيداً عن الفتاة، فسلم عليها، فلم ترد السلام، قال الشيخ:

ـ أخَان واحد عنده ثلاثة أولاد، والآخر عنده بنت واحدة، وكل واحد من الأخوة يريدها لنفسه، سمع عمهم بذلك فطلبهم، فجاؤوا إليه، قال لهم:

ـ لن أعطيها إلا لمن يعيشها أحسن عيشة، سأعطي كلاً منكم تجارة، ومن يربح منكم أكثر يتزوجها. أعطى كل واحد مائة قرش، فذهبوا وعند مفترق طرق، قالوا ليذهب كل واحد لحال سبيله وبعد أن يشتري بضاعته ينتظر الآخرين في هذا المكان.

الأول وهو يسير سمع رجلاً يصيح على حصير: شرَاي[٤] الحصير؟

قال له الفتى: ما نفعها؟

قال البائع: إذا ركبتها وسميت باسم الله وصلت إلى أهلك أينما كانوا في التو واللحظة.

قال الفتى: بكم تبيعها؟

قال البائع: بمائة قرش.

اشترى الفتى الحصير، وعاد لينتظر أخويه.

الثاني سمع بائعاً ينادي على منظار: شرّاي المنظار؟

سأله الفتى: ما نفعه؟

قال البائع: إذا كان أهلك على مسيرة عشرة أيام، ونظرت فيه رأيتهم.

قال الفتى: بكم تبيعه؟

قال البائع: بمائة قرش.

اشترى الفتى المنظار، وعاد لينتظر أخويه.

الثالث وجد رجلاً يدلل على كأس، فسأله عن نفعها؟ فقال البائع: إذا وجدت ميتاً، وملأت الكأس، ودلقتها في فمه طاب لساعته.

- بكم تبيعها؟

- بمائة قرش.

اشترى الفتى الكأس، وعاد فوجد أخويه بانتظاره، فشرح كل منهم عمل بضاعته ومنافعها، فقالوا: لننظر إلى أهلنا، ونرى أحوالهم، نظروا بالمنظار، فقال الأول: هناك خطب ألَمّ بأهلنا، فعند بيت عمي لمة كبيرة، فلنلحق بهم.

ركبوا الحصير وسموا باسم الله فوصلوا ووجدوا أن ابنة عمهم ميتة.

ملأ الثالث كأس الماء ورشّفه لها فعادت إليها الروح، وكأنها كانت نائمة واستيقظت.

عند ذلك اختلف الناس لمن يعطون البنت، وكل واحد يرى رأياً، فمن أحق بالفتاة يا ترى؟

فنطقت البنت قائلة: الروح لمن أحياها!

في اليوم الثاني عاد الشيخ إلى الفتاة وجلس على الكرسي وراح يحدثها:
كان في أرض الله الواسعة ثلاثة رجال أحدهم تاجر، والآخر خياط، والثالث شيخ على باب الله، وقد ساءت أحوالهم، ولم يوفقوا في أعمالهم، فاجتمعوا ذات يوم، وشكا كل منهم للآخر ما يعانيه من سوء الحال، فقالوا: تعالوا لنذهب إلى العرب السيارة، ونعمل بينهم علّ الله يرزقنا.

وبالفعل رحلوا إلى البراري، وحيث وجدوا نزلاً للعرب حطوا رحالهم، فكان الشيخ يعمل ورقاً (حجب)، والنجار يصنع مخامر وعلب ومناخل، والخياط يخيّط للناس.

وذات يوم، وهم يبحثون عن رزقهم، غابت عليهم الشمس، وكانوا قد وصلوا إلى مغارة فدخلوا فيها ليبيتوا ليلتهم، على أن ينام اثنان، ويظل الثالث مستيقظاً للحراسة.

كان الدور الأول في الحراسة للنجار، وحين غطّ زميلاه في النوم بحث عن شيء يتسلى به، ويقطع الوقت فوجد قرمة شجرة، فنحتها وسوّاها رسم بنت جميلة، ثم أيقظ الخياط ليستلم دوره في الحراسة، فشاهد ما فعله صاحبه، ففصل لها ثوباً وكساها حتى أصبحت لا تحتاج إلا إلى روح لتنطق. ثم أيقظ الخياط صاحبه الشيخ ونام، وحين شاهد الشيخ ما فعل صاحباه مدّ مسجده، وصار

يدعو الله، فجالت الروح في الخشب ونطقت الفتاة..وحين استيقظ صاحباه تنازعوا بينهم، وكل يدعي أن الفتاة من حقه..

نطقت البنت الخرساء قائلة: الفتاة لمن حط فيها الروح.

أعطى الملك الفتاة للشيخ، وأعطاه حمل ذهب، فذهب هو والفتى الخرساء، وساروا إلى أن وصلوا إلى المكان الذي التقيا فيه، فقال الشيخ: والآن لنفترق أيها الفتى، ولكن قبل ذلك لنقتسم الفتاة، وحمل الذهب، فأنت شريكي فيهما.

قال الفتى مشفقاً: بل خذ الفتاة، فأنا لا أريدها!

قال الشيخ: لا نصف لك ونصف لي! ولا بد أن أعطيك نصفها!

ولم يبال الشيخ بتضرعات الفتى، بل هجم على الفتاة بالسيف، فصاحت من الخوف فانقذفت من فمها حية، ذهبت تسعى.

قالت الفتاة: الله يرحم أهلك هذه الحية كانت تمنعني من الحديث، إذ كانت تلتف على حلقي وتمنعني من الكلام كلما أردت ذلك.

قال الشيخ للفتى: لقد وصلتك البنت وحمل الذهب أيضاً، وأنا أسلّم عليك.

تعلّق به الفتى، وقال له: لن أتركك تذهب.. فأنت رجل مبارك..!

قال الشيخ: أنا الشبوط الذي تركته..المليح بالبحر ماراح!

---

١ ـ رواها إسماعيل الجعفر. والمليح: الفعل الجيد الحسن.

٢ ـ أمحلت: انقطع مطرها، فلم تنبت الأرض.

٣ ـ بقد الحبش: أي بحجمه، والحبش: ديك دجاج كبير الحجم، ويسمونه أيضاً: الديك المصري.

٤ ـ شرّاي: أي من يشتري؟

البطل ماله رجلين (١)

على دورا لملوك في القديم، كـان الـوزراء يمشـون بـالبلد ليعرفـوا أحـوال الناس، وحاجاتهم، وفي إحدى جولاتهـم، دخلـوا إلى أحـد البيـوت، فشـاهدوا امرأة لم تقع عيونهم على أجمل منها، فاشتهوها، وراودوها عن نفسها فطردتهـم شر طردة.

قالوا: لا بد أن نقضي عليها جزاء ما فعلت بنا، فكتبوا إلى الملك أن هـذه المـرأة «تستعمل» كلباً وثبتوا أسماء الشهود.

أرسل الملك في طلب المرأة، وقال لهـا: لم يبـق عنـدك حيـاء؟! سنشـنقك جزاء ما تفعلين!

صرخت المرأة: أنا مظلومة يا مولاي.

قال الملك: ودّعي أهلك، وعودي لنشنقك!

خرجت المرأة وهـي تبكي وتصرخ، فاعترضهـا في الطريـق أولاد كـانوا يلعبون، فسألها أحدهم: لماذا تبكين أيتها المرأة؟

قالت المرأة: إنني مظلومة، وحدثته حديثها.

ذهب الولد إلى أبيه، وكان هو ابن الملك، وقال له: يا أبـي اجعلـني ملكـاً لمدة ساعة من الزمان.

قال الأب: سأعطيك التاج إذا أجبت عن ثلاثة أسئلة ألقيها عليك.

قال الأمير: اسأل..!

قال الملك: ما أطيب رائحة؟

قال الأمير: رائحة الخبز عند الجوعان

- لم نجع لنعرف هذا.

- أحياناً ألعب مع الأولاد فأجوع فأجد أن رائحة الخبز لا مثيل لها.

- فما أكبر الهموم؟

- كيد الرجال!

- لم يضِمْنا ضيم لنعرف هذا.

- ألعب مع الأولاد فيتعاضدون علي فانقهر، وأكاد أتفجر من الغيظ.

- فما أحب الأحباب؟

- الولد على قلب أمه.

- وماذا تعرف عن ذلك؟

- إن أمي لشدة حبها لي تريد أن تأكلني أحياناً!

- أنت تستأهل التاج، فاجلس بدلاً مني ساعة كما طلبت.

عادت المرأة، فقال لها الولد الملك، سنحقق في أمر ظلامتك. طلب الشهود، فدخل الأول. قال له: اتشهد على هذه المرأة؟

- نعم.

- بعينيك رأيتها؟

- نعم بعيني.

- ما لون الكلب؟

- أبيض.

أدخلوا الشاهد الثاني، فكرر عليه الأسئلة نفسها، وحين سأله عن لون الكلب قال: أسود..

ثم ادخلوا الشاهد الثالث فكرر عليه الأسئلة نفسها، وحين سأله عن لون الكلب قال: أحمر..

فأمر بشنق الوزراء والشهود، وبرّأ المرأة، فتنازل الأب لابنه عن التاج قائلاً: أنت تستحقه.

---

١ ـ رواها إسماعيل الجعفر.

حمامة وفرت (١)

ذهب أحدهم إلى الجامع ليصلي، وبعد انتهاء الصلاة وزع الإمام على كل واحد من المصلين ليرة ذهبية، فقال صاحبنا: لعلهم يوزعون في الجوامع الأخرى أكثر من ليرة واحدة، وإلا لماذا يوزع هذا الإمام الليرات الذهبيةعلى الناس، فلعلهم يتسابقون في العطاء فينوبنا الخير من ذلك.

ذهب في اليوم التالي إلى جامع آخر، وانتظر بعد انتهاء الصلاة، وطال انتظاره دون جدوى.

عاد إلى الجامع الأول، واقترب من الإمام، وقال له: لماذا تعطي المصلين ليرة ذهبية في حين أن غيرك من أئمة الجوامع لا يفعلون ذلك؟

قال الإمام: اذهب إلى فلان في المكان الفلاني، وهو اسكيفاتي، واسأله وهو يعلّمك السبب.

ذهب حسب الإشارة فوجد الإسكافي يخيط نفذة أو نفذتين، ثم يطلع إلى الأعلى، وبعد قليل يعود ليخيط نفذة أو نفذتين، ويطلع إلى الأعلى، وهكذا يقضي نهاره في صعود وهبوط.

اقترب منه، وقال له: صار لي بعض الوقت أراقبك وأنت طالع نازل.. فهلاّ أعلمتني السبب؟

قال الإسكافي: اذهب إلى المكان الفلاني تجد أعمى يحمل عشر ليرات ذهبية ويصيح: أين أجد من يقتلني وأعطيه هذه الليرات العشر، فاسأله يخبرك.

ذهب حسب الوصف فوجد الأعمى كما قال الإسكافي، فسأله: ما حكايتك؟

فقال الأعمى: اذهب إلى البلد الفلاني تجد رجلاً في المقهى الفلاني في الساعة الفلانية يجلس في المقهى، ويشعل أركيلته بليرة ذهبية فاسأله يخبرك.

ذهب إلى البلد المذكورة فوجد الرجل حسب الوصف يشعل أركيلته بليرة ذهبية، فقال له: الناس يبحثون عن الفرنك فلا يجدونه، وأنت تشعل الذهب بالنار..ما حكايتك؟

فقال له: تذهب إلى البلد الفلاني، والمكان الفلاني فتجد حراً وعبداً، الحر يمسك العبد ويضربه، ثم يدخلان مطعماً فيأكلان، ثم يغسل الحر على يد العبد[٢]، فاسأله يخبرك.

جاء صاحبنا فوجد الحر والعبد، وقد نزل الحر ضرباً بالعبد وخبطاً، ثم كف عنه، ودخلا إلى المطعم، وأكلا، وقام الحر ليصب الماء على يد العبد. وبعد ذهابهما تتبعهما إلى أن وصلا إلى بناية فدخلاها، فدق الباب فطلع له الحر، فقال له: ضيف يطلب قراك، وغريب يطلب المبيت.

فأدخله الحر إلى المنزل، وقدم له عشاء، فقال له: لقد راقبتك فرأيت من أمرك عجباً، فأنت تضرب العبد، ثم تغسل على يديه، فما حكايتك؟

قال له الحر: اتركني بدردي[٣].!

قال له: سمت عليك الله إلا أخبرتني.

قال الحر: كان أبي رئيساً لهذه البلدة، وهو غني، وكان عمي أيضاً شديد الغنى، موفور الجاه، وكنا في حالة حسنة، فتزوجت ابنة عمي، وعشنا سعيدين لا نحسد الباشا. ثم توفي أبي وعمي، وبقينا وحيدين في هذه الدنيا، وذات ليلة وكنا نتعلل[٤] أنا وزوجي، قلت لها: لو مت هل تتزوجين غيري؟

فقالت: محرم عليَّ الرجل بعدك.. وأنت؟

فقلت: وأنا حرمت عليّ النساء بعدك.

وتعاهدنا على ذلك. وبعد مدة ذهب الناس إلى الحج فذهبت معهم، وخلفت ابنة عمي في البلد، وفي الحج وصل أحد أبناء بلدي، فسألته عن الأخبار، فقال لي: ما عندي من الأخبار إلاّ أن ابنة عمك قد أعطتك عمرها، قال فحزنت لذلك، وضاقت علي الدنيا بما رحبت، ثم افتكرت عهدي لها، وقلت ربما لو عدت إلى البلد، فإنني سأضعف وأتزوج فلماذا لا أذهب إلى الطبيب ليطوشني[٥]، واحفظ بهذا عهدي لابنة عمي.

ومن فوري ذهبت إلى الطبيب وقلت له أريدك أن تطوّشني.

انتهت أيام الحج، ولم تبق لي حجة في البقاء فعدت إلى بلدي، فتلقّاني الناس، وذهلت حين وجدت ابنة عمي مع المستقبلين.

تحايلت عليها ليلة أو ليلتين، ولكنها في النهاية طالبتني بما تطالب به المرأة زوجها، فقلت لها: سأصدقك القول، لقد جاءني الخبر أنك ميتة، وقد أعطيتك عهداً خشيت ألاّ أفي به، فطوّشت نفسي حتى لا أضعف، وأحنث بوعدي.

قالت: أنت قتلت نفسك، فهل أقتل نفسي؟ لا بد لي من الزواج.

قال ففكرت لو طلقتها وتركتها تتزوج فإنني سأضيع، ولن أجد من يغسل عليّ، أو يطبخ لي، أو يداريني في كبرتي، فقلت في نفسي أعطيها لعبدي واستبقيها عندي.. ومن حرقة قلبي أضرب العبد أحياناً.. وهو الآن معها في الطابق السابع.

عاد صاحبنا إلى «أبو أركيلة» فوجده قد وضع الليرة الذهبية على النار، فانتظره حتى انتهى من أركيلته، وقام إلى بيته فتتبعه إلى أن وصل فدق الباب، فسأل من في الداخل: من؟

ـ ضيف.

وبعد أن دخل، قال له اعلمني بحكايتك، ولماذا تحرق الليرة الذهبية كل يوم؟

قال: كان أبي من الأغنياء وأنا شاب املأ جيوبي من ثروة أبي، وأنثر أموالي، وقد كثر حولي الفلتانين،(٦) أحخُ عليهم إلى أن ذهبت أموال أبي، ولم يبق لي شيء منها، وحين رأى هؤلاء ما حل بي انفضوا من حولي، وكأنهم

لا يعرفونني، وقد ضاقت بي الحال، فعلقت مرساً في سقف غرفتي، ووضعت كرسياً تحتي وأنا متردد، ثم عزمت أمري، وضربت الكرسي، فانكسر العمود في السقف، وإذا بالذهب ينزل علي، فقلت سوف أذوّبه بالنار، ولا أعطي لأحد شيئاً، وهذه هي حكايتي.

ذهب صاحبنا إلى الأعمى، واستوقفه، وقال له: ما حكايتك؟ فأنت تدور كل النهار تبحث عمن يقتلك..؟

قال الأعمى: كنت عاملاً أذهب إلى موقف العمال فيأتي صاحب العمل فأعمل عنده بما يكفيني. وذات يوم جاءني أحدهم، فقال لي: كم هي أجرتك؟ قلت: مجيدي.

فقال: أعطيك مجيديتين كل يوم لو ذهبت معي وعملت ما اشير به عليك. فذهبت معه، فأخذ بعيرين، وقادنا إلى النهر، وقال لي: سأقرأ الآن في الكتاب وأنت تدخل إلى الماء تفتاجه بيديك فيظهر لك الذهب فاملأ خرجي البعيرين بالذهب.. وبعد أن انتهيت أطبق الكتاب، وعادت المياه كما كانت، وأعطاني ليرتين ذهبيتين.. ففكرت: أهذا فقط ما ينوبني وهو يفوز بحمل البعيرين؟ فلحقته وقلت له: لم اقتنع بعطيتك. قال: كم تريد؟ قلت: أريد عشر ليرات ذهبية. فأعطاني ما طلبت، ثم وجدتها قليلة، فلحقت به، قال لي: ماذا تريد؟ قلت: بعير لك وبعير لي، فأعطاني أحد البعيرين. ولكنني لم أقنع فأردت البعير الآخر، وقلت له: أنت تستطيع أن تقرأ بكتابك ، وتحصل كل يوم على ما تريد.. أما أنا فأريد البعيرين إذ لا أستطيع أن أفعل ذلك مرة أخرى.

قال لي: إذا تعديت الانصاف تعمى.. فلماذا الطمع؟
قال قلت: لا يهمني ما تدعو به علي، ولا بد من البعير الآخر. فأعطانيه فعميت، فأخذ البعيرين وتركني وحدي وبيدي الليرات العشر وهذه حكايتي.

ذهب صاحبنا إلى الإسكافي الذي كان لا يكاد يستقر على كرسيه حتى يصعد إلى الطابق الثاني، ثم يعود وهكذا حتى انتهى النهار، وعاد هذا إلى بيته فلحق به، ودق الباب، وقال: غريب يطلب المبيت.

وبعد أن دخل واستقر به المقام سأله ما حكايتك فأنت تقضي النهار كله في صعود وهبوط؟

قال الاسكافي: كنت أعمل وأنا مبسوط ولا ينقصني شيء، وذات يوم وجدت في الطابق الثاني من المشغل حمامتين فغافلتهن، وأمسكتهن فحملنني وألقين بي بين أشجار وأطيار وثمار.. وبعد قليل، وأنا ما أزال أتعجب من قدرة الله، جاءت أربعون بنتاً كل واحدة تقول أنا أخير من الثانية، فرحبن بي، ولم يستغربن وجودي.
وقالت رئيستهن: أنا وأنت سنتخاوى وفي كل يوم أزف لك واحدة، وهذا ما حدث، وأنا أتمرغ في النعمة داخلني البطر، فقلت: لماذا استثني رئيستهن لابد لي من أخذ خويّتي كما أخذت غيرها، فقلت لها ذات يوم الآن جاء دورك!
قالت: أما تخاوينا؟ قلت لها: لا بد من ذلك!

انسدحت لي[٧]، وحين اقتربت منهـا دفرتـني[٨]، وإذا أنـا عـلى كرسـي في المحل، كأني لم أتحرك، أو أغادر.. ومن يومها وأنا أطلع كـل دقيقـة لعلـني أجـد الحمامات لتعود وتأخذني.. وهي حمامة وفرّت...!

---

١ ـ رواها إسماعيل الجعفر.

٢ ـ يغسل الحر على يد العيد: أي يصب الماء على يديه ليغسلهما.

٣ ـ دردي: همي.

٤ ـ نتعلّل: أي نتسلّى في الليل، ونقطع الوقت بالأحاديث والسوالف.

٥ ـ ليطوشني: ليخصيني، وهي كلمة غير عربية.

٦ ـ الفلتانين، من الفلت: أي لا ناظم لهم، ولا جامع لهم، ولا رادع لهـم، والمقصـود الأشرار.

٧ ـ انسدحت لي: أي تمددت لي لأطأها.

٨ ـ دفرتني: ضربتني برجلها. والدّفر: الدفع.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الحكايات	٧١
١ ـ البنات والحنفيش.	٧٣
٢ ـ حسنة.	٧٩
٣ ـ أختي أختي أنت سعلوة؟	٨٤
٤ ـ جمل غيدة.	٩١
٥ ـ ابن الحطاب.	١٠٠
٦ ـ دهيم الليل ونجمة سهيل.	١٠٩
٧ ـ القط الأسود.	١١٦
٨ ـ وديعة والحنفيش.	١٢١
٩ ـ محمد والملك الأعمى.	١٣٠
١٠ ـ شجيرة الليل.	١٤٠
١١ ـ الكلب الأسود.	١٤٤
١٢ ـ محمد والسعلوة.	١٥٥
١٣ ـ بقيرة اليتامى.	١٦١
١٤ ـ خنيصر.	١٦٨
١٥ ـ قيقة وما قيقة.	١٧٢
١٦ ـ مأتم البرغوث.	١٧٧

الموضوع	الصفحة
١٧ ـ الموت ما عنده فوت.	١٨١
١٨ ـ الطير الأخضر.	١٨٣
١٩ ـ فروة السبع.	١٨٥
٢٠ ـ الحصيني والقنفذ.	١٩٣
٢١ ـ عزيمة الحصيني للديك.	١٩٧
٢٢ ـ العنزة والذئب.	٢٠٠
٢٣ ـ الهدهد يتمرجل.	٢٠١
٢٤ ـ الضفدع القاتلة.	٢٠٢
٢٥ ـ كسرى والقانوص.	٢٠٣
٢٦ ـ حكم كسرى.	٢٠٧
٢٧ ـ سر السمكات.	٢٠٩
٢٨ ـ العجوز الحيّال.	٢١١
٢٩ ـ درس إبليس.	٢١٢
٣٠ ـ الجدي.	٢١٤
٣١ ـ الشاطر حسن.	٢١٦
٣٢ ـ كتبة من الله.	٢٢٤
٣٣ ـ المليح بالبحر ما راح.	٢٢٨

مكتبة التراث الشعبي الفراتي

١ ـ مدخل إلى التراث الشعبي الفراتي: ويتضمن:

التاريخ السياسي والحضاري لوادي الفرات، والنشاط البشري عبر العصور.

٢ ـ الأدب الشعبي: ويتضمن:

- سلسلة الحكايات الشعبية.
- سلسلة الأمثال الشعبية.
- سلسلة الأغاني الشعبية.
- الألغاز والأحاجي والنكت.

٣ ـ المعتقدات والمعارف الشعبية.

٤ ـ العادات والتقاليد الشعبية.

٥ ـ الثقافة المادية.

٦ ـ الفنون الشعبية.

العنوان: سورية ـ الرقة ـ مكتبة الأمانة

